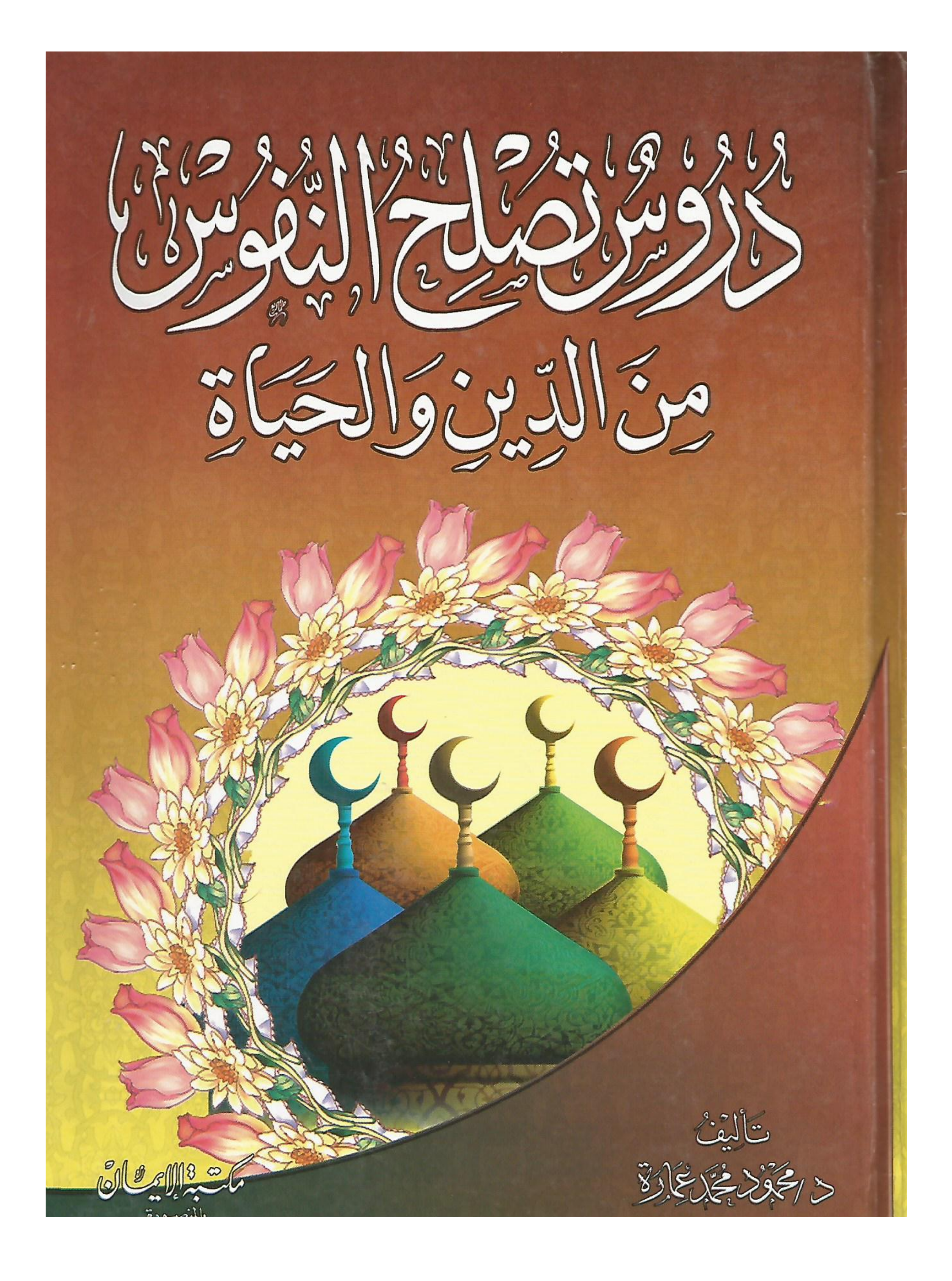

دروس تصلح النفوس
من الدين والحياة
تأليف
د/ محمود محمد عمارة
مكتبة الإيمان



دروس تصلح بها النفوس

من الدين والحياة

د. محمود محمد عمارة

مكتبة الإيمان ـ المنصورة

ت/ ٢٢٥٧٨٨٢



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة



القراءة في حياة الداعية

كان نشيد الداعية الأثير هو :

ما تطعمت لـذة العيــش حتى صرت للبيت والكتاب جليسـا

ليس شيء عندي أعز من العلم فمـا أبتغـي ســواه أنيســا

إنما الذل في مخاطبــة النـاس فدعهم . . وعش عزيزا رئيسا

وقد عاش عزيزا فعلا . . متحملا مسؤولية ما به عزته وإن كان باهظا فقال:

[كنت أمشي حافيا في حر الهواجر :

لا أجد دابة أركبها . وكنت أحمل كتبي على ظهري] .

ولقد كان مما يعده هو المغالاة بما هو فيه . . في مواجهة أهل الدنيا :

وذلك قوله : (إذا كان مجدا لتاجر في كيسه . . فإن مجد العالم في كراريسه]

وإذ بحرص أهل الدنيا على ما يملكون من حطامها. . فقـد كان حرصه على كتبه التي هي ثروته .

بقوله : [كنت في طريقي إلى أصفهان . فـأخذني المطر ليلا . ومعي كتبي ولم أكن تحت سقف ، فتفكرت في كتبي ؟!!

فخشيت عليها البلل .

فانكببت عليها . حتى أصبحت . . وهدأ المطر] !

وهكذا الكتاب في حياتك :

يعلمك إذا جهلت ويرشدك إذا ضللت ويسليك إذا أردت ويؤنس وحدتك ويزيل وحشتـك ويغسل عنك ، يحدثك بكل لغة ويـكشف لك عن كل سر ويجلو لك كل غامض ، ويعلل لك كل حادث ، ويعرفك بأحـداث كل أزمة تفتح به كل أمر مغلق

وتتناجى معه في كل موضوع وتخترق بمعونته كل أفق ، وتعرف عن طريقه كل مجهول ، به تعلو شابا وتعظم قدرا ، إنه أكرم ما فى الوجود طبيعة ، وأنفسها قيمة وأوسعها صدرا .

إنه يرفع الأحساب الوضيعة ويحقق الآمال البعيدة والرغائب الجليلة إنه يؤنس فى الوحشة ويسلى في الغربة ، به تكتسب مالا وتزيد جمالا .

هل عرفت الآن هذا الصديق العظيم ؟

إنه الكتاب خير جليس في الزمان ، إنه روح الحضارة وسجلها ، إنه ديوان المدنية ومصدرها ، إنه ينبوع العلم ومحرابه ، لا علم بغير كتاب ، ولا قيمة لامرئ أو شعب بغير علم ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩]، ﴿هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾ [الرعد:١٦].

الديانات التى لا ينتظم للعالم بدونها أمن أو سلام ، ولا تطيب للناس حياة إلا في ظلها ، تلك الديانات قد جاء بها الرسل ثم فارقوا دنيانا ، وبقى الكتاب أمينا على رسالتهم يصونها ويبلغها ويجعل من أجل ذلك قداسة الأنبياء والمرسلين .

المذياع والتليفزيون والبرق والمسرة والسيارة والطيارة والصاروخ ونحوها ، أليست كلها ثمرة من ثمرات العلمْ حمل بذورها الكتاب وظلت ترويها العقول جيلا بعد جيل، ويسجل الكتاب نموها طورا بعد طور ، وما زالت تلك البذور تنمو في رعاية الكتاب.

وإليكم بعض ما قيل في الكتابة والكتاب :

قال دزرائيلى : انتق الكاتب الذي تقرأ له بنفس العناية التى تنتقى بها أصدقائك.

وقال شكسبير : مداد الكاتب مقدس مثل دم الشهيد .

وقال أناتول فرانس : « إن الكاتب يكون في بعض الأحيان ملهما خصوصا في اللحظات التى يكون حديث دائرا فيها عن شخصه».

وقال أعرابي : «الكتاب صناعة شريفة تجلس الحقير مجالس الملوك وهى آلة

قانونية تحملها آلة جسمانية تضعف بالترك وتقوى بالإدمان .

وقال ابن المقفع : «الملوك أحوج إلى الكتاب من الكتاب إلى الملوك»

وقال الجاحظ : «لم أر مثل طريقة الكتاب فإنهم اختاروا من الألفاظ ما لم يكن وحشيا ولا ساقطا سوقيا».

وقال أعرابي : « كل صناعة تحتاج إلى ذكاء إلا الكتابة فإنها تحتاج إلى ذكاءين جمع المعانى بالقلب والحروف بالقلم»

وقال آخر : « لو أن في الصناعات صناعة مربوبة لكانت الكتابة ربا لكل صناعة»

وقال عباس العقاد : « فى كل كاتب شىء من طبيعة النبوة لأنه يحمل رسالة ، «خاصة» من لدن الحياة إلى إخوانه في الحياة ولهذا كان لابد للكاتب من هبة خارقة يحس بها ما لا يحسه سواد الناس ويفهم بها ما لا يفهمون من أسرار هذه الدنيا وعجائب الغيب والشهادة»

وقال جبران خليل جبران : « من نقب وبحث ثم كتب فهو ربع كاتب ومن رأى ووصف فهو نصف كاتب ومن شعر وأبلغ الناس شعوره فهو الكاتب كله»

وقالت كاترين تينان : « لو كانت الكتابة خمرا لكنت أكبر عربيدة على سطح الأرض ، فلا يمكننى أن أمتنع عنها ، لأنها ملأت حياتى بالسعادة والحيوية»

وقالت جاذبية صدقى : « إن الكتابة متعة كبيرة ولكن ثمنها غال . . . كرات الأعصاب الحمراء».

وقال كلثون : « للكتابة ثلاث مصائب : إن تكتب شيئا يستحق النشر ، وإن تجد رجالا أمناء ينشرونه لك ، وإن تجد القارئ اللبيب غير المتحيز»

وقال مصطفى أمين : « أنا أعتبر الكتابة كالتنفس»

ثم ماذا ؟

ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، ومن الشهوات التى اتبعوها :

مجالس اللهو . . والزهد في القراءة .

إلى الحد الذي صار فيه العربي يقرأ نصف كتاب في العام . . بينما الغربى يقرأ ثمانية وأربعين كتابا . . كما أشارت إحصائية اليونسكو هذا العام ٢٠٠٥ ـ ومعنى ذلك :

تراجع الأمة في مضمار التحضر . . بعدما نضبت رغبتها في القراءة ، فتخلت عن مكان الصدارة .

كما يقرر ذلك أحد الباحثين الغيارى على أمتهم والذي يقول :

القراءة دلالة بارزة على المجتمع المتحضر حيث يقول الفيلسوف الفرنسي فولتير : «يقود الأمم هؤلاء الذين يقرؤون ويكتبون » ، **ويقول العقاد** : « القراءة تضيف إلى عمر الإنسان أعمارا أخرى وفى أعمار الكتاب والمفكرين الذين يقرأ لهم » .

واشترى الفيروز أبادي صاحب « القاموس المحيط » كتبا بخمسين ألف مثقال من ذهب وكان لا يسافر إلا وبصحبته منها عدة أحمال ومن شدة حبه للكتب علق أحدهم لافتة في بيته كتب عليها : ألا يا مستعير الكتب إليك عنى، فإن إعارتي للكتاب عار، فمحبوبي في الدنيا كتاب،وهل أبصرت محبوبا يعار ؟

وفي أمريكا ظهرت أخيرا فكرة «الأسبوع القومي للانصراف عن مشاهدة التليفزيون ، وأتساءل لماذا يهتم العرب بالخرافات والجن ولا يهتمون بالقراءة والعلم، بينما ينشغل الغرب بالبحث العلمي وعلوم الفضاء والفيمتوثانية ؟

ولقد حاولت البحث عن تفسير لهذا القصور .. فتبين لى :

١- أن الوضع الاقتصادي له دخل كبير في هذا التراجع .

٢- وأن سرعة الحياة لم تترك للاجئين فرصة الاسترخاءة الوادعة في صحبة كتاب .

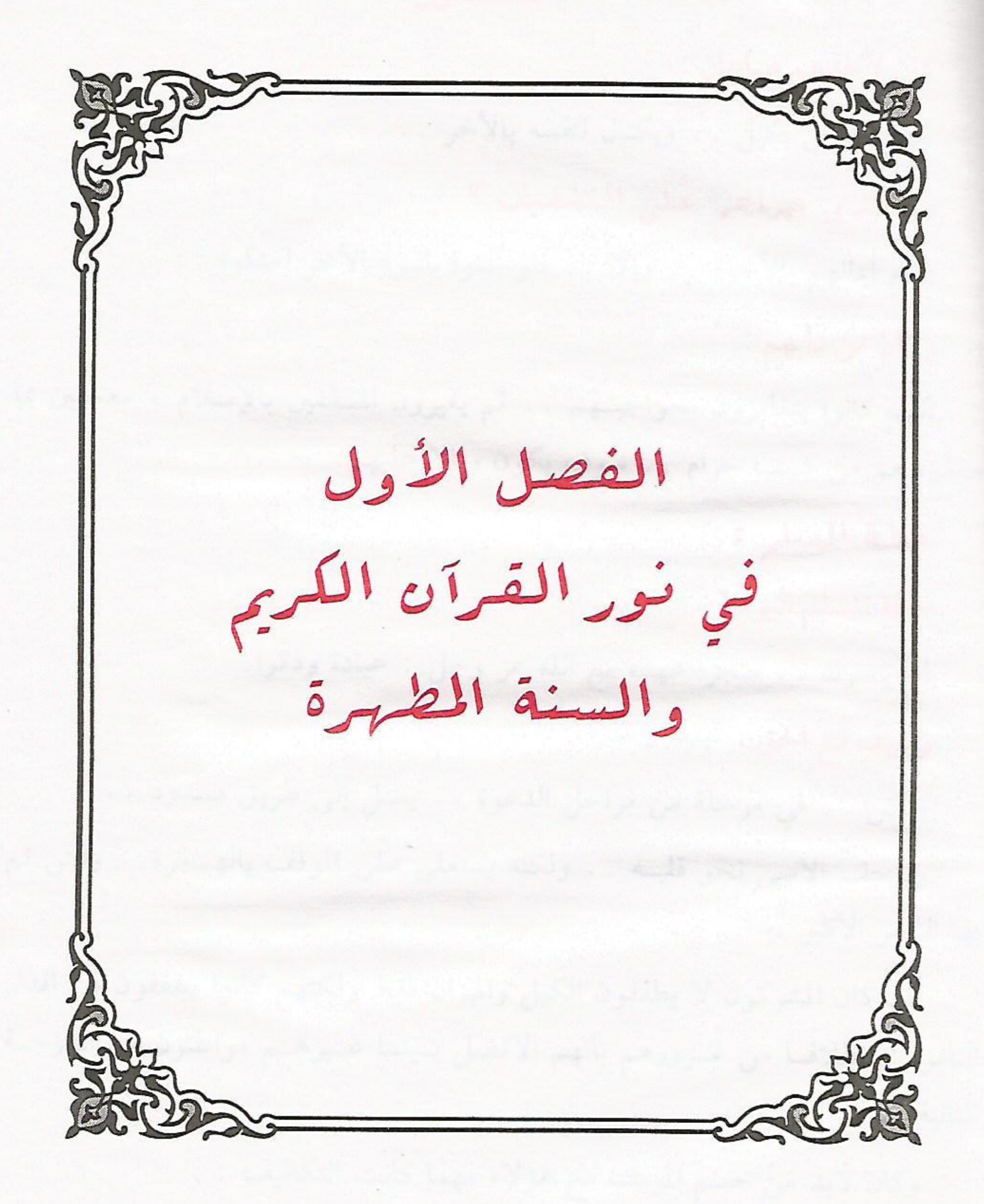
٣- وأن النفس الملول مصروفة عن قراءة الكتاب الطويلة والتي تعالج موضوعا واحدا .

ومن أجل ذلك :

كانـت هذه الأفكار القصـيرة . . والتى يمكن ـ ومع مـرور الأيام ـ أن تنشئ في النفوس عـادة القراءة من خلال التنقل من فن إلى فن . وبلا معـاناة . . إلى جانب كونها . . قد تكون . . «خميرة» لحديث أو خطبة أوسع مدى . .

والله وحده المسؤول أن يبلغنا المأمول .

د. محمود محمد عمارة



الفصل الأول
في نور القرآن الكريم والسنة المطهرة



المطففون

كان لأحدهم صاعان :

يكيل للناس بكيل . . ويكتال لنفسه بالآخر . .

ما الذي جرأهم على التطفيف ؟

عدم إيمانهم بالآخرة . . وإلا . . فلو آمنوا باليوم الآخر لعدلوا . .

وكان من دأبهم :

أنهم كانوا يتغامزون بحواجبهم . . ثم يعيرون المسلمين بالإسلام ، معجبين بما حققوه هم من كسب حرام . . سوف يكون وبالا عليهم.

خطة المسلم :

خطة المسلم اليومية :

أن يتحرك . . منجزا عهده مع الله عز وجل : عبادة وذكرا.

وعهده مع الحق : تجلدا وصبرا.

ولكن . . في مرحلة من مراحل الدعوة . . يصل إلى طريق مسدود . .

ويزحف الأسى نحو قلبه . . ولكنه يستعلى على الموقف بالهجرة. . والتى تم بها النصر الأكبر .

لقد كان المشركون لا يطففون الكيل والميزان فقط ولكنهم كانوا يطففون في أقدار الناس : انطلاقا من غرورهم بأنهم الأفضل بينما غيرهم مواطنون من الدرجة الثانية ! !

وكان لابد من حسم الموقف مع هؤلاء مهما كانت التكاليف :

فلابد من إبر النحل . . من أجل العسل . .

لابد من العمل . . سبيلا إلى تحقيق الأمل . .

جزاء المطففين :

ما تصوروه مغانم هو في الواقع مغارم : ويكفى أن تكون النهاية هى : الويل! :

والنهاية متسقة مع البداية :

فقد كانوا ظالمين : عمقا ، واتساعا .

عمقا : بدليل حرف الجر « على » وما يعنيه من الاستعلاء . .

واتساعا : لأنه كان مع « الناس » جمعا وليس مع فريق معين.

لقد فاتهم « التدين » الحق . . بظلمهم . . ثم فاتتهم المروءة . . حين باعوا ضمائرهم ثمنا لشىء تافه حقير .

الكلمة الطيبة

يقول الله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) ﴾ [إبراهيم : ٢٤، ٢٥] .

علق واحد من الأدباء على الآيتين الكريمتين فقال :

الكلمة الطيبة : بذرة : تتحقق في كيان الإنسان ، فإذا هى وقد أورقت ، ثم أزهرت ، ثم أثمرت .

وقلت له :

ولكن القرآن يجعلها ابتداء كشجرة : ضاربة الجذور في الأرض .. وفرعها ساحق.. في السماء.. دائمة العطاء ..

فمن تكلم بها .. خرجت منه شجرة على هذا النحو .. والمستمع إليها .. مستمتع بها في نفس اللحظة : وبلا انتظار الإثمار !؟

من دلائل عظمة الخالق تعالى

يقول عز وجل : ﴿ الٓمٓر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد] .

دليل قدرة الله عز وجل . . أما دليل إرادته فهو قوله تعالى : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ ﴾

فالأرض : تسقى بماء واحد . .

ومع ذلك : نفضل بعضها على بعض في الأكل . .

والبشر أيضا . .

مع أنهم أبناء آدم وحواء . . لكنهم يختلفون . . فلنتعامل معهم بما يناسب مقتضى الحال ، ولا نعرض عليهم أسلوبا واحدا . .

الأمـل .. والعمـل

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولاً ..... ﴾ [الملك] .

وواجبنا هو :

﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ .... ﴾ [الملك : ١٥] .

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ .. ﴾ [الجمعة : ١٠] .

واتقوا الله وأجملوا في الطلب ..

فأنتم أمة الوسط :

﴿ لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [المنافقون : ٩] .

وهكذا كان سلفنا الصالح :

﴿ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [النور : ٣٧] .

الأسباب والمسببات

ربط الله تعالى الأسباب بالمسببات :

إقامة للعدل ..

وإحكاما للنظام ..

وتنزها عن العبث .

[الأنعام : ٩٩] الآية .

ذكر من الدلائل :

١ـ ما به قوامه .. وهو الزرع

٢ـ وما به تفكهه .. وهو الزيتون ..

لكن دلالة هذه النعم تحتاج إلى تفكير .. ولهذا قصد الاهتداء على المتفكرين .

وعلى الإنسان أن يشكر :

١ ـ نعمة خلقه ابتداء.

٢ ـ ثم نعمة وصفه فى أصح البيئات لجسمه وعقله وروحه :

إنها دلائل . . للعقل . . وتذكير . . يحمل على الشكر .

يقول الله عز وجل :

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣] .

أحيانا . . يصرح القرآن بالفعل دون الترك :

وكان ذلك تسهيلا على المكلفين ليقبلوا على المأمور به . .ثم يقبلوه . .

ذلك . . بأن الفعل وإن كان صعبا . . . أيسر على النفس من الكف عما يشتهى

يقول الله عز وجل :

﴿ لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴾ [النساء : ١٤٨] .

يحرص الإسلام على أن تظل البيئة نظيفة :

يتنفس الناس فيها قيم : الطهر . والسلام والأمن .

فإن تجرأ ظالم مستهترا بهذه القيم . . فمن حق المظلوم أن يرد عليه .

أولا : تنفيسا عن غيظه المكتوم .

وثانيا : ردعًا للظالم . .

وحتى يتكون رأى عام يتصدى لهذا الذى اعتدى على المجتمع فى شخص واحد منه .

وقد كانت هناك وقفات . . . أمام مثل هذه المبادرات . . .ومن ذلك ما روى :

قيل لرجل :

لست من المهاجرين الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ

أُخْرِجُوا من دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِم يَبْتَغُون فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [الحشر :٨]

كما وأنك لست من الأنصار الذين قـال الله تعالى فيهم : ﴿ وَالَّذِين تَبَوَّءُوا الدَّار وَالإِيمَانَ من قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾ [الحشر : ٩]

فإذا لم تكن من هؤلاء ولا أولئك . . . فكن من الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿ وَالَّذِين جَاءُوا من بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَانِنَا الَّذِين سَبَقُونَا بِالإِيمَان وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِين آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠] .

من دروس القرآن

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ﴾ [الزمر :٣٢] .

قد تسمع عبر « الهاتف » صوتا يناديك . . فترد عليه . . . ولكنه لا يسمعك وقد يسمعك . . ولكنك لا تسمعه . .

وهذا خلل فى الاستقبال أو فى الإرسال . . وهو خلل متوقع . ومحتمل . .

أما أن يكـون الخلل فى الاستقـبال والإرسـال معـا فهو البـلاء المبين . . . وهو موقف هؤلاء الظالمين :

الظالمين : الذين كان ظلمهم شديدا :

أ - فهم إذا تحدثوا . يكذبون .

ب ـ وإذا حُدِّثوا لا يصدقون . . بل يُكَذِّبون فالإرسال والاستقبال عندهم مفقود

يقول الزمحشرى عن تفسيره :

إن التفـاسير فى الدنيا بلا عـدد وليس فيها لعـمرى مثل كشـافى إن كنت تبغى الهدى فالزم قراءته فالجهل كالداء . . والكشاف كالشافى والرجل منطقى مع نفسه . . فالكتاب « بنات » أفكاره . . وبنات الوالد - مهمـا كانت درجات جمالهن فهن فى عينه أجمل بنات الدنيا . .

بل إن كثيرا من العلماء أشادوا به . . ورفعوه فكانا عليا . . .

ولكن الزمخشرى بالغ فى تقديره . . .

وقصارى كتابة أن يكون واحدا من تفاسير متعددة تغطى ناحية من نواحى الإعجاز القرآنى :

فإذا كان هناك من تحدث عن الإعجاز النفسى . . ومن بين ملامح الإعجاز التشريعى والإعجاز التاريخى . . فإن « الكشاف » كان بجدارة مرآة الإعجاز البلاغى . . فكان فى جوهره إجابة عن هذه الأسئلة :

لم قدم ..ولم أخر ..؟

لم أظهر . . ولم أضمر . . ؟

لم أنث . . ولم ذكر . . ؟

لم جمع . . ولم أفرد . . ؟

لماذا أطنب هنا . . وأوجز هناك . . وقد حقق بذلك هدفين عظيمين :

الأول : أذاق الدارسين طعم البلاغة القرآنية فأقبلوا على دراسة القرآن مشرقين .

والثانى : أنه أثبت أن هذا القرآن كلام رب العالمين حقا .

ومن سلبياته :

١- أنه يخضع الآية أحيانا لمذهبه الاعتزالى مع أن من قال فى القرآن برأيه فهو مخطئ ولو أصاب .

٢- بالغ فى الهجوم على الأولياء .

٣ ـ جرّح زملاءه المفسرين . .

٤- وخص أهل السنة بمزيد من الهجوم والافتراء .

ويعنى ذلك تجريد الأمة من رموزها . لتبقى الأمة بلا تاريخ . . .

ويعنى أيضا أنه لم يكن موضوعيا فى حكمه على خصومه . الذين هاجمهم بأسلوب الشطار . لا بأسلوب الأبرار .

ومن الوفاء للكتاب وصاحب الكتاب أن تذكر قصة ميلاده ..تبصرة للباحثين من شباب اليوم :

فلقد كان مقررا أن يخرج هذا الكتاب على الناس بعد مضى ثلاثين عاما . .

ولكنه أنجزه فى ثلاث سنين تقريبا .

وهو درس للمتسرعين من باحثى اليوم والذين يريدون الحصول على الشهادة ولو لم يعدوا للمعركة سلاحها .

ولقد استعد له « الزمخشرى » برصيد ضخم من الإمكانات هى :

ذكاؤه اللماح . . .

ثم رحلاته عبر آفاق الدنيا والتى زودته بمعارف لاتنال من الكتب . .وقيل ذلك بمزيد من المعارف والمختلفة . .والتى لابد منها للمفسر الذى يجب أن يكون موسوعيا ولا يكفى للقدرة على التفسير تفوق الباحث فى فرع واحد من فروع المعرفة ، فلا يقدر على ذلك من كان أو نمط من الحسن . .ولا من كان أنحى من سيبويه . .

ولا بد فوق ذلك من التبحر فى مختلف العلوم ليستطيع النهوض بهذه المهمة العظمى .

أما بعد :

فصحيح أن الزمخشرى كان اعتزاليا حتى النخاع . . إلى الحد الذى كان يقول لمن يستأذنه فى الدخول على واحد من الولاه : قل له : بالباب أبو القاسم المعتزلى . .ومع هذا فقد قدم إلى المسلمين خدمة جليلة بهذا السفر العظيم .

وهو درس للمتحمسين ألا يطلقوا الأحكام على الناس إطلاقا عشوائيا .

لاسيما على فرد قد تكون فى حياته جوانب مضيئة تتفاضاهم أن ينوهوا بها . .

وقد نختلف مع الزمحشرى فى مذهبه السياسى . . أو المذهبى . .

ولكن الاختلاف . .وإن لم يظفر فيه بحبنا . .فمن حقه أن نمنحه تقديرنا واحترامنا .

والبقاء للأصلح .

ويبقى الدين أساسا للحضارة . . بل سابقا عليها :

وذلك قوله عز وجل :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ . . . ﴾ [المائدة : ٢٧] .

ولقد كان الرسل عليهم الصلاة والسلام رواد هذه الحضارات : **﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾** [النحل : ٣٦] .

﴿ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر : ٨٣] .

﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر : ٥] .

وهذا هو معنى صدام الحضارات :

صدام الكامل . . . بالناقص . .

صدام الهوى . . بالهوى . .

وبقى الدين الكامل . .وسيبقى :

عقيدة : ﴿ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة : ٢٨] .

وشريعة : ﴿إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا ﴾ [المائدة : ٢٧] .

وأخلاقا : ﴿ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ ﴾

﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

وهذا من واقعية الإسلام :

إنكم لباس :

فكيف مع هذا تتقون المباشرة !!

المهم .

ابتغوا ما كتب الله لكم وهو : الولد . . لا مجرد الشهوة :

وبالولد . . يدوم الزواج . . .

أما مجرد الشهوة فظل زائل .

﴿ . . . حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ﴾ [البقرة: ١٨٧] .

وهناك حقيقة اجتماعية مشتقة من الآية الكريمة وهى :

ليستمر حكمكم بالخيرية علما من تظنونه كذلك . . ولا تسارعوا فى التنازل عن ظنكم الخير فيه . . . حتى يتبين لكم الخيط . . . وتتأكدوا تماما .

قال الفتى ما هو تعليقك على قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [المائدة : ٦٩] .

ثم استطرد : قل لنا فى الآية الكريمة قولا شافيا . . بعد أن كنَس الله تعالى كل الفئات إلا من آمن !!!

وقلت له على الفور :

إن الآية الكريمة لم « تكنس» ولكنها تؤنس !!

إنها تفتح الباب لكل راغب فى السعادة ومهما كان دينه أو مذهبه . . . إنها تفتح ذراعيها لكل راغب فى الكمال أن يغير اتجاهه . . آخذا سمته إلى حيث يكون الخير هناك . .

وليت شعرى . . . لو أن هذا الحماس وضيق الأفق تفرد بالساحة لما دخل الإسلام أحد .

ولكن الله عز وجل . . فتح الباب لكل راغب . . فدخل الناس فى دين الله أفواجا . . .

وكان كل فرد عن هؤلاء الداخلين فرعا فى شجرة . . . لا يهزها إلا هو . . ولا يقدر على إحراجها إلا من يفهم لغة التخاطب معها :

المغرور.

فى مرآة القرآن .

يقول الله عز وجل :

﴿ وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾ [لقمان: ١٨] .

إن المغرور من فرط اعتزازه برأيه يصعر خده . . .شامخا به :

قال أبو الدرداء :

(إذا رأيت تعرة الناس . .ولا تستطيع أن تغيرها . .فدعها . .حتى يكون الله جل وعز يغيرها) « الغريب لابن قتيبة » .

والتعرة : ذباب أزرق . له إبرة يلسع بها . وربما دخل فى أنف البعير . فيركب رأسه . فلا يرده شيء .

والعرب تشبه المتكبر إذا صعر خده . وركب رأسه ، ومضى على الجهل . لا يرده شيء ، : بذلك البعير .

الأحق بالأمن

النفس المؤمنة هى : الآمنة . .لأن الخوف من الله يمنع الخوف من الآخرين :

إنها النفس الحرة .

وليست الحائرة . . .

إن الحيارى : يموتون مبكرين .

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [الأعراف: ٦٥] .

أو عجبتم ؟

العجب من عجبكم !!!

١- لقد جاءكم . .ولم يكلفكم السعى إليه .

٢- ذكر : يذكركم بما هو مستقر فى فطرتكم .

٣- ثم هو من ربكم .

٤- وهو . . لكم . . خاصة .

٥- لا ليضحككم . . ثم فى النهاية يضحك عليكم . . ولكن لينذركم شفقة بكم

يقول عز وجل :

﴿ لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾ [النور: ٦٣] . . لماذا ؟

١- الرسول ﷺ زعيمكم بحكم الشرع .

٢- مبلغ عن الله تعالى . . . فلا حظ لنفسه

٣- ودعاؤه لأمر جامع : لمصلحة عامة .

٤- ولذلك :

وجب إجلال دعائه لكم وبخاصة فى الأمور المهمة ثم المسارعة إلى طاعته

أما دعاؤكم أنتم . . . فليس كذلك .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾ [الفرقان : ٣١] .

﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ ﴾ [الأنعام : ١١٢] .

ضرورة فهم طبيعة الإنسان :

مثال : الإنسان [ليعالج بالتدرج] .

الربا :

﴿ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا . . . . . ﴾ [الروم : ٣٩] .

﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٥] .

﴿ يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا ﴾ [البقرة : ٢٧٦] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا ﴾ [البقرة : ٢٧٨] .

مفارقـــات

إنكم تعملون دائما بالزراعة وفى الحقل . . . مخافة الجوع .

فلماذا لا تعملون بهذا الدأب للدين !!!

إنكم تعرفـون الخسـارة اللاحقة بزراعـتكم لكنكم لا تعرفـون الخسارة اللاحـقه بدينكم. لا داعى للإسراف فى اللوم .

يحاول الإنسان اسـترجاع الضائع مـتى عرف قيمتـه . . ومطلوب من الدعاة أن ينبـهوا الإحـساس بأن نـعمـة جليلة ذهبت عنه [بدل الإسـراف اللائم] فإذا وجـه الإحساس بفقدان نعم جليلة بدأنا التقدم . . وهو واجب الدعاه .

يقول عز وجل :

﴿ . . وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [آل عمران : ٢٢] .

إتمام لنفى أحوال الغناء كلها .

لا فدية من مال

ولا كفيل

ولا شفيع

المسئولية الفردية

يقول عز وجل :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ [المدثر : ٣٨]

لو أطاع الناس جميعا . . . مـا نفعتك طاعتهم . .ولو عصوا جمـيعا ما ضرتك معاصيهم .

أهمية الإيمان بالغيب

إن غياب الإيمان بالغيب يترتب عليه من الفساد ما الله به عليم :

أ - فساد فى العقيدة .

﴿ ما لِهٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان : ٧]

ب ـ فساد فى المعاملات : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين : ١]

ولا حظ فى الآية الكريمة تقديم « الإيمان بالغيب » على « إقام الصلاة » وإيتاء الزكاة :

﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [البقرة : ٣]

يقول عز وجل : ﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥] .

قالوا : [التعبير بالمجهول دليل على أنه لا يصدر عن ذات عاقلة .

ولكنه مفروض قسرا . . . من الخارج]

شياطن الإنس

خطة شياطين الإنس كما رسمها لهم شيطانهم :

العُرْى . . .

يقول عز وجل :

﴿ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا ...﴾ [الأعراف : ٢٧]

والبقاء للأصلح .

خصومنا : يحاولون رمينا بالشهوات . وبالشبهات . .

فى محاولات لحذف خصائص الأمة . .حتى تصير بلا هوية !

الأمر الذى يفرض علينا العود الحميد إلى القرآن المجيد لنضبط خطوانا على حقائق القرآن الكريم . . .بيانا لعالمية الإسلام فى مواجهة عقدة الشعب المختار وتحديدا لمعالم أمتنا . . التى بها تبقى . . .وستبقى

وتبديدا لشبهة ضعفنا الذى يغرى خصومنا بأننا ضعاف . . .

ذلك . . .بأننا لم ننهزم . . .لماذا ؟

لأننا لم نحارب !!!

والذى حدث هو : انهزمت فينا خصائص أمتنا . . . أخلاقها . . .

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ونقرأ هنا قوله عز وجل :

﴿ وَالْعَصْرِ . إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ . إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [العصر]

معنى :

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

سمع الشيخ بائع الثلج يصرخ فى دروب القرية :

ارحموا من يذوب رأس ماله

ارحموا من يذوب رأس ماله !!

فقال الشيخ على الفور :

إنه يفسر قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾ بمعنى :

إنا لنفرح بالأيام نقطعها وكل يوم مضى نقص من الأجل

إن وقت العصر . . . جزء من النهار :

وهو الجزء الباقى . . .

وكأنما يقول لنا : العبرة بالخواتيم . . . فالبدار . . . البدار . . قبل أن ينصرم النهار.

[إن ساكن هذه الدار على غاية الخطر . . فكان نعيمه فى غاية الكدر] :

والعصر هو الفرصة الباقية . . . فيجب اغتنامها قبل الرحيل :

صرفا للهمة إليه . . وقصرا للنشاط عليه !

والناس صنفان :

أكياس . . وأرجاس . .

ولأن الأسباب الداعية للآخرة . . . خفية .

ولأن الأسباب الداعية إلى الدنيا . . ظاهره .

فترى جلهم يعرض عن الغائب .

ويؤثر الظاهر . . . مع أنه فان .

والقسم هنا بالعصر :

فى وقت يكون التكليف فيه شاقا . لتهافت الناس فى تجاراتهم ومكاسبهم آخر النهار .

والمطلوب ختم النهار بالطاعة . .

وكما أقسم عز وجل بالضحى بشارة . .

فإنه يقسم هنا بالعصر : نذارة . . . .

إن الإنسان فى « خسر » :

فى خضمّه . . وليس فى حواشيه .

ثم هو فى « خسر » منكّر : فهو خسر عظيم : يحيط بالإنسان :

الإنسان : كخانة مفرغة من الإيمان

﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ﴾ [الأنبياء : ١] والمفروض أن يكون المسلم عند حسن الظن به :

فإن له عينا تلحظ . . وذهنا . . يفهم ، فليستعذ مما كان عليه . . وليحمده على ماصار إليه .

لا سيما وفى معنى « العصر » معنى ، التصفية كقولهم :

اعتقده أى : خلصه . . مما لا يتم إلى بقيمة الصبر الجميل . . وهذا مما لا ينسى أبدا :

إن المسلم الحق لا ينسى لا لأن ذاكرته عصية على النسيان . . بل لأن الذكرى عصية على النسيان .

والسورة الكريمة هنا تذكره بدوره فى هذه الحياة :

وهو : إذا حل فى أرض بناها مدائنا .

وبأى شئ يبنيها ؟

بهذه الخصائص :

١- الإيمان

٢- العمل الصالح

٣- التواصى بالحق

٤- التواصى بالصبر

أجل بهذه العناصر . . التى بها تتحدد الشخصية . . وهو بسببها مستثنى من قاعدة الخسران .

ولا تقول السورة الكريمة : إلا الذى آمن وعمل الصالحات . . ولكنها تؤثر ضمير الجماعة . . إشارة إلى ضرورة التعاون بين كل أفراد المجتمع لتثبيت هذه الأركان . . عن طريق التواصى بها : تواصى الذين « آمنوا » أى صار الإيمان ملة لهم .

ويؤثر السياق لفظ التواصى ليحقق أمرين :

أ- محاولة تكميل الغير بعد تكميل النفس . . وذلك يعنى توفر القوة العملية والقوة النظرية معا .

ب ـ وتعنى كذلك : الرفق فى النصيحة . وإيثار اللين . . والفرار من منطق الأمر والنهى .

التواصى بالصبر

والذى يهمنا هنا هو :

التسلح بالصبر . . ثم التواصى به . .

فى صحبة يقين حازم بحكمة البلاء التى يجب إدراكها

(فللبلايا نهايات معلومة الوقت عند الله عز وجل :

فلا بد للمبتلى من الصبر إلى أن ينقضى أوان البلاء .

فإن تقلقل قبل الوقت .. لم ينفع التقلقل :

كما أن المادة إذا انحدرت إلى عضو . . فإنها لن ترجع فلا بد من الصبر إلى حين البطالة :

فاستعجال زوال البلاء مع تقدير مدته . . لا ينفع .

فالواجب الصبر : وإن كان الدعاء مشروعا ، ولا ينفع إلا به إلا أنه لا ينبغى للداعى أن يستعجل . بل يتعبد بالصبر والدعاء والتسليم إلى الحكيم . ويقطع المواد التى كانت سببا للبلاء :

فإن غالب البلاء أن يكون عقوبة .

فأما المستعجل : فمزاحم للمدبِّر .

وليس هذا مقام العبودية . . وإنما المقام الأعلى هو : الرضا والصبر . . والمطلوب : كثرة الدعاء .

والاعتراض حرام . والاستعجال مزاحمة للتدبير) [صيد الخاطر : ٨٤]

وبئس رجل يسرّه ما يضرّه :

والعاقل يدرك هذه الحقيقة : مادام عمرنا ينقصى هكذا كل يوم . . فلنتزود لآخرتنا بالعمل الصالح نزين به أنفسنا . .

ثم التواصى بالحق والصبر : نزين به غيرنا .

بالحق وهو: الإيمان ثم بالصبر على أداء هذه الأعمال الصالحات .

وعلى المبتلى أن يكون دائم الملاحظة للمقامات . . .

هذه الملاحظة التى تؤكد له أنه فى غيابها : أعلى البصيرة وأن اجتهاده سوف يحفى قدميه . . . ثم لا يكون إلا ما قدر الله تعالى .

من فوائد الصبر :

قالوا :

[إنه خلاصة الإنسان وسره . .

وزبدته وعصارته .

الذى لا يوصل إليه إلا بضغط الإنسان نفسه . وفسرها على أفعال الطاعة .

وقهرها على لزوم السنة والجماعة .

حتى يصير الصبر عليها عادة وصناعة].

وبه يفر المؤمن من الأوهام الباطلة . والخيالات العاطلة .

ولابد للداعية من أن يكون أصبر على الشدائد :

يقول عز وجل :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا . . . . ﴾ [طه : ٣٢] .

فلم يقل واصبر . . . وإنما «واصطبر» وما فى حرف الطاء من ثقل يشير بضرورة أن يكون الداعى أجمل صبراً .

عزة الفقير

يقول عز وجل :

﴿ . . . . فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ﴾ [البقرة : ٨٤] .

قال المفسرون :

إنما أصناف الطعام للمسكين . . ليدل على أن الطعام ملك له :

إنه حقه . .

وحقه المعلوم.

والمعلوم من قبل الرازق سبحانه . . وإذن فلا مِنّة لواجد على فاقد !!

تأثر العربى بالقرآن

ونذكر من دقة العربى وحساسية ذوقه المتأثرة بالقرآن .

سأل الرشيد الفضل بن الربيع عن حزمة خيزران . ما هذا !

فقال الفضل : هى عروق الرماح ولم يقل خيزران . لأنه اسم أم الرشيد

وهكذا تتولى النساء كبر اللت والعجن . .

اللت والعجن لافى المطبخ . . ولكن خوضا فى أعراض النساء .

[وأظن أنه بخروج المرأة للعمل فى الديوان خرجت معها أسرار البيت]

خطورة اللسان :

وعندما أراد الحكيم أن يضع يده على أحسن ما فى الإنسان وأسوأ ما فيه . .

لم يجد إلا اللسان الذى يملك عبقرية البناء . . وعبقرية الهدم معا .

ألا وإن آثار الجوارح محدودة؛ فالعين لا ترى إلا الألوان . والأذن لا تسمع إلا الأصوات . أما اللسان فهو عام شامل.

شرف العلم:

يقول عز وجل :

﴿ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء : ١١٣] .

والآية دليل على شرف العلم :

أولا : لأن العرب تقدم المفضول . . وتؤخر الفاضل وقد تأخر العلم هنا . .

وإذن فموهبته من العلم أفضل من موهبته من الإنزال .

ثانيا : قال البقاعى :

[وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف الفضائل].

ويوضح الرازى ذلك بقوله :

[وعلمك ما لم تكن تعلم من أخبار الأولين فكذلك يعلمك من حيل المنافقين . ووجوه كيدهم ما تقدر به على الاحتراز عن وجوه كيدهم ومكرهم ، ثم قال :

﴿ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً ﴾ [النساء: ١١٣] .

وهذا من أعظم الدلائل على أن العلم أشرف الفضائل والمناقب .

وذلك لأن الله تعالى ما أعطى الخلق من العلم إلا القليل كما قال : ﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] ونصيب الشخص الواحد من علوم جميع الخلق يكون قليلا .

ثم إنه سمى هذا القليل عظيما حيث قال :

﴿ وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٨٥] .

وسمى جميع الدنيا قليلا حيث قال :

﴿ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ ﴾ [النساء : ٧٧] .

وذلك يدل على غاية شرف العلم

كان يضرب .. بالعز بن عبدالسلام المثل .. حتى قيل :

ما أنت إلا من العوام .. ولو كنت العز بن عبدالسلام !

حاول فى الطواف أن يصحح للطائفين بعض الأخطاء ..

ولكنهم رفضوه .. لأنهم لا يعرفونه ...

فلما لبس عمامة العلماء .. استمعوا له ..

ثالثا :

العلم : مصحح للنية ..

والنية : مصححة للعمل .

« والحكمة »

أى : الفهم لجميع مقاصد الكتاب . . . فتكون أفعالك وأفعال من تابعك فيه على أتم الأحوال . فتظفر بتحقيق العلم وإتقان العمل .

وعملا بقوله :

﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ﴾ [النساء ١١٣] أى :

من المشكلات . وغيرها : غيبا وشهادة من أحوال الدين والدنيا ـ البقاعى .

[لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين] .

المؤمن غر كريم . . . بينما المنافق : خب لئيم . .

والمؤمن فى ضـوء نوره الذى يسعى بين يديه : إذا لدغ من جـحـر مـرة . . تظل التجربة محفورة فى أعصابه . . فلا يلدغ من هذا الجحر نفسه مرة أخرى . .

وبالتالى . . ومن باب أولى :

لا يلدغ المؤمن من الشيطان . . مرتين أو هذا ما ينبغى أن يكون !

من حلمه عليه السلام

خاصم الزبير رجلا أنصاريا شهد بدرا . . فى مسيل ماء كانا يسقيان منه نخلهما . فقال ﷺ للزبير :

« اسق يا زبير .. وأرسل إلى جارك ».

فقال الرجل :

أن كان ابن عمتك !!!

فتلَوّن وجهه ﷺ [تلَوّن فقط] ثم ضيق عليه فقال :

« اسق يا زبير ..ثم احبس الماء ».

ابدأ بمن تعول

« أن تذر ورثتك أغنياء خير . . . »

إن الشحاذين المحترفين تعودوا السؤال فعلا ومردوا عليه . . وصاروا بقعة فى

« الثوب الأبيض » بهذا الإلحاح . . .

فلا توسع هذا البقعة بإضافة ورثتك إليهم فلتبق لهم ما يغنيهم ويعفيهم من هذا الهوان .

فابدأ بمن تعول :

بأقربائك :

فإن لم تفعل

١- تسيء إلى نفسك

٢- سوء توزيع للثروة

٣- خلل فى بناء الأسرة

خلاف لا يفسد قضية الود :

فى خيبر :

طلب ﷺ رأى أصحابه فى مصالحة اليهود على عشر أرضهم .

لكن الصحابة رأوا عدم المصالحة ، بعدما عز الإسلام . فيما يشبه أن يكون مثل موقف عمر رضى الله عنه من المؤلفة قلوبهم .

إنه الخلاف . .ولكن : حماية للدين .

وليس هذا الخلاف على الدنيا : فى مجتمع عرف كل واحد حقه . . كما عرف حق غيره . .

السوق

والسوء

كان ﷺ إذا دخل السوق قال : « **اللهم إنى أسألك خيرها ، وأعوذ بك من شرها وأعوذ بك أن تكون منى يمين فاجرة . أو صفقة خاسرة** » .

(السوق : يذكر ويؤنث)

والشُّهد : العسل فى شمعها . . .

والعسل : مؤنث .

ليس كل ما يشتهى . . . يشترى

الرحمة الحازمة

روى مسلم :

من قتل « وزغة » بالضربة الأولى فله كذا . .

وإن قتلها بالضربة الثانية فلة كذا . . . وله دون الأولى .

وإن قتلها بالثالثة . . فله دون الثانية

تعليق :

مع أننا مـأمورون بالـتخلص من كل حـشـرة ضارة . . لكنـنـا محكومـون بأدب الإسلام الذى يحض على الإحسان والحد من الألم والتعذيب ما أمكن !

الحياة الأجمل والحياة الأكمل

خذ مثلا :

عتبة بن ربيعة . . . وولده « أبو حذيفة » : فقد آثر عتبة الحياة الأجمل :

حياة الرياش والتفاخر . .

بينما اختار ولده « أبو حذيفة » الحيـاة الأكمل فسبقه إلى الإسلام . . وكان الظن أن يكون الأمر بالعكس .

وبعد غزوة بدر : سُحب الوالد إلى القليب مهـانا . . فنظر ﷺ إلى حذيفة قائلا بعدما رآه وقد تغير لونه وبكى :

« لعلك قد دخلك من أمر أبيك شىء » !!

فقال حذيفة :

لا والله يارسول الله : ما شككت فى أبى ولا فى مصرعه .

ولكنى كنت أعلم منه رأيا وحلما وعقلا . .ورجوت أن يسلمه ذلك إلى الإسلام فلما رأيت ما أصابه . وتذكرت ما مات عليه من الكفر . وما ينتظره من العذاب . . أخرتنى ذلك !

فدعا له ﷺ . وقال له خيرا .

من معانى الموقف :

١ - أن عتبة كان فعلا « ذكيا » لكنه لم يكن عـاقلا . . ولو كان عاقلا ما سبقه ولده إلى الإسلام .

إنما العاقل هو : تلك المرأة التى ادعت أن الولد ولدها لكنها تركته لمن ادعته ولدا لها . . فرارا من شقه نصفين .

٢ - ولا حظ من حكمـة القيادة : أن الرسـول ﷺ لم تسكره نشوة الـنصر عن تفقد أحوال جنده .

٣- وهذا سر حب جنده له .

فقد يضمن القائد احترام جنده له . .ولكنه لا يضمن حبهم له .

٤-مع أن الولد مسلم . .والوالد كافر . .إلا أن قيمة البر مازالت باقية . .

من أخلاق القائد

فى بناء الصحابة للمسجد :

كان كل صحابى يحمل لبنة . . .لبنة . . .

لكن عمارا كان يحمل لبنتين . .لبنتين !!

فرآه ﷺ فجعل ينفض التراب عن نفسه ويقول :

يا عمار :

« ألا تحمل ما يحمل أصحابك ».

قال : إنى أريد الأجر من الله

فقال ﷺ : « **إن عمارا ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه** » .

حقوق الجار :

قال ﷺ « **والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن** » ، قيل : ومـن يارسول الله ؟ قال : « **الذى لا يأمن جاره بوائقه** » .

مـــن هـــو الجـــار :

١- رفيق السفر.

٢- زميل الدراسة.

٣- جار السكن : الملاصق أو المواجه .

٤- من جمعتك به صحبة : جمعتكما على أمرها . .كشركة مثلا .

يقول النووى :

(إذا أثنى على الرجل جيرانه كلهم فهو رجل سوء) .

ونقول :

هذا فى المجتمع المنحرف :

قد يثنى الناس على الجـار المداهن الذى يجامل الجميع فلا ينقـد أحدا . .أما فى المجتمع الصالح . .فالإجماع على نبل جار معين . . قد يكون مفقودا .

لأن من نبل هذا الجار . . .أنه يرمى بالنّبل كل من كان فظا غليظ القلب . .

ومن أجل ذلك . . .فلا تبقى له كلمة الحق صديقا بمدحه !!!

ألا إن الإجماع على مـدح الجار . .منقوض بأن هذا الإجماع غيـر موجود حتى بين الإخوة فى بيت واحد !!!

فى مجال التطبيق:

وقد كان ﷺ يبدأ بالإحسان على جاره اليهودى. . . وكان ذلك كافيا فى إيناسه.

والأمة على الطريق :

يحكى أن ابن أبى الجهم أراد أن يبيع داره لضائقة ماليـة حلت به ، وكانت داره بجوار سعيد بن العاص ، فأعطاه المشتري فـيها مائة ألف درهم فقال للمشتري : هذا ثمن الدار، وبكم تشتـرى جوار سعـيد بن العاص ؟ فـقال المشتـرى : والله ما رأيت جوارا يباع ؟ ولكن ما شأن جارك ؟ فقال ابن أبي الجهم : إن جاري سعيد بن العاص رجل يحب مـعـاونتى . .إن غـبت سـأل عنى ، وإن أتيت رحب بي ، وإن سـألتـه أعطانى ، وإن لم أسأله ابتدأنى بالعطاء .

فلما بلغ ذلك سعيدا بعث إليه بالثمن وأبقاه في داره .

من حقوق الجار المقيدة

ومن حقوق الجار : ألا تمنعه من أن يدق خشبة فى جدارك . .

والمقـصود هنا بالتـوجه : هو الجار صاحب الجدار وإذا كـفـل لك الـشرع ذلك الحق . . ثم فعل صاحب الجـدار أجمل ما يليق به فأذن لك . .فلتـعمل أنت أيضا : أجمل مـا يليق بك : فدق خشـبة . .ولا تدق مسـمارا . . وإن كان مسـمار ولا بد.. فعلى شرط ألا تؤذى جارك . .

فلتقابل الإحسان بالإحسان .

ومن الحقوق :

ألا تستطيل عليه فى البنيان إلا بإذنه . . فـقد يكون فى هذا التطاول حجبا للريح عنه . .فلا بد من إذنه .

من أسباب الإحسان
إلى جار السكن بالذات

أولا:

أ- هناك مصالح مشتركة

ب - واتصال مباشر

ج- ولديه من أسرارك ما يساومك عليه .

د- ثم هوأول من يخف لنجدتك

وثانيا : تكفى مشكلاتك الأسرية الداخلية . . .

فلا تفتح على نفسك جبهة خارجية . . .

وثالثًا : إيذاء الجار إيذاء لنفسك .. فالله عز وجل يقول : ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [الحجرات : ١١] (فإذا رميت أصابنى سهمى) .

ورابعا : من تلمزه له عينان . .وله كذلك لسان وشفتان . . .فاتق الثأر منه !!!

تأملات فى الحديث الشريف :

١ - من الذى يقسم ؟

٢- وكم مرة؟

٣- وبأى اسم يقسم ؟

الذى يقسم هو : الرسول ﷺ . . .

ولا شك أن ماحمله على ذلك هو إحساسه بخطورة القضية . وتساهل الناس فى تناولها .

ولهذا السبب يقسم ثلاثا : تأكيدا وتنبيها للغافلين .

ثم هو يقسم بلفظ الجلاله : الله عز وجل .

والواجبات درجات :

ولكل جار حق . . وأولاهم بالبر : الأقرب بابا

حقوق مطلق الجار :

من دروس التربية :

تشويق المدعو . . ليقبل على ما يُدعى إليه . وذلك بقوله ﷺ ابتداء : « **والله لا يؤمن ..** » مع التكرار .

ولا حظ قوله ﷺ :

« **لا يأمن جاره بوائقه** » فقد يؤذى الرجل جاره . . . ثم يعتذر ويزدجر . . ويتوقف عنده مسلسل الأذى . .

ولكن التهديد ينفى الإيمان ينصبّ أساسا على جار « شرير » :

قد لا يوقع الأذى فعلا . . لكن جاره منه فى قلق دائم . . يتوقع منه الشر دائما .

فهو بسبب توقع الشر منه متوتر الأعصاب دائما . . وهذا كاف فى باب الإيذاء .

ما الذى ينفيه الحديث ؟

إن المنفى عن الذى يؤذى جاره . . . ليس عرضا دنيويا . . يمكن الاستغناء عنه . . . وإنما المنفى هو : الإيمان الذى به وجودك . . وفى ضياعه شقوة الأبد .

والبوائق هى : الشرور.

أما الأشياء اليسيرة : فمعفو عنها من الطرفين كليهما .

أما بعد : فيقول الله عز وجل :

﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ....** ﴾ [الحجرات : ١٠] .

تمهيد :

فى امتحان عابر حول معنى الأخوة وأبعادها . . قال الرجل الصالح لصديقين :

أيدخل أحدكما كم يده فى كم أخيه فيأخذ حاجته ؟

قال : لا . . .

فقال الشيخ :

إذن . . . فلستما بأخوين !

ومن معانى ذلك أن الأخوة لاتتم إلا إذا ذهبت الكلفة ..وصار الأمر على ما قال الرافعى :

لاتتم المودة بين اثنين . . إلا إذا قال أحدهما للآخر : يا أنا !!

وهكذا كانت الأخوة . . زمان . . يوم كانت القلوب عامرة بالإيمان .

الإيمان : الجامع المانع . .

هذه الأخوة التى لم تكن فقط شعارا أودثارا . . وإنما كانت واقعا ملموسا كان الأصدقاء يتزاورون .

وكانوا يتزاورون غبا . . فازدادوا حبا . .

فإذا حدث وزاروا أخا لهم . . فلم يجدوه . . فتحوا الدار . . ثم أكلوا . ما وجدوه . فإذا حضر صاحب الدار كان أسعد منهم بهذه الأخوة التى رأى من آثارها تلك الثقة . وهذا الظن الحسن به .

ولكن هذا التسامح . . محكوم بقيم الإسلام . .

الإسلام الذى زين لصاحب الدار أن يسعد بما رأى . .لكنه إذا اغتصبت حبة قمح من بستانه عبثا . .ضاق صدره .

سدّ ذرائع الفتنة

« **إذا اختلفتم فى الطريق فاجعلوه سبعة أذرع** » حديث شريف .

والذراع : خمسة وأربعون سم .

والمعنى : إذا اختلفتم . . . ووصل بكم الاختلاف إلى طريق مسدود :

فاجعلوه سبعة أذرع .

مثلا : مواقف للسيارات وللمشاة .. وستراً للعورات ..

والتحديد هنا خال من الصور البيانية .

لأن المواقف فيها خلاف .. فلا بد من الأسلوب القانونى فى الموقف المحدد .

أما المواقف الإنسانية .. فلا بأس من الأسلوب البيانى .. الفضفاض .

سيدنا إبراهيم ـ عليه السلام تزوج سارة ـ إسحاق عيسى ويعقوب وكانا توأمين، وهاجر ـ إسماعيل ، ويعقوب وكانا توأمين .

فاختلف يعقوب مع أخيه .. الذى ولد قبله بلحظات .

فتوعده بالقتل .

فسار يعقوب إلى خاله بالعراق :

وكان يختبئ بالنهار .. ويسرى بالليل .

ومن هنا : سمى «إسرائيل» .

من رحمة الله بأمتنا

« **إن الله غفر لأمتى ما حدثت به نفسها ما لم تعمل أو تكلم** » .

ومعنى ذلك :

أن لها عالماً رحبا .. واسعا .. وبلا حدود : عميقا .. بلا قرار ..

ولديها ردود فعل مختلفة لكل ما ترى . وما تسمع وإلى هنا .. لا خيار .. فلا مسؤولية ..

ولكنها إذا عملت .. أو تكلمت كانت مسؤولة .. لأنها إذا عملت أو تكلمت .. يمكن أن تقلد ..

ولذلك لُعن المعدّ لمجلس الخمر كشاربها .. لأنه من الشرب قاب قوسين ..

وهو يتقلب بين الشاربين !

ولك أن تتصور : لو أن كل إنسان عمل بما فكر ؟؟

سوف تتحول الحياة إلى غابة !!

وواجب المسلم : التصدى لخواطر السوء بالذكر الذى به تطمئن القلوب .

طوبى للغرباء .

مقصود الحديث :

١ ـ ترويض للدعاة .. حتى يستنفروا كل قوامهم لرحلة شاقة مضنية .. ومعركة مستمرة مع القيم العفنة .

٢ ـ وإن الأمل فى النصر دائم لا يخبو :

٣ ـ ثم هو عزاء وسلوى ..

٤ ـ إن الداعية «كشاف» : بمعنى : كن مستعدا ..

الفرض .. والنفل .

يقولـون :

من شغله الفرض عن النفل . فهو معذور

ومن شغله النفل عن الفرض .. فهو مغرور

لماذا الفرض أولا ؟

١ ـ إن الثوابت أوتاد الأمة .

٢ ـ والفرض أصل .. والنفل فرع .

٣ ـ احترام الآمر .

٤ ـ وتعظيمه .

٥ ـ صدق العبودية .

٦ ـ الفرائض : لها عقاب وثواب ، والنوافل : ثواب فقط قال ﷺ لمن سأل مرافقته فى الجنة : « **أعنى على نفسك بكثرة السجود** » « وهى نوافل» .

٧ ـ بعد أداء الفرائض يزداد الشوق بالموالاة .. فتتجه النفس بدافع هذا الشوق

إلى المزيد تنفلا .

[وهذا سر موافقته ﷺ الرجل على الاقتصار على الفرائض] .

[كنت سمعه . .] .

أى :

كنت أسرع إلى قضاء حوائجه من سمعه فى الاستماع ومن بصره فى النظر . ومن يده فى اللمس . ومن رجله فى المشى .

قدم السمع .. لماذا ؟

الإعاذة : درء مفسدة .

والعطاء : جلب منفعة

والدرء أهم

ثم إن الإعطاء سهل فلا يحتاج لتأكيد

المساءة :

يكره سكرات الموت . . لا الموت نفسه . [وإلا فهو الذى يذهب بالعيب إلى الحبيب] .

وهذا شرف لأوليائه : لدرجه أنه تعالى لو أراد أن يعفيهم من الموت الذى حتّمه على عباده . . لفعل !

كما تقول : من أجله أفعل المستحيل !!

من معانى القسم :

« والذى نفسى بيده . . »

« روحى بيده . . الآن . . إن شاء أمسكها . .

وإن شاء أطلقها . . وفى هذا اليمين مزيد تأكيد»

قالت عائشة رضى الله عنها :

هذه يمين رسول الله ﷺ .

وإنها لصدى لقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠] بالتأكيد .

أ ـ مشروعية اليمين . .

ب ـ الله تعالى يقسم . .

جـ ـ تأكيدا للخبر . . وصولا إلى ثقة المخبرَ .

د ـ تذكير بالله وتعظيم له . .

هـ ـ قال الإمام أحمد :

لأن أحلف بالله كاذبا . . خير من أحلف بغيره صادقاً . .

فحلفه بالله تذكير وتعظيم . .

وكذبه يعاقب عليه .

أما الحلف بغيره . . فشرك .

الفكرة للشيخ الجزائرى :

من أسرار القسم فى الفرق بين «والله العظيم» و«الذى نفسى بيده» .

الأول : يؤمن بالله تعالى : قادرا مهيمنا . .

والثانى : هذه القدرة والهيمنة متحققة فعلا . . فأنا فعلا فى قبضته تعالى . .

وإذن فنسبة الخشوع أكبر ! .

من حكمه الجواب :

قال رجل لابن عقيل :

قد أنغمس فى النهر أريد التطهر .

ولكنى أشك أن الماء لم يصل إلى بعض أعضائى .

فقال له :

اذهب . . فلست ممن فرضت عليهم الصلاة ، فلما سئل قال :

هذا مجنون . .

ولا صلاة لمجنون !!

لقد توضأ ﷺ :

مرة . . مرة . .

وتوضأ . . . اثنين . . . .

وتوضأ ثلاث مرات

ومن تعدى ذلك :

فقد أساء

وتعدى

وظلم

بضاعتنا ردت إلينا :

كان الفتى منبهرا بالدراسات الغربية . . والتى تسللت إلى كل مجالات المعرفة . . وألمت بكل أسرار النفس الإنسانية . .

وكان آخر ما انبهر به قولهم هناك :

يذكر الناس ١٥ ٪ مما يسمعونه ، وخمسين فى المائة . . مما يرون . .

وثمانين فى المائة . . مما يفعلون . .

حتى قال حكيمهم :

[تأتى المعرفة عن طريق العمل :

فإذا لم تفعل . . فلن تتعلم أبدا .

وقلت للفتى :

هذه بضاعتنا ردت إلينا :

فقد قال علماؤنا :

إذا أردت حفظ الحديث . . فاعمل به . .

وفى مجال التطبيق : كانت أم «سفيان» تقول له :

اذهب إلى الشيخ . . فإذا وجدت نفسك غيـر قادر على العمل بهذا الحديث . . فلا داعى للعلم وأنا أنفق عليك من مغزلى !!

وإن قدرت فامض على بركة الله .

كان الشيخ يعلق على حديث . . « **من كان حالفا فليحلف بالله** . . » واستشهد بقول القائل :

لأن أحلف بالله كاذبا . . خير من أحلف بغيره صادقا . .

ذلك بأن الحلف به سبحانه توحيد . . والكذب كبيرة . . يمحوها التوحيد .

فلما سئل :

أحيانا أستمع إلى برنامج دينى ممتاز .

لكن هناك لحظات موسيقى بين الفقرات . . .

فكان الجواب : محاضرة فى حرمة السماع وكان عليه أن يلحق هذه بتلك .

فمن أجل التوحيد هناك . . قلنا الكذب كضرورة . .

فلماذا لا نقبل سماع الموسيقى هذه اللحظات من أجل مجلس العلم ؟!

لاسيما ونفس المستمع معلقة بحقائق العلم . . وليس فيها مستمع للسماع ؟! .

موقف عصيب :

دعا . . «عُـقبـة» . . الرسول ﷺ إلى طعام . . فـاعـتـذر ﷺ عن الأكل حتى

يسلم . .

فأسلم .

فعاتبه صديقه « أبى بن خلف »

فقال له «عُقبة» معتذرا :

كان فى بيتى . . وكان كذا . . فاستحييت .

فقال له «أبى» :

لن أكلمك حتى تؤذيه .

ففعل .

فقال له ﷺ :

« لا أراك خارج مكة إلا علوتك بالسيف » . .

وقد كان . . فأمر عليا بقتله .

[وخرج من صلبه «أم كلثوم»

وقتل . . أبى فى أحد .

وكل أخ مفارقه أخوه لعمر أبيك إلا الفرقدان (نجى قريبان من القطب) .

من عبر الاسراء :

[قول الملائكة للنبى ﷺ : مرحبا به أصل فى استعمال هذه الألفاظ وما ناسبها عند اللقاء .

نحو أهلا وسهلا ومرحبا . وكرامة . وخير مقدم وأيمن مورد . ونحوها .

ووقع الاقتصار منها على «مرحبا» وحدها :

لاقتضاء الحال لها .

فإن الترحيب هو السعة . وكان قد أفضى إلى واسع الأماكن .

ولم يطلق فيها سهلا . لأن معناه : وطئت مكانا سهلا والنبى ﷺ كان محمولا

إلى السماء .

بدائع الفوائد ج٣ / ٢٠٥ .

لابن قيم الجوزية .

روى البخارى ومسلم عن أنس :

[أن عبد الله بن سلام سأل رسول الله ﷺ عن أمور لا تعلم إلا بالوحى .

فأجابه ﷺ عنها .

فقال عبد الله على الفور .

أشهد أنك لرسول الله ؛ ثم قال : يا رسول الله :

إن اليهود قوم بُهت [1]. فاسألهم عنى قبل أن يعلموا بإسلامى .

فجاءت اليهود فقال النبى ﷺ :

« **أى رجل عبد الله بن سلام فيكم** » .

قالوا : خيرنا وابن خيرنا ، وأفضلنا وابن أفضلنا .

فقال النبى ﷺ :

« **أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام ؟** »

قالوا : أعاذه الله من ذلك .

فأعاد عليهم . فقالوا مثل ذلك .

فخرج إليهم عبد الله فقال :

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله .

قالوا : شرنا وابن شرنا . وتنقصوه] .

إذا انتهى أحدكم إلى المجلس . . فليسلم فإذا قام فليسلم .

فليست الأولى أحق من الثانية .

---

(١) بهت : بضم الباء وتسكين الهاء : جمع بَهُوت . مثل : صبور وصُبر وباهته : استقبله بأمر يقذفه به وهو منه برئ . فيبهت منه وهو مركب من : الكذب . والوقاحة .

المراد بالأولى :

إعطاء الأمان . . بمعنى :

ما جئتكم معتديا . . فهى أمان

والثانية تعنى :

وما تركتم قاليا . ولا كارها

وهذه كرامة

« كفى بالمرء كبرا أن يحدث بكل ما سمع » رواه مسلم عن أبى هريرة .

إنه إثم واحـد . . ومع ذلك فقـد بلغ من خطورته أنك لو اتصـفت به . . ولم تكن لك معصية سواه . . لكان كافيك .

ما هو الواجب هنا ؟

١ ـ هذه الأخبار التى تسمعها . . لابد أن تعرضها على العقل . .

العقل . . الذى يفرز الصادق من الكاذب . .

٢ ـ ولا بد أيضا من عرضها على الضمير . . بعد عرضها على العقل :

لماذا ؟

حتى يتدخل الضمير . . ليمنع أولا : نشر الكاذب . . .

ثم يمنع أيضـا نشر الصـادق . . إذا كان فـى نشره تخـذيل للأمة . . أو تجـريح الإنسان .

محمد ﷺ أكبر من عظيم عن تعريف عام ١١٤٣ بتصرف

ربما شهر عظيم بأنه :

عظيم العقل . لكنه فقير فى :

العاطفة . . والبيان . .

وقد يكون بليغا . . لكن ضعيف الفكر .

وقد يكون إداريا قائدا . . لكنه لا أخلاقى . .

أما الرسول ﷺ

فقد جمع الفضل من أطرافه :

ما من عظيم إلا وفى حياته مثالب يسترها . .

أما محمد فإنه أمر بنشر كل سيرته . . حتى آيات عتابه . .

ولم يحدث أن تجرأ عظيم وقال للناس :

أذيعوا كل أسرارى !

وعظمة العظيم

إما بالمزايا الشخصية وكان عظيم المزايا وبأعماله عظيم الأعمال وبآثاره عظيم الآثار .

أمين على الرسالة بدليل تنفيذ الحد فى المخزوميه وهى :

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : **«بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر فقلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا لعمر بن الخطاب. فذكرت غيرتك فوليت مدبرا »** . فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله !

قال محمد عبده :

على المسلمين أن يثبتوا أولا أنهم غير مسلمين .

وقال أجنبى أسلم أخيرا :

الحمد لله الذى عرفنى الإسلام قبل أن أعرف المسلمين ؟؟!!

ظواهر اجتماعية .. عالجها الإسلام

قال ﷺ :

« يسب بنو آدم الدهر . وأنا الدهر ، أقلب ليله ونهاره » .

قد يخفق الإنسان فى تحقيق أمل . .

فيسخط على الزمان . . ويحمل الأيام مسؤولية فشله . .

وهذا عجز . . وتقصير . . وفشل . . وتنصل من المسؤولية . .

من شأنه إشاعة روح الانهزام والتواكل . .

من أجل ذلك .. يمنع الشرع من سب الدهر :

وكأنه يقول لهم :

إذا كنتم تسبون الزمان باعتبار أنه سبب متاعبكم . . فسبكم موجه إلى فاعل الأشياء وهو الله عز وجل وحده . . لا الدهر . .

فإذا سببتم الدهر . . فإنكم تسبون الفاعل الحقيقى وهو الله عز وجل .

ومقصود الحديث :

نقل الناس من حالة الركود والتواكل . بذم الدهر . .

إلى حالة من أخذ النفس بالجد والعمل .

فى العفو :

« إذا التقى الرجلان المسلمان فسلم أحدهما على صاحبه .

فإن أحبهما إلى الله :

أحسنهما بشراً لصاحبه .

فإذا تصافحا نزلت عليهما مائة رحمة .

وللبادئ منهما تسعون .

وللمصافح عشرة » رواه البزار فى الترغيب رقم ٤٠٠٩ .

« إن المسلم إذا صافح أخاه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر » رواه البزار فى الترغيب برقم ٤٠٠٧ .

إن المؤمن إذا لقى المؤمن فسلم عليه .

وأخذ بيده فصافحه تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر

رواه الطبرانى فى الأوسط .

ورواته لا أعلم منهم مجروحا ٤٠٠٦ .

وفى رواية :

.. فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحات الورق عن الشجرة اليابسة .

فى يوم ريح عاصفٍ .

وإلا غفر لهما . ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر رواه الطبرانى بإسناد حسن ٤٠١٠ .

خيرية المؤمن :

إن أمره كله له خير :

قد يصمم على شر .. ثم لا يفعله .. فهو خير ..

وقد يعزم على خير ثم يفعله .. فهو خير .

وإسرائيل اليوم : تفعل .. ثم لا تؤجر ؟ !! وتأمل :

لقد تمنى « أحمد ياسين » الشهادة .. فحققتها له إسرائيل ولكنها حسنة لن تؤجر عليها !!

لقد مات أحمد ياسين .. ولكن كان فى موته حياته ، حياته : التى غابت لتطلع فى أفق آخر ..

أما غيره .. فهو ميت وإن كان حيا بيننا !!

من حكمه العقوبة :

يقولون : فى قطع يد السارق قسوة !!

ونقول لهؤلاء :

لو لم تقطع يد السارق .. ثم تركناه فى السجن .. ماذا يحدث ؟

سارق «البيضة» سيقابل سارق «الجمل» وسوف يتجرأ الأول .. ويتعلم ..

أما القطع فهو :

قطع لدابر الجريمة وفى نفس الوقت إصلاح .

الاعتراف بالجميل :

عن أبى هريرة رضى الله عنه ؓ أن رسول الله ﷺ قال :

«لا تسبوا أصحابى . لا تسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده : لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه» (١) .

تمهيد :

كان عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ، أكثر شبها برسول الله ﷺ .

وقد أنشأ ذلك فى ضميره إحساسا بالمسؤولية عميقا :

فلقد تحمل من الأعمال مالا يطيق .. تحت ضغط شعوره بأنه يشبه الرسول ﷺ .

كان من المنفقين فى سبيل الله تعالى .. الذين يبذلون ولا يخشون من ذى العرش إقلالا ..

ولم يكن إنفاقه المال كافيا لراحة باله . واستقرار حاله .. لكنه كان ينفق من أعصابه التى ضيّق عليها .. حتى لا ينفلت عيارها .. حين كان يختلف مع صاحب له .. فيرضى أن يكون عبد الله المشتوم .. لا عبد الله الشاتم ! .

وهذا الحديث الذى نحن بصدد التعليق عليه شاهد على ما نقول : فقد اختلف ابن عوف وخالد ، رضى الله عنهما ، فى شأن فسبه خالد .

وسكت ابن عوف ..

وانبرى ﷺ يدافع عن أصحابه فى شخصه منوها بما قدموا للأجيال من أعمال .. وما بذلوا من تضحيات .

هذه التضحيات العظام .. والتى مهما بذلنا فى سبيل الله .. فلن يكون إلى جانب ما بذلوه .. إلا صفرا على الشمال !

نبرة التحذير :

ومع أن التشاتم حينئذ لم يكن ظاهرة اجتماعية .. بل كان حالات فردية فرضتها

---

(١) رواه مسلم ج١٦/٩٢ ـ كتاب الزهد ـ [والمد : كيل يساوى رطلا وثلثا] .

ظروف طارئة .. فما كان للمؤمن أن يكون سُببه ..

ومع أن الشاتم صحابى جليل له رصيده من الأعمال الكبار .. والثواب العظيم بما قدمت يداه ... وأنه رجّاع إلى الله وقّاف عند حدوده ..

مع هذا فإن لهجة الرسول تبدو عالية . وشديدة ..

أ - بدليل تكرار النهى ... لاتسبوا ... لاتسبوا .

ب ـ ثم القسم بقوله ﷺ : « والذى نفسى بيده » وما يشى به من رهبة تشعُر بأن النفس فى قبضة الله تعالى ـ وهو قادر سبحانه على إحباط مفعولها فى جسم الإنسان .. الآن إنه تعالى قادر على الإمساك بها .. فلا تعودُ إليه .

ويقسم ﷺ ... مخاطبا الأجيال المقبلة من خلال خالد رضى الله عنه بأن أحدا من الناس لو أنفق مثل جبل أحد ... وكان المُنْفق ذهبا ... فلن يبلغ ثوابُ ذلك .. ثواب نفقة واحد من أصحابى : مدا .. أو نصفه ! (والمد : رطلان تقريبا) .

ويضرب الرسول الأمثال للأصدقاء اليوم :

الأصدقاء : الذين قد تجرى مشاعرهم فيهبون للدفاع عن كرامتهم المفترى عليها .. لكنهم .. وعندما تُخْدش كرامة الآخرين .. لايثورون لها .. بنفس الحماس .. ثم هو ﷺ يؤكد قاعدة اجتماعية هى : إذا لم يتسع حبك لصديقك .. حتى يشمل من يحبون هذا الصديق .. فإن فى قلبك خللا !!!

فإذا كنتم تحبون الرسول ـ وإنكم لكذلك ... فمن تمام حبه أن تحبوا أصحابه لماذا التحذير .

أولا : إنهم رموز الأمة التى شبت عن الطوق بسواعدهم .. تحت لواء الرسول ﷺ .

ثانيا : وكان إنفاقهم فى سبيل الدعوة فى وقت الضرورة . وقد سبق درهم ألف مائة درهم وذلك ما يشير إليه قوله تعالى :

﴿ لا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ .... ﴾ [الحديد : ١٠] !

ثالثا : ما كـانوا يتمتـعون به من خلال : الـشجاعـة . والزهد . والتواضع . والإيثار .

ورابعا : ولقد رصدوا ذلك كله حماية :

أ - للرسالة .

ب ـ وللرسول .

ولكم أن تتصـوروا ماذا كان يحـدث لو بدأ الإسلام بأمـثالنا اليوم . . لتـحكموا بالخســارة التى كانت ستـمنى بها الحيـاة . . وتدركوا حجم الـنعمة المتـمثلة فى هؤلاء الرجال العظام .

وإذا منع الصحابى ـ مع رصيده الضـخم من الأعمال والأخلاق - إذا منع جرح شعور صحابى مثله . . فكم تكون خطيئتنا نحن اليوم حين نتحرش بهذه القيم . . بينما لا رصيد لنا هناك .

ونتساءل :

حكم سب الصحابى ؟

قال العلماء : يعزر . . يغيب من مجتمع لم يحافظ على أصوله وعدوله .

وقال بعض العلماء :

بل يقتل !

فحرمة الصحابة مصونة . وذمتهم لا تمس . .

حتى أولئك الذين لابسوا الفتن منهم : لأنهم كانوا متأولين . . مجتهدين

المجترؤون على الحق :

ومن العجب أن تسمع اليوم من يقول لك :

إنه عند نزول القرآن . . لم تكن هناك مؤسسات دينية تحتكر فهم القرآن . .

وإنما كان هناك ناس عاديون . . استقبلوا القرآن فاستفادوا . . . وأفادوا . .

ثم يقولون تدعيما لذلك :

لقد كان عثمان . . قماشا . . وكان على . . صبيا . . . رضى الله عنهما . .

وما ضر عثمان . . وما ضر عليا . . أن كان الأول قماشا . . وكان الثانى صبيا لكن استخدام المصطلح بما يحمل من إيحاءات عصرية . . ينم عن جرأة لامسوغ لها على رجالنا العظام . . تجافى ما يجب للصحابة من توقير واحترام . .

وأمتنا . . على مدار الزمان تعرف أن عثمان كان : ذا النورين . . وأن عليا كرم الله وجهه .

وهما من قلوبنا فى المكان المكين . كفاء ما قدموا لهذا الدين

يرى الإمام مالك رحمه الله :

أن من كان فى قلبه غيظ على الصحابة رضوان الله عليهم - الذين أغاظ الله تعالى بهم الكفار فقد كفر .

قيل : وفيه نظر .

الحساب قبل الحساب !

كان الفتى يسارق من حوله النظر : فإذا رآهم غافلين عنه . . سارع فـفعل ما لم يأذن به الله . .

فلما خلا له الجو . خاض فى الآثام ووضع . . ظانا أنه وحده ولا يراه أحد . غافلا عن أنه فى نقطة الضوء : وكل صغير وكبير مستطر . . وسوف يحاسب عليه فى يوم يجعل الولدان شيبا . .

واقتربت من الفتى الغافل عن مستقبل سيكون شره مستطيرا . . وقلت له :

إذا ما خلوت الدهر يوما .. فلا تقل خلوت .. ولكن قل : على رقيب ..

إن الشاعر هنا يقول لك :

إذا ما وجدت نفسك وحدك فى مكان . . فلا تظن أنك وحدك :

فالله معك : رقيب عليك :

﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ ... ﴾ [الرعد : ١٠]

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴾ [طه : ٧]

ومهما حاولت التخفى : فالرقيب سبحانه وتعالى قاهر فوقك :

﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴾ [الأنبياء : ١١٠]

﴿ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴾ [الأعلى : ٧]

﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ [الملك : ١٣]

وتلك هى الحقيقة التى تدعو من أدبر وتولى . .حتى يعود إليه رشده الغائب . هذه الحقيقة التى نبه إليها الحسن البصرى رحمه الله تعالى بقوله :

ما من يوم ينشق فجره إلا ناداك :

«أنا خلق جديد . وعلى عملك شهيد . . فاغتنمنى . . فإنى لا أعود إليك أبدا»

صاح : هل سمعت براع رن الضرع ما قرى من حلاب !!!

فهذا هو « الزمن » يشهد عليك . . وإن كنت وحيدا :

إنك لا ترى الزمن . . ولاتلمسه . . ولكنه بقدرة الله عز وجل . .سوف يكون كائنا حيا : له لسان ناطق . .

ينطق بما اجترحت يداك . . وعندئذ تسر الندامة . .وهيهات . .فلسوف ترى عاقبة أمرك .

هذه العاقبة التى تلقاك بما قدمت يداك . .ولتعلم أن هذا ظنك الذى أرداك . وليت شعرى :

لو علم أهل العاقبة اليوم . . ما خمت عليه القبور من الأجسام البالية .

والعظام النخرة . لاجتهدوا فى أيامهم الباقية خوفا من يوم :

تتقلب فيه القلوب والأبصار ، يجعل الوالدان شيبا .

يؤخذ فيه بالنواصى والأقدام :

ومن أجل ذلك . .كان هناك عقلاء :

كلما زاد علمهم ... تواضعوا

وكلما زاد عملهم ... خافوا

وكلما زاد عمرهم ... زهدوا

وكلما زاد مالهم ... بذلوا

وكلما زاد جاههم .. قضوا حوائج الناس .

يفعلون ذلك ابتغاء مرضاة الله .. وشعورا منهم بأنهم فى دار الاختبار ... وتفرض عليهم الحكمة أن يأخذوا من يومهم لغدهم .. ومن دنياهم لآخرتهم .. فى حساب مستمر يريدون به أن يكون غدهم أفضل من يومهم ..

وحتى لا تبعد النجعة .

وقلت للفتى الغافل:

ولماذا تذهب بعيدا .. وآى القرآن الكريم تؤكد هذه الحقيقة : حقيقة أنك أبدا لست وحدك .. وإنما عليك .. الرقيب .. سبحانه :

وذلك قوله عز وجل .

﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يس : ٦٥] .

من دروس السنة

عن أنس رضى الله عنه قال (١) :

كنا عند النبى ﷺ . فضحك ، حتى بدت نواجذه ؟ قال :

«أتدرون مما ضحكت ؟» قلنا : لا .. يارسول الله .. قال : « من مخاطبة العبد ربه يقول :

يارب : ألم تجرنى من الظلم ؟ فيقول : بلى.

فيقول العبد :

إنى لا أجير على إلا شاهدًا منى ؟ فيقول الله عز وجل :

(١) أحمد ومسلم والبزار والبيهقى فى الأسماء والصفات .

كفى بنفسك اليوم عليك شهيدا . وبالكرام الكاتبين شهودا .

قال : فيختم على فيه .

ويقال لأركانه : انطقى . . فتنطق بأعماله :

ثم يخلى بينه وبين الكلام . فيقول :

بعدًا لكنّ وسحقا . . فعنكن كنت أناضل

ولاحظ من فقه الآية الكريمة ما يلى :

١- إذا كانت القاعدة فى الدنيا هى :

البينة على من ادعى . . واليمين على من أنكر . .

إذا كانت القاعدة هذه . . فإن الأمر فى الآخرة : يختلف :

فقد يحلف المذنبون وهم كاذبون : ومن أجل ذلك تشهد عليهم جوارحهم.

٢- وفى قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ :

أ - بضمير الغائب : إعراضا عنهم واستهانة بهم .

ب - ثم كان الختم على « الأفواه » لاجزائهم على الكذب فى الآخرة .

كما كانوا جرآء عليه فى الدنيا ﴿ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [المجادلة : ١٤] كما أشرنا آنفا . . . أما بقية الجوارح فإنها تعلن شهادتها أمام كل من حضرمن :

الإنس والجن . والملائكة : تقول : اعلموا أن صاحبى كان يعمل بى كذا وكذا.

مع الإصرار : فاستحق بذلك النار . وغضب الجبار . . ثم يقذف به فيها .

٣- ثم . . تكلمنا أيديهم : بمعنى أنها :

تتكلم بإرادتها . . فلا شبهة للجبرهنا . . وهى ما يمكن أن يتذرع به المفترون عندئذ

ثم نقرأ قوله عز وجل فى سورة الفرقان :

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنبَغِي لَنَا أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا

ولا نصرًا ومن يظلم منكم نذقه عذابًا كبيرًا (١٩) ﴾ [١٧-٢٣]

يقول المفسرون :

(إن الحواس الخمس هى : السمع . والبصر . والشم . والتذوق . واللمس .

وآلة المس هى : الجلد .

وقد ذكر الله تعالى هنا ثلاثة أنواع من الحواس هى :

السمع . والبصر . واللمس .

وأهمل ذكر نوعين هما : الذوق والشم :

فالذوق : داخل فى اللمس من بعض الوجوه :

لأن إدراك الذوق إنما يتأتى بأن نصير جلدة اللسان مماسة لجِرم المطعوم .

وكذلك الشم :

لا يتأتى . .حتى تصير جلدة الحنك مماسة لجرم المشموم .

فكان بذلك داخلا فى جنس اللمس .

أما لماذا خص الجلود بالذكر ؟ فقد أجابوا : بأن مباشرة المعاصى من جهتها أكثر . . وهكذا تموج الجوارح بعضها ويأله من عذاب مهين . تحاول الجوارح فيه الاعتذار بأنانا نطقنا بملكنا . .ولكن أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء .

وعندئذ يفرض الحق نفسه فى هذا اليوم العصيب :

والمعنى :

(إثبات أنهم كانوا يستترون عند الإقدام على الأعمال القبيحة . .إلا أن استتارهم ما كان لأجل خوفهم من أن يشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ؛ وإنما كان لأنهم كانوا منكرين للبعث والقيامة .

لقد كان ذلك الاستتار لأجل أنهم كانوا يظنون أن الله سبحانه لا يعلم الأعمال التى يقدمون عليها ؛ على سبيلٍ الخفية والاستتار .

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :

كنت مستترا بأستار الكعبة . فدخل ثلاثة نفر على : ثقيفان . وقرشى :

فقال أحدهم : أترون الله يسمع ما تقولون ؟ ! فقال الرجلان :

إذا سمعنا أصواتنا . . سمع - وإلا لم يسمع . . فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فنزل : ﴿ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ ﴾ [فصلت : ٢٢] .

عندما يغيب العقل :

وهذا هو الجزاء الأوفى لكل من أهمل نعمة العقل الذى يصير المرء فى غيابها جامد الإحساس : فلا يخاف ربه ولا يرجوه :

قال أحد الحكماء :

استصلح نفسك بعقلك . واجعل نظرك وتفكرك بمنزلة المرآة : فتدرك بها ما التبس من أمرك .

فالعقل : أفصح واعظ . وأحرس حافظ .

وبالعقل أدرك الناس معرفة الله تعالى . قال الله سبحانه :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [لقمان : ٢٥] .

فصديق المرء : عقله ، وعدوه : جهله :

فالعاقل : من عقله فى إرشاد . ومن رأيه فى إمداد . . والجاهل : من جهله فى إغواء . ومن هواه فى إغراء . . قال الشاعر :

من لم يكن أكثره عقله ... أمكله أكثر ما فيه

وقد فقد هؤلاء العقل . . . فأهلكتهم جوارحهم التى هى منهم

(إن العاقل حقا هو :

أحكم من الطبيب : فمن صح له يقينه . وسلم له دينه . فلا شىء يضيره ولا يشينه . . . ومن لم يعتبر تصرف الأيام . . غرق فى بحر الآثام ، فطوبى لمن جعل له من نفسه واعظا . ونصب عليه من الله حافظا) .

ولكن هؤلاء الغافلين لم يعتبروا . . . فكانوا عبرة للآخرين . . .

أصـل الـــداء :

وأصل البلاء هنا هو إنكار الساعة !!

فماذا تنتظر من إنسان لايؤمن بيوم الحساب !!!

ولقد أكدت الآيات الكريمة كيف كان إنكار الآخرة وراء إنكار الحقائق الكبرى من مثل قوله عز وجل :

فى سورة الفرقان : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴾ [١١]

وفى سورةسبأ : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ﴾ [٣]

وفى سورة فصلت : ﴿ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ ﴾ [٥٠]

﴿ أَلا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلالٍ بَعِيدٍ ﴾ [الشورى : ١٨]

وفى سورة الأعراف يقول عز وجل : ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ ﴾ [١٤٧]

وفى سورة هود يقول تعالى : ﴿ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الأَخْسَرُونَ ﴾ [٢٢]

وفى سورة النحل : ﴿ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [٢٢]

وفى سورة النمل : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ ﴾ [٤]

وفى سورة الزمر : ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ ﴾ [٤٥]

وفى سورة النجم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ ﴾ [٢٧]

وفى سورة المدثر : ﴿ كَلاَّ بَل لاَّ يَخَافُونَ الآخِرَةَ ﴾ [٥٣]

ومن هؤلاء الضالين من خدعهم قادرين : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ [القصص : ٧٩] . فتأمل كيف كان إنكار الآخرة مستنفعا هذه بعض إفرازاته :

١ـ جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا .

٢ـ أنكروا أن يكون الرسول بشرا : يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق .

٣ـ قلوبهم متأبية على الحق الذى ترفضه بلا نقاش مستكبرة على الدعاة إليه .

٤ـ زينت لهم أعمالهم : فرأوا حسنا ما ليس بالحسن !!

٥- وأكبر الخطايا : اشمئزازهم بذكر الله الذى بذكره تطمئن القلوب .

٦- ولأنهم لا يخافون .. فهم جرآء على الحق متحدُّون له . . . ومن ثم كانوا من الضلال فى القاع البعيد .

والإيمان بالآخرة هو الدواء .

وإذا كان الكفران بالآخرة أصل الداء . فإن الإيمان بها هو الدواء : يقول عز وجل فى سورة الأنعام : ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ﴾ [٩٢] وفى سورة لقمان يقول تبارك وتعالى : ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ④ أُوْلَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [٤ ، ٥]

وفى سورة الإسراء : ﴿ وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ [١٩] وفى سورة يوسف : ﴿ وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾ [٥٧] وفى سورة الشورى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ﴾ [٢٠]

وفى سورة الأعلى : ﴿ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴾ [١٧] .

فالمؤمنون بالآخرة هم المرشحون للإيمان كما يجب أن يكون .

وإنهم سائرون فى الدنيا على هدى : نورهم يسعى بين أيديهم . .ثم وفى النهاية يصعون على سناه إلى الفلاح . .فكان سعيهم مشكورا مأجورا . .يزرى بكل ما يحقق الفارغون فى الدنيا من متاع كان رغوة عائمة . . ثم ذهب هباء . . . فى الوقت الذى يزيد الله تعالى فيه المؤمنين من خيره ما يبقى .

ذلك بأنهم لما علموا أن هناك بعثا ونشورا وحسابا . .حاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبوا . . ووزنوا أعمالهم وأعمارهم قبل أن:توزن عليهم . . فخف حسابهم . . . وثقل ميزانهم .

إيجابية المسلم :

ولا يعنى ذلك فرارهم من الدنيا وهروبهم من ساحاتها :

فليس من مصلحـة الإسلام أن يهرب المسلـم من الدنيا . .تاركا إياها للمـسرفين الذين يمتلكونها . . . ويصرفون شؤونها . .

والمطلوب هو : أن يكـون المسـلم حـركة دائبـة . .شريطة ألا تغـيب الآخرة عن وعيه . . لتظل غاية نشاطه المبارك .

على نحو ما قال لقمان الحكيم .

(خذ من الدنيا بلاغك وأنفق فضول كسبك : تقدمه لآخرتك : ولا ترفضها كل الرفض فـتكون على الناس عيـالا . وعلى أعناق الرجـال كلاّ) وعلى هذا الأسـاس مضت وصايا العلماء العالمين . .فقالوا :

(ليس الحرج فى أن يتصرف الإنسان فى طلب حظه من الدنيا فيما لابد له منه ولاغنى له عنه)

فليصرف الإنسان إلى دنياه حظا من عنايته . .لأن بها يتزود لآخرته .

قال مجـاهد فى قول الله عز وجل : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴾ [الشرح : ٧]

قال :

أى : إذا فرغت من مؤنة الدنيا . . فانصب فى العبادة . .

ومن حكم عمر رضى الله عنه محذرا من التواكل والعجز :

(ليس خـيركم من عمل لآخـرته وترك الدنيـا . . أو عمل للدنيـا وترك الآخرة ولكن خيركم : من أخذ من هذه . ومن هذه .

والحرج : فى الرغبة فـيما تجاوز قـدر الحاجة . وزاد على حد الكفـاية . .فإنها فضول لا تجدى . وزوائد لا تنفع ولا تغنى .

وقد ترك العقلاء فضول الدنيا . . فكيف الذنوب !!!

ألا إن [ترك فضول الدنيا من العقل . . وترك الذنوب من الفرض]

من عقلاء الأمة :

وقد حفل تاريخنا الإسلامى برواد كانوا عـقلاء . فحمدوا السرى . ومنهم ذلك

العابد .

والذى كان من أمره :

أنه حفر فى فناء داره حفرة . . كأنما هى القبر .

وعندما يأتى المساء يتمدد فى هذه الحفرة . . وأنه من الحساب قاب قوسين أو أدنى . . ثم يتسمع فإذا نفسه كأنما تقول له : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]

فإذا فرغت نفسه : نهض من قبره . . ثم خاطب نفسه قائلا :

ها أنت ذى قد رجعت . . فهيا فاعملى صالحا !

وهكذا افعل . . ثم كان يكرر ما فعل . . حتى كان كأنما يعيش أخراه . . بينما لم يزل فى دنياه . . فاستطاع أن يشغل نفسه بالقول السديد . والعمل الصالح فرارا من هول ذلك اليوم الذى تجد فيه كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا . .

وفى الوقت الذى يلاقى فيه الجاحدون جزاءهم : عذاب شديد . . إذا بهؤلاء فى مغفرة من الله ورضوان : وصدق الله العظيم :

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا ﴾[القصص: ٨٣].

﴿ وَلَلآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلاً ﴾ [الإسراء : ٢١] .

رواد على الطريق :

ومن رحمة الله تعالى أن كان من جنوده رواد يدعون إلى الآخرة . . بهذا الحداء الذى يذكرهم بالآخرة قبل أن يذهب الناس فى الأرض حيارى : ومنهم ذلك القائل:

من كان يعلم أن الموت مدركه

والقبر مسكنه والبعث مخرجه

وإنه بين جنات ستبهجه

يوم القيامة . . أوتار ستنضجه

فكل شىء سوى التقوى به أسمج

وما أقام عليه منه أسمجه

ترى الذى اتخذ الدنيا له وطنًا

لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

تظل على أكتاف أبطالها اتقا

وهابتك فى أغمارهم المناصل

وترجع أعقاب الرماح سليمة

وقدحطمت فى الدارعين العوامل

فإن كنت تبغى العيش . . فاقنع توسطا

فعند التناهى يقصر المتطاول

حقا : يوقع زوالاإذا قيل : تمّ !!

وهذا واحد من هؤلاء ، الرواد . الداعين إلى الآخرة . .بالتذكير بما يفعل الناس عنه من حقائق الحياة .

وحتى يكشف المؤمن عن ساق . ويشمر عن ذراع . .ليأخذ مكانه فى موكب المسارعين إلى جنات تجرى من تحتها الأنهار .

يا جامع المال : ما أعددت للحفر .

هل يغفل الزاد من أمس على سفر ؟!

أفنيت عمرك فى اللذات تطلبها

واخيبة السعى : بل واضيعة العمر !!

قف فى ديارىنى اللذات معتبراً

وانظر إليها ولا تسأل عن الخبر

ففى الذى فعلت أيدى الشتات بهم

من بعدا لقتهم . . معنى لمعتبر !

حكى د. محمد رجب البيومى قال :

الفقية إبراهيم الحربى رحمه الله كان له ولد شاب تفقه على يديه فى مواد التفسير والحديث وسارت له شهرة تنبئ عن أنه سيخلف أباه فى مقامه العلمى بعد رحيله ، وسيتولى الإمامة والتدريس فى مسجد بغداد الأعظم ثم مرض الشاب فجأة وعاجله الموت بعد أيام ، فأخذ تلاميذ الإمام الحربى يواسونه فى مجلس العزاء ، ولكنهم وجدوه متماسكا غير حزين ، يسأل كلا عن أحواله كما اعتاد ، فتجرأ أحدهم وقال : يا إمام نحمد لك صبرك على هذه النائبة ولكن لا إلى هذا الحد .

فابتسم الإمام وقال للحاضرين : والله إنى كنت أتمنى أن يموت منذ عام وقد حقق الله رجائى بموته ، فاندهش الناس وتساؤلوا عما يكن الرجل من أسرار ، فقال : رأيت منذ عام فى منامى ، أنه قد نفخ فى الصور ، وقام الناس فزعين ليوم الدين ، وقمت مع القائمين وقد اشتد بى الحر ، وغرقت فى بحر من العرق ، ورأيت على بعد حوضا كبيرا من الماء وعلى شاطئه أناس يسقون الظامئين ، فتقدمت أسال أحدهم كوبا من الماء فابتسم وقال : ليس لك مكان لدينا نحن أولاد الذين فارقوهم فى الحياة فصبروا على قضاء الله فإذا جاء والد لأحدنا عرفناه فأسقيناه . . فقمت من نومى حائرا وأنا أقول ليس لى ولد يسقينى من الحوض ، فلما أذن الله برحيل ولدى ، تذكرت الرؤيا ، وفرحت ولم أحزن لأنى سأراه على الحوض يوم القيامة فى لظى الحر وأجد ولدى ينتظرنى هناك !

نزلت هذه القصة على قلب الوالد المسكين منزلة الشراب العذب من الظامئ الملتاع ، فقام وعانق المتحدث وكانت كلمته الوجيزة أبلغ من خطبة منبرية تقال فى مجلس العزاء دون تأثير .

إن الإيجاز فى العظة مع إصابة الهدف يترك تأثيرا فى النفس لا تبلغه الخطابة الثرثارة ، وأذكر أن الإمام الحسن البصرى ، وهو أبلغ الدعاة فى عصره قد شيع جنازة مع الناس ثم بدأ فى الرجوع بعد انتهاء مراسيم الدفن ، فقال له الناس : عظنا يا إمام ، فوقف على مكان مرتفع نسبيا ، وتطلع فى وجوه القوم ، وقال : أسألكم سؤالا لابد من الإجابة عليه ! لو قام هذا الميت من قبره ورجع معنا كما سنرجع . . فهل سيقترف ذنبا بعدما شاهد من أمارات اليقين ؟ فقال الجميع : لا يا إمام ، بل

سيتوب توبة خالصة فقال الإمام : وها نحن الآن قد رجعنا بعد دفنه ، فليفرض كل واحد أنه رجع من قبره ! ثم ترك المكان فكان حديثه الموجه أبلغ من كل خطاب ! وفى مرض موته قيل لمعروف الكرخى ألا توصى !!!

قال : أوصيكم بعد موتى أن تتصدقوا بقميصى !!!:

فإننى جئت الدنيا عريانا . . وأريد أن أغادرها عريان !!

وهكذا عاشت الآخرة فى وجدانهم . . فى الوقت الذى كانوا يأكلون فيه مما عملته أيديهم . . فلم يحملوا منه من أحد :

والشباب على الطريق :

روى عبد العزيز بن أبى حازم ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد قال :

تلا رسول الله ﷺ قوله عز وجل :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد : ٢٤]

وغلام جالس عند رسول الله ﷺ فقال :

بلى ، والله يا رسول الله : إن عليها لأقفالها . ولا يفتحها إلا الذى أقفلها .

فلما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه . . طلب هذا الغلام ليستعمله . . وقال : (لم يقل ذلك إلا من عقل) .

وتأمل كيف يسمع عمر رضى الله عنه مقالة هذا الفتى . . ثم تحفر فى أعصابه . وتستقر فى ذاكراته سنين عددا . . حتى إذا صار خليفة للمسلمين . . بحث عن هذا الشاب ليسند إليه عملا . .

من مواعظ الصالحين :

وقد كان هنا من يذكر الناس الذين عاشوا فى وادى النسيان :

مر « الحسن البصرى » بشاب وهو مستغرق فى ضحكه مع رفاق له . فقال له :

يافتى : هل مررت بالصراط ؟؟ قال : لا . .

فقال : فهل تدرى إلى الجنة تصير . أم إلى النار ؟ قال : لا

فقال له : فما هذا الضحك ؟ قال الراوى :

فما رؤى هذا الفتى بعدها ضاحكا ! !

ويبدو أن هذه الفكرة كانت متشبثة بالحسن رحمه الله . . ولطالما ركز عليها :

ففى «البصرة» وجد الحسن ناسا يضحكون فى « المصلى » فكان مما قاله : (العجب من الضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه المحقون وخسر المبطلون : ولعمرى : لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه . . ومسىء بإساءته عن : تجديد ثوب ، أوترجيل شعر) .

وكان « عطاء السلمى » من الخائفين ..قيل له فى مرضه :

ألا تشتهى شيئا ؟ فقال :

إن خوف جهنم لم يدع فى قلبى موضعا للشهوة .

وقد كانوا يتدارسون الموعظة إيجابا وسلبا .

قيل لبعضهم :

بعض الناس إذا وعظ . .خوّف وأبكى وبعضهم يتكلم ويبكى . ويخوّف . . ولا يبكون لماذا ؟

قال بعضهم : ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة !

وهذا واحد من المذنبين يشكو حظه ، ويعلن تقصيره فيقول :

أيها الرفيق المؤانس ، والصاحب المُلابس إلى متى تطالبنى بالكلام فى هذا النمط وأنا على ما تعرف من ضيق صدر ، وتَقَسُّم فكر ، وغروب لب ، وذهول بال، وتشتت رأى ، وخاطر عقيم ، وفؤاد سقيم ، ومصائب فى الدين والدنيا متوالية، وآفات فى الصباح والمساء متواترة ؟ لا جرم إن وعظت استحييْتُ من الله من قلة اتعاظى ، وإن هديْت خجلتُ من شدة ضلالى ، فإن بينت قطعت عن البيان سوء استبانتى . فإذا كان كلّى وبالا على ، كيف يكون بعضى فائدة لغيرى ؟ إلى الله نشكو ما حل بنا منا . فقد والله طالت البلوى ، واشتدت النجوى وقلت الدعوى ؛ فإنه أولى من شُكى إليه وأحق من توكل عليه .

أما بعد :

فقد كان عثمان يبكى كثيرا عند القبور . . .

فقيل له :

لم لا تبكى هذا البكاء ، عند ذكرك الجنة أو النار ؟ فقال :

القبر أول المنازل .

فإن كان خيرا لله . . فما بعده خير منه . . وإن كان شرا . . كان ما بعده شر منه .

التقى سفيان الثورى . وفضيل بن عياض فـتذاكرا . . فبكيا . . فقال سفيان : إنى لأرجو أن يكون مجلسنا هذا أعظم مجلس جلسناه بركة !

فقال له فضيل : ترجو !!

لكنى أخاف أن يكون أعظم مجلس جلسناه علينا شؤما !!

أليس نظرت إلى أحسن ما عندك فتزينت لى به . .

وتزينت به . . فراءيتنى . . وراءيتك ؟!!

فبكى سفيان حتى علا نحيبه ثم قال : أحييتنى . . أحياك الله)

وإذا بكى العابدان الزاهدان . فى أمجد لحظات حيـاة حافلة بجلائل الأعمال . . فأجدر بنا أن تبكى على الغافلين اليوم . . الواغلين فى خمأة الخطايا .

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم . . . فأقم عليهم مأتما وعويلا .

من أمنيات الأبرار :

بل لقد اشتد هذا الإحساس حتى صار الندم على الحياة شرعة لبعضهم :

قال أبو ذر :

(وددت لو أنى شجرة تُعضد) .

وقالها أيضا طلحة بن عبيد [أحد العشرة المبشرين بالجنة]

وقال عمران بن حصين :

وددت أن أكون رمادا تنسفه الرياح !!

وكان بكاؤهم على التفريط لا ينقطع :

بكيت لقرب الأجلْ

وبعد فوات الأمـــل

ووافد شيب طرأ

بعقب شباب رحـــل

شباب : كأن لم يكن

وشيب : كأن لم يزل

طوال بشير البقا

وحل بشير الأجـــــل

وأخيرا: أذكركم وأذكر نفسي بما قيل :

إذا ما خلوت الدهر يوما . . فلا تقل

خلوت . . ولكن قل على رقيب

ولاتحسبن الله يغفل ساعة

ولا أن ما تخفيه سوف يغيب

لهونا - لعمر الله - حتى تتابعت

ذنوب . . على آثارهن ذنوب

فياليت أن الله يغفر ما مضى

ويأذن فى توباتنا . . فنتوب

أقول إذا خافت على مذاهبى

وحل بقلبى للهموم ندوب

لطول جناياتى وعُظم خطيئتى

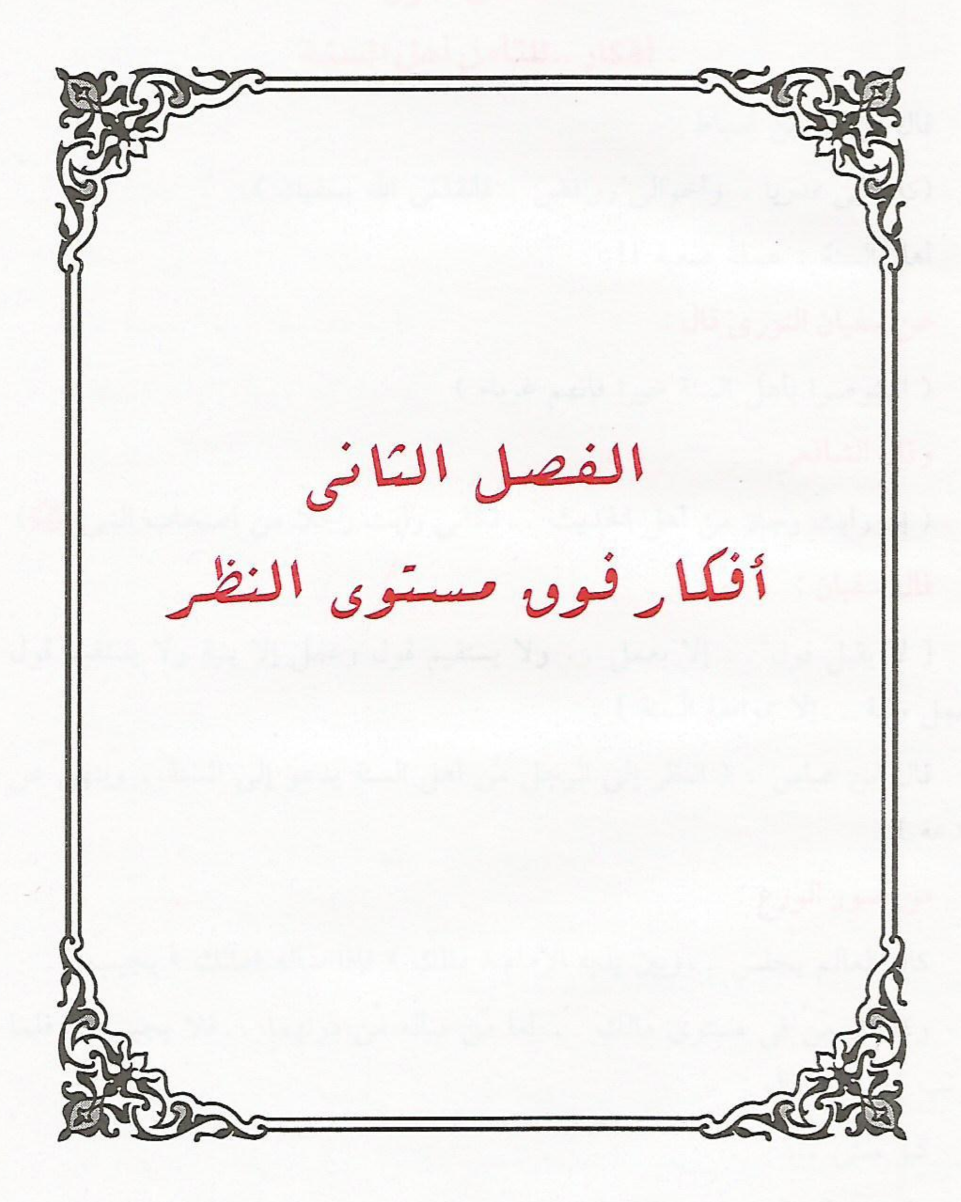
هلكت . . وما لى فى المتاب نصيب

ويذكرنى عفو الكريم عن الورى

فأحيا . . وأرجو عفوه وأنيب

فأخضع فى قولى وأرغب سائلا

عسى كاشف البلوى على يتوب



الفصل الثانى
أفكار فوق مستوى النظر

الفصل الأول

أفكار ..للتأمل أهل السنة

قال يوسف بن أسباط :

(كان أبى قدريا . وأخوالى روافض . فأنقذنى الله بسفيان)

أهل السنة : عملة صعبة !!:

عن سفيان الثورى قال :

(استوصوا بأهل السنة خيرا فإنهم غرباء)

وقال الشافعى :

(إذا رأيت رجلا من أهل الحديث . .فكأنى رأيت رجلا من أصحاب النبى ﷺ)

قال سفيان :

[لا يقبل قول . . إلا بعمل . . ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ولا يستقيم قول وعمل ونية . .إلا بموافقة السنة] .

قال ابن عباس : (النظر إلى الرجل من أهل السنة يدعو إلى السنة . وينهى عن البدعة) .

من صور الورع :

كان العالم يجلس . .وبين يديه الإمام « مالك » فإذا سأله «مالك » يجيب . .

وكذلك مَنْ فى مستوى مالك . . أما مَن سأله مِنْ دونهما . .فلا يجيب . .فلما عوتب فى ذلك قال :

كِبر سنّى . .

وأخشى أن يكون قد خالط عقلى.

مثل الذى خالط سنى . .

و« مالك » عاقل :

فإن سمع منى حقا قبله . .

وإن سمع خطأ تركه .

أما أنتما . . فلا تعرفان !!

جـرأة الحـق :

قالت الجارية السوداء لسيدها :

تنام . .وسيدك لا ينام ؟!

وقد سمعها فى سجودها تقول :

اللهم : بحبك لى . .لا تعذبنى

فقال لها :

لو قلت : بحبى لك ؟!

فقالت :

ما أخطأت يامولاى !!.

فلولا أنه يحبنى ما أقامنى الآن متهجدة ، وأنت تنام ؟!

فقال لها : أنت حرة !!

فقالت : هذا هو العتق الأصغر . .فمتى يكون العتق الأكبر ؟؟!!.

من ذكرياتى :

عندما شاهدنى الإمام أسرع إلى مكبرّ الصـوت ليقدمنى للحفل الكبير . .وهكذا أعفى نفسـه من مواجهـة الناس . .لأتحمل أنا قسوة الموقف . . وكـان من توفيق الله تعالى أن كانت هذه الكلمات التى أنقذ الله تعالى بها الموقف . . فقد قلت :

إذا كان الألم على فراق « المرحـوم » قد جمعنا . .فليجمعنا الـدعاء له بالرحمة والمغفرة . .

ولنا بالسلوان . . والصبر الجميل . .

وفوق ذلك كلـه . .تجمعنا التـوبة النصوح . .التى نفـتتح بهـا مع الله سبـحانه

وتعالى عهدا جديدا . . ذاكرين ذلك الموقف لشيخ الوعاظ .

« الحسن البصرى »رحمه الله :

فقد كان عائدا من دفن ميت . . وفى الطريق ألم عليه المشيعون أن يخطبهم ؟

وتحت وطأة الإلحـاح قال للـناس من فـوق كومـة التراب : لو فـرض . . وعاد الميت . . إلى الحيـاة مرة أخرى . . بعدما شـاهد من أهوال طلوع الروح . .وأحوال القبر . . فماذا عساه يصنع ؟ ! فقالوا : سوف تكون توبته نصوحًا .

فقال لهم الشيخ :

فليتـصور كل واحد منا أنه كان ذلك المرحـوم ، ودفن . .ثم عاد . . ولنتب إلى الله توبة نصوحا .

وانتهت الموعظة القصيرة والخطيرة فى نفس الوقت !!

مدارس النقد

المدرسة الاجتماعية

أو التاريخية

تشرح أصول المجتمع . وبيان العوامل الاقتصادية والتاريخية . التى تؤثر صعودا وهبوطا .

١ـ المدرسة الفنية أو الذوقية

وتعنى : بقـواعد البـلاغة . وفنون التـعبيـر ، ومحـاسن الصيـاغة واللمـحات المستدقة. والقدرة على تصريف القول وتنسيق المعانى والألفاظ

٢ ـ المدرسة التحليلية

تحلل مزاج الكاتب . .وتفسر البواعث النفسية . التى تملى عليه أفكاره وخواطره وتجنب إليه مقصدا من مقاصد الكتابة دون غيره من المقاصد المطروقة .

صلاح العلم فى :

تعهده . .

وتعهده يعنى : تعلم ما جهل منه ونشر ما علم .

وصلاح العقل فى :

١- إدامة التفكير

٢- مطالعة كتب المفكرين

٣- اليقظة لتجارب الحياة

صعوبة البحث العلمى :

لأنه مقيّد :

بقضية . .

ومنهج

وخطة

وتسلسل

وتوثيق

وإذن . . فهو طريق محفوظ بالخطر ولا بد للجواد . . أن يكبو وللسيف أن ينبو

أهمية الخلق :

قال واحد من أعضاء الندوة : شكرا لزميلى الذى كان موفقا فى وصفه هجرة الحبشة بأنها : كانت رحلة إيواء ولم تكن رحلة انطلاقة.

ولكن الزميل يبادر فيقول :

هذه المقولة ليست لى . . وإنما هى للراحل الكريم . . فلان !

وقلت فى نفسى . . :

لقد آثر المتحدث تصحيح النسب . . وهو فضيلة : «عقلية»

وآثر عليها الفضيلة القلبية النفسية وهى : الوفاء للراحل الكريم

ثم الأمانة .

ومع ذلك . فقد كان ذكيا حين اختار لنفسه ما يبقى !!

اشترى رجل كنيسة . . ثم جعلها مسجدا .

وفى يوم الجمعة . .لم يحضر العدد الذى كان يتوقعه .

فقال : استنادا على قول عالم :

المصلحة فوق النص :

لماذا لا نجعل صلاة الجمعة يوم الأحد !!!

ورد عليه القرضاوى :

هل نغير سورة الجمعة إلى سورة الأحد ! وهل نسميها « صلاة الأحد » ؟!

ثم إن من قال : إن المصلحة فوق النص قال : ماعدا اثنين :

العبادة ، والمقدرات . .

القسوة الحازمة :

احتج « كاتم أسرار » واشنطن لرئيسه ، بأن سبب تأخيره عن العمل : هو ساعته، فقال له رئيسه :

بدّل ساعتك . . وإلا استبدلنا بك غيرك . .

إنها قسوة . . .

ولكنها القسوة الحازمة . .

وهناك صنف من الناس إذا رأوا منك تساهلا تساهلوا معك ، فقصروا فى حقك .

ولو أنك كنت معهم حازما . لخافوك فلا تكن حلوا حتى لا يأكلك الآكلون !

عبارة .. وعبارة !

قال المتحدث :

يقمن صلبه . . .

أ- على قد ما يعيش

ب- وعبر بالجزء « الظهر » عن الكل . . ثم دخل فى المجاز !!

ونسى أن يقول :

إنهن لقيمات . . من ماء ودقيق وملح . . ومع ذلك « يقمن » بضمير العاقل : [يقمن]

يقمن : صلبك . . فلا ينحنى لأحد . . ويرفعن رأسك . . فلا تُنكِّس !

ذكر الهيثمى :

قدّم « سلمان » رضى الله عنه لضيوفه خبزا وملحا .

فقال أحدهم : حبذا الزعتر . .

فرهن سلمان إناء له ؛ وجاء بالزعتر

فلما أكل الضيف قال :

الحمد لله الذى قنعنا بما رزقنا !!

فقال سلمان :

لو قنعت بما رزقت لما كان إنائى مرهونا !!

قد يعيش المظلوم لحظته الحاضرة فقط حين يحس بألم الظلم . . بينما الظالم يختال بين يديه عجبا بما صنع . .

وهذا ظلم للنفس ؛ وعلى المظلوم أن يتجاوز اللحظة الحاضرة . . لتكون له نظرة مستقبلية كهذا العالم الذى قال : (إننى حين أرى الظلم فى هذا العالم فإنى أسلّى نفسى بالتفكر فى أن جهنم تتأجج نيرانها . . الآن ..

فى انتظار هؤلاء الظالمين !

من سلبيات الحضارة :

اخترع الإنسان السيارة . . فماذا حدث !!

أراحت الحيوان . . ولكنها أتعبت الإنسان . . بما تفرزه من « عادم » يضر بصحة الإنسان . .

لقد كان « البدوى » فى الصحراء أسعد حالاً . . منا . . هذه السعادة التى عبرت عنها البدوية وهى تتحدى حضارة أختها « الحضرية » فقالت :

لنا قبلة الشمس عند الصباح   وللحضرية القبلةُ الثانية
ونحن الأزاهير بين الربا حين   وهن الأزاهـيرة فى آنية

نحن .. وهم :

يقول الشيخ على الطنطاوى :

(يجد أعداؤهم ويهزلون ، ويسهر خصـومهم وينامون ، أولئك يحاربونهم صفا واحدا ، والمسلمون قد فرقت بينهم خلافات في الرأي ، ومطامع في الدنيا .

يدخلون علينا من بابين كبيـرين ، حولهما أبواب صغار لا يحـصى عددها ، أما البابان الكبيران فهما باب الشبهـات وباب الشهوات . أما الشبهات فهي كالمرض الذي يقتل من يصيبه ، ولكن سريانه بطيء ، وعدواه ضعيفة . فما كل شاب ولا شابة إذا ألقيت عليه الشبه في عقيدته يقبلها رأسا ويعتنقها .

أما الشهوات فهى داء يمرض وقد لا يقتل ، ولكنه أسرع سريانا وأقوى عدوى ، إذ يصادف من نفس الشاب والشابة غريزة غرزها الله ، وغـرسها لتنتج طاقة تستعمل في الخيـر ، فتنشئ أسرة وتنتـج نسلا ، وتقوي الأمـة ، وتزيد عدد أبنائها ، فـيأتي هؤلاء فيوجهونها في الشر ، للذة العاجلة التي لا تثمر . طاقة نعطلها ونهملها ودافع أوجد ليوجه إلى عدونا ، لندافع بها عن بلدنا ، فنحن نطلقـها في الهواء ، فنضيعها هباء ، أو يوجهها بعضنا إلى بعض .

هذا هو باب الشـهـوات وهـو أخطر الأبواب . عـرف ذلك خـصـوم الإسـلام فاستغلوه ، وأول هذا الطريق هو الاختلاط .

بالعالمية نتحدى العولمة :

وقد نخسر بعض المعارك . . ولكنا على ما يقول الشاعر :

تعيرُنا أنا قليل عديدنا   فقلت لها إن الكرام قليل

وسـوف نظل فى الموقف الأفـضل . وإن تـنكر الزمـان يومـا . .وذلك بسـلاح «العالمية » التى نحبط بها كيد « العولمة »

المعاصى سبب البلاء :

أحيانا نسأل عن سبب بلائنا . .

ثم لاندرى أنها مـعاصينا . . تتـعقد بها حـياتنا وعلينا أن نتوب مـوقنين بأنه ما وقعت مشكلة إلا بذنب . . ولا رفعت . . إلا بتوبة .

مسؤولية الحاكم :

كان هارون الرشيد في بعض غزواته فألح الثلج ليلة فقال بعض أصحابه: يا أمير المؤمنين أما ترى مـا نحن فيه من الجهـد والتعب والرعيـة قارة وادعة نائمة، فـقال له الرشيد : اسكت إن للرعية المنام وعلينا القيام ولا بد للراعي من حراسة الرعية وتحمل الأذية .

قال الإمام الشافعى : عاتب الله تعالى أهل الأرض جميعا . .غير أبى بكر رضى الله عنه : [التوبة: ٤٠] .

من إنسانيات الحجـاج !!

جيء برجل أخذ بذنب جـاره إلى الحجاج الذى قال له : مـا الذى جاء بك إلى هنا ؟ قال الرجل :

زنى زان من عرض العشيرة . ولم يجدوه . فأخذت به .

فقال له الحجاج :

قد يحدث ذلك ؟

أما سمعت بقول الشاعر :

زانيك من يجنى عليك وقد

تُعدى الصحاح مبارك الجُرب

ولرب مأخوذ بذنب عشيرة

ونجا المقارف : صاحب الذنب

فما كان من الرجل إلا أن قال :

ولكنى سمعت الله عز وجل يقول غير ذلك . . لما أرادوا من يوسف أن يأخذ بدل أخيه : قال ما حكاه القرآن الكريم : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلاَّ مَن وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِندَهُ ... ﴾ [يوسف : ٧٩] .

فنهض الحجاج واقفا . ثم قال :

خلوا سبيله.

صدق الله . . وكذب الشاعر !!

ولقد عبرت الطبيعة العربية الأدبية عن نفسها بالوفاء ولمن أحسن إليها :

لما ظفر الحجاج بعمران بن حطان الشارى قال :

اضربوا عنق ابن الفاجرة !

فقال عمران :

لبئسما أدبك أهلك يا حجاج :

كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتنى به ؟!!

أبعد الموت منزلة أصانعك عليها !!

فأطرق الحجاج استحياء . وقال :

خلوا عنه !!

فخرج إلى أصحابه فقالوا :

والله ما أطلقك إلا الله . فارجع إلى حربه معنا . . فقال : هيهات !!

غل يدا مطلقها . . وأسر رقبة معتقها . . ثم أنشد :

أأقاتل الحجاج عن سلطانه

بيد تقر بأنها مولاته

إنى إذن . . لأخو الدناءة والذى

عفت على عرفانه جهلاتـــــه

ماذا أقول إذا وقفــت موازيا

فى الصف . . واحتجّت له فعلاته

وتحدث الأكفاء : أن صنائعا

غرست لدى . . فحفظت نخلاته

أقول جار على !! إإنى فيكو

لأحق من جارت عليــــه ولاته

تالله ما كـــدت الأميـــر بآلة

وجوارحى وســـلاحهـــا آلاته

من صور الإيثار :

ربما ظن المسؤول أن مدحه لغيره مخصوم من شخصيته . . فيمنعه ذلك من التنويه به ليظل وحده على القمة العالية . .

ولكن النفوس الكريمة تمدح من يستحق المدح . . وعلى الملأ من حيث كان التنويه به تدعيما للحق الذى هو هدف الاثنين معا ومن هؤلاء : الفاروق رضى الله عنه .

قال رضى الله عنه يوما :

بئس المقام بأرض ليس فيها « أبو الحسن » [يعنى : الإمام عليا رضى الله عنه]

أ- نشأ مسلما : لم تكن له جاهلية .

ب- رضع العلم والخلق منه ﷺ

ومن أجل ذلك كـان محل تقـدير كل عن عرفـه ، حتى عمـر رضى الله عنه ، والذى نوه به تنويها زاد فى أعـيننا عظمة فـوق عظمته . . ولم تكن شـخصيتـه هشة بحيث تتلاشى أمام هذه الشهادة الصادقة . . وإنما بقيت وستبقى فى القمة العالية . .

رواد على الطريق :

وقد حفل تاريخنا الإسلامى برواد استدبروا الدنيا واستقبلوا الآخرة . . تسوقهم النفس اللوامة ليظلوا على سواء الصراط . . . لا ينحرفون وكان منهم من قال :

معصيتك . . نادتنى إلى الطاعة .

وطاعتك . . نادتنى بالمعصية !!

فأيهما أخاف . . وأيهما أرجو !!

لا خوف من شىء . . ولا على شىء

ونحن فى غنى عن الناس لابهم

ولاحول ولا قوة إلا بالله .

أستدفع بها ظلم من ظلم

وأستعين بها على من غلبنى

والمعنى أن العبد إذا كان فى المعصية . . شهيد **قهرية الحق .. فانكسر . وذل .. وعظّم ربه .**

(وتلك هى الطاعة)

وربما - وهو فى الطاعة - ربما شهد نفسه . . فاغتر . وأخل بالأدب .

(وهذه هى المعصية)

زاد الطريق :

من دعاء الصالحين

قالت أعرابية :

سبحانك !!

ما أشق الطريق على من لم تكن دليله .

وما أوحشه على من لم تكن أنيسه .

وقال أعرابى :

يكفيك من التقوى : برد الإطمئنان .

ويكفيهم من المعصية نار القلق والحرمان .

من صور الأخوة :

أحس « العالم » بألم فى بطنه .

فلما جاءه « التسترى » صرف الأطباء .

وقال التسترى :

اللهم : كما أذقته ذل المعصية فأذقه عز الطاعة .

تقدم له العالم هدية . . فاعتذر

الامتحان الصعب :

ادعى رجل أنه شاعر.. فقال له رفاقه ممتحنين له :

صف لنا مجلسنا عند الغدير . . . فقال :

نحن قوم : حول ماء كأننا

قوم جلوس حولهم ماء !!

فقالوا له ساخرين : فسر الماء بعد الجهد بالماء .

قالوا : هو فى الفقه شاعر لا يبارى

وهو فى الشعر أفقه الفقهاء

لا إلى هؤلاء إن نسبوه

جاروه . . . ولا إلى هؤلاء .

الإعراض عن الزواج :

قيل لواحد من الزاهدين :

قتلت رجولتك ، ووأدت نسلك ، ولبثت عمرك ولدا كبيرا لم تبلغ رتبة الأب .

فلئن أقمت الشريعة . . فلقد عطلت الحقيقة !

ولقد وعى هذا الدرس البليغ رجال :

منهم « أبو يزيد القيروانى » :

وكان يشترى الجوارى . . ثم يهديها لغير القادرين على الزواج من الشباب .

وكان هناك من يلاحق العزاب بالترتيب بل بالتأنيب . . ويروى فى ذلك :

عن إبراهيم بن ميسرة قال :

قال لى طاوس :

لتنكحنّ . . أو لأقولن لك ما قال عمر « لأبى الزوائد » : « ما يمنعك من النكاح إلا عجز أو فجور» !!

ولقد كانت مبادرات . . لا يكاد يبلغها خيال . . ومنها ماروى : من أن « علقمة » قال لامرأته وقد اشتد عليه المرض :

خذى أحسن زينتك :

ثم اجلسى عند رأسى :

فلعل الله يرزقك من بعض عوداى خيرا) (١) .

والموقف ليس فى حاجة إلى تعليق . .

فقد يفسده التعليق !!

ابن عربى يحل المعادلة الصعبة :

قال ابن عربى :

يا من يرانى ولا أراه . .

كم ذا أراه ولا يرانى :

فلما اعترض عليه أحد تلاميذه قال له :

---

(١) عيون الأخبار ـ كتاب النساء .

يامن يرانى مجرما

ولا أراه آخذا

يامن أراه منعما

ولا يرانى لائذا

« ابن عطاء الله » يطلب من « المزيد » ألا يطلب المـزيد . . . راضيا بحـاله التى أوجده الله تعالى عليها . .حتى يخرجه الله سبحانه منها .

ولا يرضى عن نفسه لأن الرضا عنها : شر .

بين المبادئ ... والمنافع :

هناك تاجر . . ذكى . . مشغول بالمنافع : [بالربح] :

ومن ذكائه الماكر أنه :

يستورد أشيـاء . . لانحتاجها . .كمثل دراجـات الأطفال . . التى تكلف أهليهم فوق ما يطيقون . . دون أن تنشئ فى كيان الصبيان قيمة عليا .

ولكنه لا يفعل ذلك عبثا ..وإنما هو منطق من خطة مدبرة .. واستقراء للـمجتمع من حوله :

١- فالقاعدة العريضة مهمومة بالسلع الاستهلاكية .

٢- وهناك من هونهم « بالموضة » والجرى وراء مستحدثاتها .

٣- ومن ثم فهم يسابقونها . .للحصول على ما يشتهون .

٤- يعينهم على ذلك أنهم يحطون بسهوله على المال الذى يريدون .

٥- فى الوقت الذى يشجعه الإعلام على ذلك الهوس .

٦- ثم صارت القيمة السائدة فى الأسواق هى :

[ماتكسب به .. لا تتردد فى اللعب به]

٧- وكانت النتيجة المرة :

أ- أنه لا ادخار . . تتهيأ به لمفاجآت المستقبل .

ب ـ وجدت نفسك أمام هذا التناقض العجيب :

المحمول . . فى مواطن محرومة من الصرف الصحى ولحم الطاووس يستورد . من أجل أناس لا يجدون شربة ماء صحية !!

ج - أمة على هذا النحو . . . . تفقد القدرة على التفكير . . ومن ثم . . فهى على خطر عظيم .

التاجر المسلم :

أما التاجر المسلم فهو ذلك الصحابى الجليل الذى بايع النبى ﷺ على النصح لكل مسلم :

ولم تكن النصيحة فى قاموس حياته مجرد موعظة يلقيها .

ولكنها كانت النصيحة المكلفة :

فقد اشترى رجل فرسا بثلاثمائة . . لكنه قال لصاحب الفرس :

فرسك أغلى من هذا : حتى وصل بثمنه إلى ثمانمائة !!

ويا له من التزام . . هو روح الإسلام .

من جنود الشيطان :

من جنود الشيطان التى يدغدغ بها إرادة المؤمن قوله : لو كان كذا . . ولولا كذا

ومكمن الخطر فيها :

أنها كلمات عابثة تعنى أنك معتمد على الأسباب لا على مسببها سبحانه وتعالى .

ولكن المؤمن يجعل من تصميمه خط دفاع يحبط وسوسة الشيطان هذه . . وشعاره: تركت ما أهوى . . لما أخشى : فكل شيء يبلى . . ولا يخلو بستان من أفعى . .

وهو مع هذا التصميم يحمل خلف ضلوعـه قلبا رقيقا : وقد يبكى . .ولكن الله عز وجل يرحم ببكائه الأمـة كلها . .وإذن . .فلنكن معه . .لنصل بـه – وبسهولة – إلى ما يرجو ونرجوه له من كمال .

نور البصيرة :

كان الصديقان على سفر . .وكان أحدهما فاقد البصر :

وفى الطـريق إلى بغـــداد . قال رفـيقـه له وهمـا فى عرض الطريق : اخـفض رأسك . . نحن نمر بشجرة .

ثم مكثا فى بغداد سنتين .

وفى عودتهما . .طأطأ الأعمى رأسه . .فى مكان ما من الطريق . .

فلما تساءل رفيقه قال له :

كانت هنا شجرة ؟!! فوجد صاحب الشجرة مقطوعة . .

وهو القائل :

ما وعيت شيئا إلا حفظته . .وما حفظت شيئا ونسيته !

وهكذا يرى المؤمن ببصيرته . .ما لا يراه غيره بالبصر !!

إذا كانت غاية المسلمين الكبرى هى : التعاون على البر والتقوى . .

فقد كان من واجـبهم التناصر ليبقى هذا الشعار قـائما . لكن المسلم قد تعرض له عوارض . .حين يجـد نفسه أحيانا فى مـواجهة خصم عنيـد . .أو عتل غليظ . . فيضطر إلى مداراته . .صيانة لمبدأ التعاون نفسه . .

وإلا . .فلو أعلن نفـوره منه . .أو سخطه عليـه . .لما بقى للتعـاون أثره الجامع المانع .

العلم :

لاتسىء بالعلم ظنا يافتى

إن سوء الظن بالعلم عطب

لا يزهِّدك أحد فى العلم أن

غمر الجهال أرباب الأدب

إن تر العالم نضِوا مرملا

صفر كف . .لم يساعده سبب

وترى الجاهل قد حاز الغنى

محرز المأمول من كل أرب .

قد تجوع الأسْد فى آجامها

والذئاب الغين تعتام القتب

جزع النفس على تحصيله

مضض المرَّين : ذل وسغب

لا يهاب الشرك خطّافُ الجنى

وإبار النحل مشتا الضرب (١)

علم اليونان :

واعجبا لمنطق اليونان

كم فيه من إفك ومن بهتان

مخبط لجيِّد الأذهان

ومفسر لفطرة الإنسان

مضطرب الأصول والمبانى

على شفا هار . .بناه البانى

أحوج ما كان إليه العانى

يخونه فى السر والإعلان

(١) يراجع «أضواء البيان» ج ١/ ٦٢ .

يمشى به اللسان فى الميدان

مشى مقيد على صفوان

متصل العثار والتوانى

كأنه السراب بالقيعان

بدا لعين الظمئ الحيران

فأمّه بالظن والحسبان

يرجو شفاء غلة الظمآن

فلم يجد ثم سوى الحرمان

فعاد بالخيبة والخسران

يقرع سن نادم حيران

قد ضاع منه العمر فى الأمانى

وعاين الخفة فى الميزان

من أريحية المضيف :

قام ابن عبدالعزيز ﷺ بنفسه . فأطفا السراج . فعاتبه الضيف . .

فقال له عمر :

ليس المروءة استخدام الضيف .

فقال الضيف :

أيقظ الخادم لينوب عنك .

فقال :

إنه نائم . . فدعه يستريح . .

ثم أراد ﷺ تكييف الموقف طبق مفهوم الإيمان فقال للضيف :

قمت وأنا عمر

ورجعت وأنا عمر !!

ضرورات الحياة :

أمن غذائى

- اقتصادى

- مائى

- عسكرى

- سياسى

وأهم من ذلك كله :

الأمن على الحقوق الإنسانية : الأمن الإنسانى فرارا من النظم التى تركز على حقوق المجتمع على حساب كرامة الفرد

والأمن الإنسانى يحقق ما يلى :

١- احترام حقوق الإنسان .

٢- ضمان توفير الظروف التى تتاح فيها للفرد : الحرية .. والتحرر من الخوف .. والإبقاء على مكاسبه حتى لا تنقص من أطرافها .

إن حب الإنسان للإحسان .. فطرة .. فلنحيها بالوقوف معه .

قال « الأعمش » يوما عن الخليفة : ظالم .. ولى على المظالم ! فلما أعطاه الخليفة قال :

الحمد لله الذى ولى علينا من يعرف حقوقنا .

فلما عوتب فى ذلك قال :

جبلت القلوب على حب من أحسن إليها .

وجبلت على بغض من أساء إليها .

وصدق رسول الله ﷺ : « تهادوا تحابوا »

من أسرار العبادة :

الزكاة نصف العشر . . . متى ؟

إذا زادت حركة الغنى

والعشر . . متى ؟

إذا سقى الزرع « بالراحة » فلم يتحرك وفى ذلك من التحريض على العمل والحركة ما فيه .

ونحن اليوم :

نبنى المدرسة والمسجد من حق الفقير وهو ربع العشر .

ومعنى هذا : أن الفقير يبنى للغنى المدرسة والمسجد !

الفارق الهائل :

كان حديث الشيخ كجنى النحل . . ممزوجًا بماء الغمام . .

وقلت له :

إنى أحبك فى الله ، فقال :

يارب :

حببنا فيك . . حتى أكون أهلا لأن أحب فى سبيلك !

إلا إن ساعة معه لهى أفضل من سنوات .

بل إن سنة معه أفضل من سنة . . مع غيره !

لما اعترض صوفى على أبى الحسن الشاذلى لأنه يشرب البارد ويلبس الناعم .

كان رده :

عندما أشرب البارد . . فكل خلية فى جسمى تحمد الله تعالى . وعندما ألبس الجديد . . فكأن جبتى تقول للناس : أنا فى غنى عنكم .

أما جبتك المهلهلة فتقول لهم :

أنا فى حاجة إليكم !!

وكان فى موقفه صادرا عن الآية الكريمة ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ ﴾ [الأعراف: ٣٢]

وكان أيضا منطلقًا من حقيقة نفسية هى :

أن يتناول الدنيا وبقدر يحميه منها !!! كيف ؟

لأنه لوزهد فيها كلية . . غـشته ظلمتها . . وهو محتاج إليهـا لا محالة . . فيرجع إلى معانقتها أشد ما يكون! اشتياقا . . وهذا هو الانحراف !

اعرف الله يا عـبد الله . . وكن كيـف شئت متى اجتنبت المحـرمات : كل مما يباح . . والبس مما يتاح !

منطق !!

يقول المغرضون :

دية اليد . . باهظة . .

ثم تقطع هذه اليد نفسها فى ربع دينار !!!

والجواب :

لما كانت أمينة . . كانـت ديتـها ثمينـة ! فلـما سـرقت خـانت . . فهانت !!

« مطل الغنى ظلم . ومن أتبع على ملئ فليتبع » .

متى يكون القرض مشروعا ؟

فى حالات الضرورات القصوى . .

والمشار إليها بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ (١١٨) وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾ [طه: ١١٨، ١١٩] .

فما دام الفرد شبعان . . مستورا . . ريان . . مكسوا فلا ضرورة عندئذ .

فمن اقترض ليشترى سيارة فارهة مثلا فهو مترف .

فإذا وقع المسلم فى واحدة من هذه الأزمات . . فوجد من يقرضه . . فمن المروءة ألا تجعل من شكر النعمة أن تكفر بها . .

وإنما : إذا فعل المقرض أجمل ما يليق به فلتفعل أنت أجمل ما يليق بك وهو : أن ترد إليه جميله ردا جميلا . .

وإلا . . فلو ماطلت . . فهو الظلم بعينه فالذى يماطل . . مع أنه يملك مقدار الدين .

- ولو كان فقيرا - فهو ظالم . .

وحتى إذا كان المقرض غنيا . . فمن حقه أن نرد إليه ماله . . وإلا كنا ظالمين.

لماذا كان المطل نفس « الظلم » ؟

أ- لأنه لا يشجع القادرين على الإقراض خوفًا من المماطلة .

ب- إذا كان المطل بفتح المنافذ إلى معارك فإن الإسلام يسدها بالوفاء .

قال د . عبده سلام :

إن الدول الإسلامية أقل الدول استعمالا للدواء ونصيب الفرد فيها : جنيهان فى العام.

أما الدول المسماة « بالتقدمية » .

فإن نصيب الفرد فيها من الدواء قد يصل إلى خمسين جنيها إذ أنها تستهلك من إنتاج الدواء فى العالم ٨٨ ٪ .

وإنما كان الفرد المسلم كذلك لأنه من قوم قيل فيهم :

« نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع » :

ثلث للطعام

وثلث للشراب . .

وثلث للنفس . .

حتى لا يكون هناك ضغط على الرئة

وحتى قال حكماؤنا :

« نعم الإدام الجوع » . . لماذا ؟

لأنك لو أكلت بعد الجوع لذ فى حلقك كل شئ !!

أما الترف : فإنه يحملك على التفنن فى ألوان الطعام . .والنتيجة ! أن تحمل نفسك حملا على الأكل . .ولكن الجوع يجمّل لك كل شئ !!

الدكتور « شرقى فوتاكى » طبيب يابانى تجاوز عمره الستين : أقتنع بالإسلام دينا . . مع إنه سيحرمه من الخمر بل إنه كطبيب ..

أخذ يدعو مرضاه إلى نبذ الخمر . . وقبل ذلك يدعوهم إلى الإسلام . .وكانوا أكثر من عشرة آلاف

إن الخمر : أم الخبائث :

أى : تمت إليها بنسب كل الخبائث وهذا ما أكدته الأبحاث المعملية .

يقول الطب :

إن هذا المشروب أجرى أن يسمى « السّم » فآثاره تصل إلى المعدة والدماغ . وتبقى الأعصاب مأفونة لمدة يومين .

ولا يصلح الشارب لعمل صالح :

بل يميل دائما لإثارة الضجة والفرض وارتكاب الجرائم .

وقد ظن هذا فى أرقى أمم الأرض - أو من نسميها كذلك .

١- وقد دعت إلى تحريمها وفى أزهى عصور التاريخ وهى أقوى دولة فى العالم.

٢- ثم إنفاق ٦٥ مليون دولار . . مع الدعاية لها وقد بلغت الدعاية لشرح مضارها ٩ آلاف مليون صفحة وكان ذلك قبل التجربة .

وأما بعدها :

فقد قبل أثناء تلك المدة نصف مليون . . وصودرت أملاك . . وقوضت عروش !!

سؤال :

هل حراسة العقيدة . وحمايتها من تشويشات المبتدعة . . أهم من إثبات كلام الرسول أولا ؟ .

ثم بعد ذلك نحرسه !!!

وإلا . . فلو حرسناه قبل تمييزه كنا كمن يحارب بدعة ببدعة . . وباطلا بباطل

منطق الصوفى :

أصوم عن الأغيار قطعا . . وذكركم

سحور لصومى فى الهدى وفطور

ومدح رسول الله أصل سعادتى

أفوز به يوم السماء تمور

إذا ذكر ارتاحت قلوب لذكره

وطابت نفوس . وانشرحن صدور

قيل لسرىّ السقطى :

هل يجد المحب ألم البلاء ؟ قال :

لا . . وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة !!

والحلاج : قطعت يده اليمنى . . فضحك . .

ثم قطعت الأخرى . . فضحك كثيرا .

ثم خاف أن يصفر لونه من خروج الدم . . فانكب بوجهه ؟ ولطخه بالدم وقال

الله يعلم أن الروح قد تلفت ـ شوقاً إليكم . . ولكنى أمنيها ونظرة منك ياسؤلى ويا أملى ـ أشهى إلى من الدنيا وما فيها .

ياقوم : إنى غـريب فى دياركمو ـ سلمت روحى إليكم . . فـاحكموا فيـها ولم أسلم النفس للأسقام تتلفها

إلا لعلمى بأن الوصل يحييها

الحب بين أهل الهوى :

فليت شعرى والدنيا مفرقة

بين الرفاق ؟ وأيام الورى دول

هل ترجع الدار بعد البعد آنسة

أم هل تعود لنا أيامنا الأول

يا طاعنين بقلبى أينما ظعنوا

ونازلين بقلبى أينما نزلوا

لقد جرى حبكم مجرى دمى ؟ فدمى

بعد التفرق . . فى أطلالكم طلل

فى الكبر :

ذهب « إبراهيم بن عبدالرحـمن بن مهدى » للحج وفى مكة . . قابل « مـحمد ابن يوسف » والذى قال له :

بلغ أباك السلام . وقل له : هُن : (تواضع)

ومرض « عبدالرحمن شهورا » وقابل « محمد بن يوسف » قال له :

إن كان يرضيك . . تركـت التدريس ولكن « محمداً » وصـاه أن يراقب قلبه عند ازدحام الناس حوله ـ وازدحامهم فتنة ثم ليتبين :

هل يغتر بثنائهم عليه !!! أم هو مخلص !!!

وقداتهم بالكبر زورا . . من هو أفضل منه : قيل للحسن بن على ﷺ :

إن الناس يزعمون أن فيك كبرا وتيها : فقال :

ليس بتيه . .

ولكنه عزة المسلم .

ثم تلا قوله عز وجل : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

إنهم لا يعلمون . .

كما وأنهم لا يفهمون :

سلبيات (فى الإرهاب) :

الفكر للدكتور أحمد كمال أبو المجد

الفرد : مشغول بنفسه عن غيره يشغله الهم العارض عن همومه الكبرى .

والدولة : تحاور مرة . . وتقاوم بأعنف الوسائل . . مرات .

والمجتمع :

١- حائر . . قلق

٢- لا يعرف للعنق سببا محددا . . عاجز عن احتوائه .

٣- فى وقت . . كان المفروض أن يصل فيه إلى الفردوس المفقود بعد محاولة الأعداء التفرد بالساحة ، والإبقاء عليه تابعا .

ضرورة فض الاشتباك ..لماذا ؟

١- بعض الدول الخارجية تحفظ لهذا الإرهاب . .وينبغى ألا نمكنها من ذلك

٢- يفرق المجتمع فى العنف . .وسوف يفقد الثقة بالحكومة والإرهاب معا . .

ثم يفتح صدره لمجهول : يمنحه ثقته . مهما كان ذلك المجهول .

٣- سيجذب كل فريق من المتنازعين أطرافا أخرى . . تدخل ساحة . .ما كانت تظن أنها ستدخلها وتخطئ الحكومة . . إذا ظنت أن كل الجماعات سواء ، وهي تعمل على تدميرها .

مع أن هناك قاعدة عريضة من الشباب نواياهم حسنة .

وبنفس القوة : يخطئ الشباب حين لا يحاور الآخرين مكتفيا بالحديث عنهم . . بلا لقاء ولا مواجهة . . وحين يظن أن الحكومة تريد تدمير الكل .

ومازال الأمل معقودا فى :

حوار :

يشحذ العقول ، ويحشد الجهود

ليصب ذلك كله فى الاتجاه الصحيح

ثم ماذا بعد الحج :

وعلى الحاج أن يسأل نفسه :

هل ستستمر على ذلك الصفاء :

١- تذكر التوحيد . . وما يثمره من وحدة .

٢- وتذكر عداوة الشيطان . . والاستمرار فى « رمى » وساوسه ؟

٣- هل مازالت تلك المنافع . . أو هذه المكاسب . . هل مازالت متوهجة فى كيانك ؟

٤- تذكر نعمته تعالى عليك أن كنت « الذابح » ولم تكن الذبوح !

٥- إننا كأمة مسلمة لانعبد المكان . كما وأننا لا نعبد الزمان : ولكن . . نعبد رب هذا الزمان . . وهنا المكان سبحانه وتعالى.. وربنا فى الحج هو ربنا عز وجل قبل الحج وبعده .

فلنعبده . . ولنصطبر لعبادته كما كنا فى الحج . . حتى يظل نهر الصفاء ماضيا بنا إلى الإمام . .

الرد خالص !! :

قال قتادة معتزا :

ما نسيت شيئا أودعته قلبى .

ثم قال لخادمه : أعطنى حذائى .

فرد عليه : هو بيدك ياسيدى !!

وهكذا جاءه الرد القاصم .

وقيل لرجل :

لم لا تحضر الجماعة ؟

قال أخاف أن يزاحمنى البقالون !!

وقد قالوا :

ماتكبر أحد إلا لإحساسه بذلة فى نفسه .

ولذلك يقول متواضع لمتكبر :

تمنيت أن أكون مثلك فى نفسك . . ولا تمنيت أن تكون مثلى فى نفسى !!

لا علاج للكبر والتعنت العلمي إلا بالتواضع

وهاك صورا من تواضع العلماء العلمي وكيف كان سلوكهم متميزا عما نراه عصرنا الحاضر . عن شقيق قال : (سئل عبد الله عن شيء فقال : إني لأكره أحل لك شيئا حرمه الله عليك وأحرم ما أحله لك) وعن حميد قال : لأن أرده بـ أحب إلى من أن أتكلف له ما لا أعلم (استفتى رجل أبى بكر كعب فقال : يا المنذر ما تقول في كذا وكذا ؟ قال : يا بني أكان الذي سألتني عنه ؟ قال : لا قال: أما لا فأجلني حتى يكون . وعن ابن مسعود قال : (ستجدون أقواما يزعـ إنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتـ وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق) قال تعالى ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ رسول الله ﷺ : « **إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فاحذروهم** » أ . هـ

عزاء !!

رثاء « متحم بن نويرة » أخاه « مالك بن نويرة » وكان قتل بيد خالد . .

وقد استنشده عمر ذلك الشعر ومنه لقد منى عند القبور على البكاء . . .

رفيقى . .لتذرا فى الدموع السوافك

فتأثر عمر وقال :

ليت مثله قيل لآخر « زيد بن الخطاب »

- وكان من شهداء الاسلام .

وعلى الفور . . قال « متمم » .

ولكن أخى « مالكا » لوقتل كما قتل أخوك . .لم أبك عليه !!

فقال الفاروق ﷺ :

لم يعزنى أحد فى أخى « زيد بن الخطاب » أحسن من هذا العزاء .

يقول « منذر بن سعيد » الفقية الأندلسى يذم المتعصبين من الفقهاء :

عَذْيرى من قوم يقولون كلما

طلبت دليلا : هكذا قال مالك

فإن عدت قالوا هكذا قال أشهب

وقد كان لا تخفى عليه المدارك

فإنه زدت قالوا قال سحنون مثله

ومن لم يقل ما قاله فهوا آفك

فإن قلت قال الله ضجوا وأكثروا

وقالوا جميعا أنت قرن سماحك

وإن قلت قدمان الرسول فقولهم :

أنت مالكا فى ترك ذاك المسالك

الدعـــوة
والتخصص

أعلم التابعين بالطلاق : ابن المسيب وأعلمهم بالحج : عطاء

وأعلمهم بالحلال والحرام: طاووس وأعلمهم بالتفسير : مجاهد

وأجمعهم لذلك كله :

سعيد بن جبير

رضي الله عنهم أجمعين

وهؤلاءهم أهل الذكر . . .

من سلبيات الولائم :

قال بعض السلف :

أدركت قومـا لم يكن لهم عيـوب . فذكروا عـيوب الناس . فذكـر الناس لهم عيوبًا. وأدركت قوما كانت لهم عيوب . فكفوا عن عيوب الناس . فنُسِيتَ عيوبهم.

وتلك واحدة من مساوئ الولائم !

وحتى إذا لم تكن « غيبة » فهو من لغو الكلام .

ثقافة الصمت !

وفى عصور الظلام : يستطيع الإنسان أن «يفعل» أى شىء . .

ولكنه لا يستطيع أن « يقول » أى شىء . . .

بيد أن الأذكياء لا يطيقون التخلى عن واجب النصيحة :

النصيحة التى يُجْرونها عـلى ألسنة الطير والحيوان . .لتنوب عنهم فى البلاغ وهم صامتون

دعوى الشجاعة :

قيل لبشار بن برد :

فلان يزعم أنه لا يبالى : أَلِقَى واحدا . . أوألفا !!

فقال :

صدق :

لأنه يفر من الواحد كما يفر من الألف !!

حكمة !

إذا أنت لم تعرف لنفسك حقها

هوانا بها . . . كانت على الناس أهونا

ومن حقك أن تنطق بحاجتك . .

فإذا لم تنطق بها . . فأولى بك الخرس .

ومن جعل نفسه عظمة . . أكلته الكلاب . .

أهمية الشعر :

قال الشاعر :

فغض الطرف : إنك من نمير فلا كعب جفت ولا كلايا

فكان الرجل يستحيى أن ينسب إلى القبيلة

فأنشد شاعر :

قوم همو الأنف والأذناب غير همو

ومن يسوى بأنف النائحة الذنبا ؟

فكان الرجل من القبيلة - بعد هذا البيت - يفخر بأنه منها !!

هكذا يتصرف العبيد !!!

منصور بن عمار . . كان فى مجلسه العلمى . . ودخل فقير يشكو المسغبة . .

ولنترك المجلس مؤقتا . لندرك من تدبير الله تعالى ما يعمق إيماننا :

كان هناك مجلس آخر ـ يشرب فيه الرفاق الخمر . .

وفجأة قال صدر المجلس لغلامه: خذ هذه الأربعة دراهم . .واشتر للمجلس فاكهة ومر الغلام على مجلس المنصور الذى سمعه يقول :

من أعطى هذا الفقير أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات

فأعطى الغلام الفقير ما معه وهو : أربعة دراهم .

فقال له منصور :

بماذا تريد أن أدعو لك :

قال :

أن يعتقنى سيدى .

قال : دعوت لك . .

والثانية ؟

قال : أن يخلف الله على الأربعة دراهم قد دعوت لك.

والثالثة :

أن يتوب الله على سيدى

- قد دعوت لك . .

والرابعة ؟

أن يغفر الله لى . .ولك . .ولسيدى وللقوم الشاربين . .

فقال منصور :

قد دعوت لك . .

فانصرف راشدا

ولما عاد إلى سيده متأخرا سأل عن سبب تأخيره قصى عليه القصة . .

فقال سيده :

أنت حر لو جه الله . .

وهذه أربعة آلاف درهم . . .

وتبت إلى الله . .

أما الرابعة . . فهى إلى الله تعالى

وليست إلى . .

فرأى فى المنام كأن قائلا يخاطبه :

قد فعلت ما إليك . . أفلا تفعل ما إلينا ؟

قد غفرت تم جميعا

قالوا :

فى النظام الاستبدادى :

يظهر على مسرح الحياة : نقاد فقط . . ثم يزدهر الفن « العملى »

لماذا ؟

لأنه لا يتدخل فى السياسة ؟!

ثم تفعل فيه كل ما تستطيع لكنك لا تقدر على أن تقول شيئا

أثناء المعركة :

مع ولاء الجندى المسلم لدينه والتزامه بطاعة قائده إلا أن له شخصيته المستقلة . . وبالتالى مسؤوليته المباشرة عن تحقيق النصر المأمول :

يقول عز وجل :

﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ ﴾ [الأنفال : ١٦]

إن له دوره الفردى : (متحرفا)

وله كذلك دوره فى إطار الجماعة : ﴿أو متحيزاً إلى فئة ﴾

معايير اختيار الموظف :

يتم اختيار الموظف فى الإسلام على أساس :

القوة

والأمانة

﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [القصص : ٢٦]

ولكنها القوة المناسبة لنوعية الوظيفة :

فالقائدة العسكرى . . . مفروض أن يكون مقداما جسورا . .

وإن كان أقل فى التقوى .

ولا يؤخر الكفء . . لأن غيره سبقه إلى طلب الوظيفة ومن سأل الإمارة . . لا يعطاها . . أو يوكل إليها .

ومن جاءته تجرجر أذيالها . . أعين عليها .

فإذا تربع المدبر على الكرسى :

كان فى الإدارة : أوامره صارمة حازمة .

لكنها عند التنفيذ تكون راجحة . .

وواجب الرعية معه هو ذلك الدستور .

من جمع لكم مع المحبة رأيا . . . فاجمعوا له مع المحبة . . طاعة .

إن نجاح المؤسسة ليس بكثرة الموظفين . . وإنما يكثرة العاملين ذلك بأن العمل «أبو النجاح » والحظ واحد من أقاربه !

المقابلة الشخصية :

ولقد كانت « المقابلة الشخصية » واحدة من الأمور التى تحدد ملامح طالب الوظيفة . . ومدى صلاحيته لها :

قال الرجل لصاحب العمل :

أريد وظيفة . . فقال له : ما اسمك !

قال : ظالم بن سراقة !

فقال له صاحب العمل :

ظالم . .وأبوك سارق . . أخرج من هنا !!

ولكن إذا وقع الاختيار على المستحق لها . .كان عند حسن الظن به .

قال المدير للمرؤوس الجديد :

أنا أعطيتك نصف الوظيفة . .والنصف الآخر منك أنت . .بحسن عملك !

رعاية الأقدمية :

كان للأقدمية أهميتها فى التقديم و التأخير . .

بيد أنها لم تكن أقدمية عشوائية تحتكم فقط إلى شهادة الميلاد .

ولكنها أقـدمية السبق إلى الاسـلام . .ومقدار البلاء فيـه ، ذات يوم . .جاء أبو سفيان . .ومعه صحابى جليل . أقدم منه صحبة .

فقال رجل :

أقبل أبو سفيان . .وفلان

فقيل له :

بل أقبل فلان . .وأبو سفيان !!

فلئن كان أبو سفيان . . غنيا . . وقـويا . . فإن من سبقه إلى الإسلام أغنى منه وأقوى . . ومن ثم يجب الاستهلال باسمه . .

ذلك بأن أبا سفـيان حتى وإن كـان قد ولد قبله . .فـإن هذا الصحابى أكـبر منه بتقواه !

النذر .. وضرورة الالتزام :

أرأيت لو أنك صليت المغرب أربعا !!

لا يجوز . .

فالركعة الزائدة : حركة . . أو موجة سوف تتلاشى فى اليم العظيم . . ثم لا يبقى لها أثر . .

ثم إنك عندئذ مخل بمعنى الالتزام وهو : الانقياد للمشروع . . بمعنى أن « ملكة التبعية له غير حاضرة . مع أنها الأهم .

مع الشيخ « أحمد الطيب » :

نقد التحضر المصطنع :

(وقد صدق عبدالله الطيب . فليس للعجم بأوروبا عقدة في استضعاف الذات تدعوهم إلى توهم نقص في أدبهم ، لا في الجوهر ولا في المظهر وإنما تلكم هي العقيدة التي تستحكم ببعض نقادنا وشعرائنا وتسوقهم صوب التقليد بغير تبصر أو رشد ، وإلا فأي شيء غير التحضر المصطنع يجعل من أبي القاسم الشابي ، ابن التراث ، وخريج الجامعة الزيتونية ، وابن القاضي الشرعي - يحتشد بمعاني وحدة الوجود والرموز النصرانية في شعره ؟! وبملاحظة عبدالله الطيب لكل ذلك يقول : «وأناشيده ليست من أغاني عرس العرب ولا ليلات نشيد الأذكار . . . والمدائح النبوية ولكن من توهم ترانيم كنسية في القلب . ومن العجب أن إيليا أبي ماضي ليس في نونيته كما يقصد قصيدة وطن النجوم . من الكنسيات ما في دالية الشابي » (١) ، ويعنى قصيدته الذائعة المسماة « صلوات في هيكل الحب ! » وقد استقصى فيها صاحب « المرشد » كثيرا من المفردات والإيحاءات والإيماءات والظلال الكنسية ! .

ذلك الانتماء المتفسح لمحه صاحب المرشد أيضا في بعض شعر محمود حسن إسماعيل كقصيدة « شاعر الفجر المؤذن » في ديوان « الكوخ » وقد قال الشاعر في تقديمها : « في ذلك الصوت العميق الذى يهتف في صمت السحر من القباب والمآذن تتدفق روحية الشرق ويهتز بأشباح وطيوف شعرية هفافة » . . وعقب عبدالله الطيب

---

(١) الرابطة : شوال ١٣٢٤ .

على ذلك التقديم قائلا : « لا يعجبنى قوله ـ روحية الشرق ـ في معرض الحديث عن الأذان »

لم يوفر شوقيا من النقد :

هذا ولم ينج شاعر فحل كشوفي عندما انحدر إلى دعاوى الجاهلية القومية من نقد العميد . ففي تحليله وتعليله لأسباب هبوط شعر شوقي وبروده عندما نظم قصائده الأربع في « توت عنخ آمون » وغيرها ، قال :إن شوقيا قد أتى من ناحية علمه بالتاريخ . ذلك التاريخ الذي كان يحيط بتفاصيله ودقائقه ولكنه لا ينفعل به لأنه تاريخ غير إسلامى : « ومهما يبلغ إيمان شوقي بوطنه وتعصبه لتاريخه ، فإنه ما كان ليبلغ عمق اعتقاد أوميروس في خرافاته وآلهته ، كلا ولا عمق اعتقاد دانتي في نصرانيته ، أو ملتون في بيورتانيته ، أقول هذا على تقدير التسليم بأن شوقيا لم يكن له من دين إلا حب مصر ، والتعصب لها ، مع أن الحقيقة التي لا يمكن دفعها أنه كان مسلما صادق العقيدة ، وأن غرامة بمصر كان طرفا من غرام أبرع وأوسع وهو غرامه بلغه العرب . .ومدنيتهم ، وبالإسلام كما تجلى أيام الرشيد وهشام ، وكما كان يوده أن يتجلى في دولة بني عثمان » (١٥) ، يقصد دولة الخلافة الإسلامية في تركيا في العصر الحديث .

سحر الكلمات

سد منافذ التخيل الردىء

فى قصة يوسف عليه السلام :

قال :

﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾[يوسف : ٢٣].

يقول عز وجل :

﴿ بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴾[آل عمران : ١٢٥] .

ومع أن مَلَكا واحدا يكفى . . لكنه تعالى ذكر العدد . . لأنه يرفه الروح المعنوية .
وبدليل قوله تعالى .

﴿ ... أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَامًا ﴾ [العنكبوت : ١٤] لأن ذكر « الألف » أعون على بيان المراد وهو ما لا يتحقق لو قبل ٩٥٠ عاما !!

حكم :

قال حاتم الأصم : كان يقال : العجلة من الشيطان إلا في خمس ، إطعام الضيف إذا دخل ، وتجهيز الميت إذا مات ، وتزويج البكر إذا أدركت ، وقضاء الدين إذا حل ووجب ، والتوبة عن الذنب إذا وقع .

فوائد التدخين :

قالوا : إن المدخن يجني من التدخين ثلاث فوائد :

هي : أن شعر راسة لا يشيب ، وأن الكلاب لا تعضه ، وأن اللصوص لا تدخل بيته .

ذلك : أنه يموت قبل أن يبلغ سن الشيخوخة ، وأنه يصاب بارتجاف في أعصابه فيضطر إلى التوكؤ على عصاه ، فلا تقربه الكلاب . . . وأنه يسعل كثيرا في الليل ، فيظنه اللص مستيقظا ، فلا يدخل بيته .

الإنسان : بهمته .. لا بمهنته !

كان أبو حنيفة إذا ذهب ليطالب بدين له . . لا يستظل بجدار المدين . . حتى لا يأخذ منفعة أكثر من ماله .

وكان إذا أشكلت عليه مسألة قال :

ذلك لذنب جنيته !

ثم يقوم فيصلى ركعتين . . فيلهمة الله تعالى الحل . وهو الذى أفتى من حلف على زوجته فوق السُّلَّم :

أنت طالق : إن صعدت . . . أو نزلت . . فقال له : مرها لترمى نفسها !!

وهو ما أغرى من نسى المكان الذى خبأ فيه ماله ليسأله :

فقال له : توضأ وصل ركعتين . .

فلما فعل . . تذكر المكان . .

فلما ذهب ليجد الإمام قال له :

كنت أعلم أنه لن يتركك تصلى الركعتين !!

فهلا صليتهما . . شكرا

فقال : أفعل إن شاء الله . .

ولا شك أنهما : ركعتان ، لا تسل عن حسنهما وطولهما مما يهزل بهما الشيطان!!

مفارقات :

نصنع طفل الأنابيب . . منفصلا عن مجتمعه . . فهو غير طبيعى ثم نقتل بالكيماويات الرجل الطبيعى إذا كان ملونا

عالم فقيه فى الدين

عامل متدين . .

إذا كان فى الشرع ما هو : مهم . . وما هو أهم فليس فيه ماليس بمهم !!

لما قال فرعون :

﴿ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ﴾ [الزخرف: ٥١].

«علاه» الله تعالى بالماء . . فغرق !!

الغرب يلهث وراء السنة النبوية :

مثال : الحجامة !

«لقد أوصانى جبريل بالحجم حتى ظننت أنه يدفنه».

يقول طبيب ألمانى :

(عبقرية علاجية لا يعرف لماذا تركها العرب وفتحت لها أوروبا خاصة ألمانيا وأمريكا مدارس للدراسة والعلاج)

الحالمون الواهمون :

نعرف الواقع . . ثم نحس به . . ثم نصدق فى الإخبار عنه

ولكن ناسا يجمع بهم خيالهم فيتجاهلون ذلك الواقع . . ماضين مع أمانيهم . . لامع واقعهم وهم :

الجاهل .

والغافل

والمغالط

هؤلاء الذين وصفهم المتنبى فقال :

تصفو الحياة لجاهل أو غافل

عما مضى منها وما يُتوقع

ولمن يغالط فى الحقائق نفسه

ويسومها طلب المحال فتطمع

ومنهم هذان الأعرابيان :

قال أحدهما للآخر :

بقيت قطعة من الليل لم تنجل فى جانب الوادى . فحملت عليها بفرس . . فمازالت بها حتى انجلت ! فقال له صاحبه :

أرسلت سهمى وراء ظبى لأصطاده . فتيامن الظبى . . فتيامن السهم معه . . .

وتياسر الظبى . . فتياسر السهم معه .

فوثب الظبى فوق ربوة ـ فارتفع السهم معه

ومازال به حتى صرعه !!

وهكذا الأمانى بضاعة الحمقى !

ومصاحبتهم شر يسرى إلى غيرهم بالعدوى . . ومن الحكمة تجنبهم :

إن صحبة الأخيار . . تورث الخير ، وصحبة الأشرار . . تورث الشر :

كالرياح :

إذا مرت على نتن حملت نتنا . . وإذا مرت على الطيب حملت طيبا .

ألا وإن صلة العاقل : إقامة لدين الله . وهجران الأحمق : قربة إلى الله .

وإكرام المؤمن خدمة لله وتواضع له .

ومن مأثورات الإمام على ﷺ :

لا تؤاخ الأحمق . . ولا الفاجر :

أما الأحمق : فمدخله ومخرجه شين عليك . .

وأما الفاجر فيزين لك فعله . ويود أنك مثله .

ألا [وإن حمق الرجل يفسد عقله . . ولا دين لمن لا عقل له]

وقد كان هناك حكماء . . حتى على مستوى الأعراب فقهوا هذا المعنى .

قيل لأحدهم: لقد هجرت أخاك الفاسد . . فلا تقطع أخاك وهو من أمك وأبيك .

فقال : أنا أقطع الفاسد من جسدى . . الذى هو أقرب إلى منه . . فكيف لا أقطعه إذا فسد ؟!!

ولقد كان للعقلاء توجيهاتهم . . بل تحذيراتهم من صحبة الحمقى :

عن أبى يوسف القاضى قال :

ثلاث : صدق باثنتين . . ولا تصدق بواحدة :

إن قيل لك : إن رجلا كان معك فتوارى خلف حائط فمات . . فصدق

وإن قيل لك : إن رجلا فقيرا . . خرج إلى بلد فاستفاد مالا . . فصدق .

وإن قيل لك : إن أحمقا خرج إلى بلد فاستفاد عقلا . . فلا تصدق !

وفى هذا المعنى قال الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به إلا الحماقة أعيت من يداويها

الحج ووحدة الأمة :

على مدى قرون طوال . . ظلت الحرب سجالا بين القبيلتين . .

ثم تطاول بالخلاف العمر . . وما تزال الدمـاء تنزف بين الفريقين . وكلما سالت الدماء . . اتسع الجفاء . . وعز الشفاء .

وذات يوم . . أحس شبـاب من الفريقين بالخصام يلقى بظلاله الـكثيفة والكئيبة على قلوبهم الغضة .

وكان الإحســاس بالإحباط عنيفا . . فـقرروا أن يفعلوا شيئـا ربما تلتئم به الجراح الناغرة .

فماذا فعلوا !

قرروا أن يذهبوا إلى . . القطب الجنوبى . . لماذا !

لعل فى وعثاء السفر . . ووحشـة الطريق . . وصعوبة الهدف . . لعل فى هذا ما يجمع بينهم فى بوتقة واحدة . . تحملهم على أن يكون بعضهم لبعض ظهيرا . .

لعل الأحداث أن تكون كالمصائب التى تجمع المصابينا .

ولعلهم وقد عادوا متحدين أن ينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم . .

ليجربوا الوحدة التى صاروا نواة لها !!

ولكن . . هل حققت المحاولة هدفها !

لقد صار أمرها على ما يقول العقاد :

(لو وضعنا البصل والورد والقطن . والرز والجوافة فى علبة واحدة :

فوجـودها معـا لا يدل على أن خلافـاتها زالت . . ولو وضعناهـا فى إناء واحد

يغلى . فإن النتيجة سوف تكون : انعدام خصائص الجميع)!

ولقد صدق العقاد فى تصويره . . الذى حسم به الخلاف بين الوحدة المشتقة من التوحيد ومجرد الاتحاد بين أشتات من البشر : تفرقت بهم العقائد . . وتنوعت العادات . .

ومن العسير أن تجمعهم غاية هى غير محببة . . وحركة لا تخدم مبدأ . . وقلوب مستمسكة بما يحقق مصلحتها . ولا عليها من شقاء رفاق الطريق . .

وسوف يعودون من رجلة المعانة عطاشا جائعين . . إلى العقيدة الكفيلة وحدها بأن تجعل من ملايين البشر قلبا واحدا . . وذلك ما تحققه فريضة الحج عن طريق شعائره وشرائعه وأول خطوة على طريق الوحدة :

إطراح العقل . .

ولا يعنى إطراحه : إلغاءه . .

وإنما يعنى : توقفه عند أعتاب عالم رفيع وسيع . . تجد فيه الروح سرحها الخصيب . .

هذا العالم الذى لا مجال للعقل فيه ولا للفلسفة !

هذا العقل الذى به نفلسف حياتنا . . وبه يكون المراء ثم الجفاء . . ثم العداء . . وعليه أن يتراجع . . ليتيح للنفوس والأرواح أن تتجرد من شهواتها . . وأن تكون فى مثل بياض الثياب : متناسية نعرات القبيلة والعصبية . . فإذا المسلم بهذا الصفاء ينقل خطاه على الأرض المباركة فى موكب الإيمان . . بل فى موكب التاريخ . على ما يقول « وحيد الدين خان » : [يفارق الحاج وطنه متجها إلى الحجاز . . كما كان إبراهيم عليه السلام قد خرج من العراق متجها إلى الحجاز .

ويتخلى الحاج عن ملابسه العادية . . ويلف حول جسده رداءين وهذا اللباس مماثل للباس الذى كان إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام يرتديانه .

وعندما يصل الحاج إلى مكة ويطوف حول الكعبة . . فهو يقلد الطواف الذى قام إبراهيم وإسماعيل توثيقا للعهد الإلهى .

وعندما يسعى الحاج سبع مرات بين الصفا والمروة . فهو يقلد سعى « هاجر » بحثا عن الماء فى الصحراء .

وعندما يتوجه الحاج إلى الجمرات . فيرمى الشيطان بالحجارة :

فهو يكرر عملهما . . رفضا لإغواء الشيطان .

ثم يجتمع كل الحجاج بميدان عرفات :

وهذا هو الشكل النهائى لكلمات: « لبيك اللهم لبيك »

التى يرددها كل حاج .

وهى كلها وقائع . وقعت لإبراهيم عليه السلام . وأسرته .

خلال تنفيذ الخطة الإلهية التى سبق ذكرها)

وصدق الله العظيم إذ يقول :

﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ﴾ [النحل: ١٢٣] .

وهكذا يصير المسلم بالحج مواطنا تاريخيا . . يحقق مع الجماعة المؤمنة أهداف وجوده : فى وحدة جامعة مانعة . . تتراجع فيها « الأنا » لتكون « نحن » مقياس التعامل . . إلى الحد الذى سمعنا فيه

من يتوجه إلى الله تعالى بالدعاء :

[اللهم : إن قبلت حجتى . . فإننى أهبها لمن لم تقبل حجته] !!

ويكفى هذا النموذج الفذ . . شاهدا بتلك الوحدة الإيمانية التى صار بها المسلمون جسدا واحدا . . إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .

أجل يكفى :

فأنت غير مكلف أن تغوص فى البحار والمحيطات . . لتكتشف خصائصها . . كما تكفى قطرة واحدة : نحللها فإذا أنت عالم بخصائص الماء . .

كل الماء :

وفى مجال البشر نقول ذلك :

فهذا الرجل المتجرد . . التقى . . النقى . . عندما يصل بـه الحج إلى هذا المستوى العالى . فـإنما يعكس ما يصنعـه الحج من وحدة . . تثـمر هذا اللون من التـعاون بل الإيثار والذى يؤكد أن ربوة الإسلام هى وحدها التى تجمع القطيع الشارد . . وعليه أن يعود إليها ليحس بوجوده .

وكل محاولة تسقط الإسلام من حسابها . . فإنها تريد حسيرة كسيرة . .

ونعوذ بالله من الخزلان

جواز الجلوس إلى المرأة الأجنبيه :

شريطة أمن الفتنة.. بمعنى :

أن يكون الرجل ثقة

وأن تكون المرأة عجوزا . .

وعندما قـابل أبو هريرة المرأة المتطيبة فى الطريق . . أمـرها بالعود إلى بيتـها . . لتغتـسل . . كما تغتـسل من الجنابة" . . لأن من فاح عطرها لغير زوجـها . . فكأنما زنت وإذن فلتغتـسل . . وقد قـال للمتعطرة : تـقـولين : ذاهبة إلى المسجـد يا أمة الجبار ؟!

وعندما شوهد ﷺ مع صفية:

قال : « إنها عمتى » . . ليطرد الهواجس التى قد تحدث بها النفوس .

أما فيما يتعلق بأم سليم والدة أنس ﷺ . .

فقد كان :

يزورها . .

بل يكثر من زيارتها .

بل . . وينام على سريرها

فقد كانت عجوزا .

وعلى ضوء هذا نفهم دعوة أبى بكر لعمر رضي الله عنهما :

اذهب بنا إلى أم أيمن (مرضعته ﷺ)

فقد كانت الفتنة مأمونة :

فهى عجوز . .

والرجلان ثقة .

فتوى الشيخ :

١- سئل يقال : الملائكة في بدر شاركت فى القتال وهذا مما يقلل من شأن المقاتلين وأغرقنا الشيخ فى طوفان من الآراء ونسى أن يقول :

البدريون محتفظون بمركزهم لأن الملائكة ما نزلت إلا بعد أن كانوا أهلا لذلك .

﴿بلى إن تصبروا ﴾ .

٢- والآية صريحة بأن لهم دورا رئيسا .

﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [التوبة : ١٤] فإذا اشتركت الملائكة فلا بأس ولابأس من استحقاق المقاتلين للثواب .

أخفى « الموظف » بعض الأوراق من مكتب زميلته فى الديوان . .وترتب على ذلك : فصلها . .

وقد رأت زميلتها ذلك . .وهى حائرة ماذا تفعل لإحقاق الحق وإبطال الباطل .

وإذا كان هناك من يجيب بالويل والثبور للشيطان الأخرس الساكت عن بيان الحق . . فإن هناك حلا عمليا هو :

اجتماع كل الزملاء . . وطرح القضية . . ثم مطالبة الجانى بإنقاذ ما يمكن إنقاذه . . فإن فعل فبها . .وإلا رفع الأمر إلى ولى الأمر !

(١) بوسط مكة المكرمة لليابسة ، وإثبات وجود الأرضين السبع كلها فى أرضنا،

انطلاقا من حديث سيد المرسلين (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) الذى قال فيه: « **من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين** » ومن دراسات التركيب الداخلى للأرض ثبت أن أرضنا مكونة من سبع أرضين متطابقة حول مركز واحد يغلف الخارج منها الداخل ، مما ينطبق وقول رسول الله (ﷺ) : « **إن الحرم حرما مناء من السماوات السبع والأرضين السبع** » ، وقوله (ﷺ) : « **يا معشر قريش ، يامعشر أهل مكة ، إنكم بحذاء وسط السماء ، وأقل الأرض ثيابا، فلا تتخذوا المواشى** » .

وقوله (ﷺ) : « **البيت المعمور منا مكة** » ووصفه البيت المعمور بأنه بيت فى السماء السابعة على حيال الكعبة تماما حتى لو خر لخر فوقها .

كل ذلك يؤكد لنا أن الأرض فى مركز الكون ، وأن الكعبة المشرفة فى مركز الأرض الأولى ، ودونها ست أرضين ، وحولها سبع سماوات ، والكعبة تحت البيت المعمور مباشرة ، والبيت المعمور تحت العرش . هذا الموقع المتميز للحرم المكى أعطاه من الشرف والكرامة ، والبركة والعناية الإلهية ما جعل من هذا الوصف القرآنى ﴿وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] حقيقة مدركة ملموسة لأنه دخل فى أمان الله وظل عرشه، وهل يمكن أن يضام من نال شرف الوجود فى هذا المكان ؟

من هنا كان اختيار الحرم المكى ليكون أول بيت عبدالله (تعالى) فيه على الأرض، وليكون قبلة للمسلمين ، ومقصدا لحجهم واعتمارهم ، وجعلت الصلاة فيه بمائة ألف صلاة ، والحسنة فيه بمائة ألف حسنة ، لذلك قال رسول الله (ﷺ) فى حق مكة المكرمة عشرات الأحاديث النبوية الشريفة التى تؤكد خصوصية المكان ، ومكانته عند الله (سبحانه وتعالى) ومنها قوله (عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم) : « **هذا البيت دعامة الإسلام ، من خرج يؤم هذا البيت من حاج أو معتمر كان مضمونا على الله إن قبضه أن يدخله الجنة ، وإن رده أن يرده بأجر وغنيمة** » (رواه ابن جريح عن جابر ﷺ) .

فسبحان الذى اختار مكة المكرمة موقعا لأول بيت عبد فيه فى الأرض ، واختاره

بهذه المركزية من الكون ، وغمره بالكرامات والبركات ، وقرر أن من دخله كان آمنا ، وهذه حقائق ما كان للإنسان أن يدركها لولا نزول القرآن الكريم ، وحفظه بلغة وحيه بحفظ الرحمن الرحيم ، فالحمد لله على نعمة الإسلام ، والحمد لله على نعمة القرآن ، والحمد لله على نعمة مكة المكرمة ، والحمد لله على بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين (ﷺ) .

رابعا : فى قوله تعالى : ﴿ ... وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ... ﴾ [آل عمران : ٩٧] :

هذا النص الكريم يفيد أن الحج فريضة افترضها الله (تعالى) على المستطيع من عباده تعبدا لجلاله وتنسكا ، والمفهوم اللغوى ل (العبادة) أنها قمة الخضوع لله (تعالى) بالطاعة لأوامره ، ومفهوم (التعبد) هو التنسك لله (تعالى) طلبا لمرضاته .

والأصل فى العبادات أنها لا تعلل ، لأنها من الأمور التوقيفية التى لا يملك المسلم حيالها إلا القبول والتسليم ، ومع ذلك فإن هذين الأمرين من القبول والتسليم لا يتنافيان مع محاولة التعرف على شئ من حكمة العبادات المفروضة كالحج مثلا . وللخوض فى مثل هذه المحاولات نقول : إن الله (سبحانه وتعالى) خلق كلا من المكان والزمان ، وجعلهما أمرين متواصلين ، فلا يوجد مكان بلا زمان ، كما لا يوجد زمان بلا مكان وقد فضل ربنا (جل جلاله) بعض الأماكن على بعض ، كما خص بعض الأزمنة بزيادة فضل بعضها على بعض فإذا اجتمع فضل المكان وفضل الزمان تضاعفت بركات الفضلين أضعافا كثيرة بإذن الله ولعل تعريض المسلم - ولو لمرة واحدة فى العمر - لمثل هذه الأضعاف المضاعفة من فضل الله على الزمان والمكان معا هى الحكمة من وراء عبادة الحج وذلك لتوافق وجوده فى أشرف أماكن مع أشرف الأيام عند الله .

لذلك جعل الله (سبحانه وتعالى) الحج أحد أركان الإسلام ، وفرض من الفرائض التعبدية التى علمت من الدين بالضرورة . والتى تجب على مسلم ، بالغ ، عاقل ، حر ، مستطيع مرة واحدة فى العمر ، ومازاد فهو تطوع إلا أن ينذره فيجب الوفاء بالنذر والحج واجب على التراخى ، أى يؤدى فى أى وقت من العمر (من

البلوغ إلى ما قبل الوفـاة) ، وإن رأى بعض الفقهاء أنه واجب على الفـور خوفا من المرض أو الموت .

ومن تفـضيل الله (تعـالى) لبعض الأمـاكن على بعض كـان فضل مكة المكرمـة وحرمها الـشريف على جميع البقاع يوم خلق الله السـماوات والأرض ، ومن بعدها تفضيل مدينة رسول الله (ﷺ) وجوارها المبارك ، ثم فضل بيت المقدس وأكنافه (التى ندعو الله تعالى أن يحررها من دنس الصهاينة الغاصبين) .

ومن تفـضيل بعض الأزمنـة على بعض كان فـضل يوم الجـمعـة على باقى أيام الأسبوع ، وفضل شهر رمضان المبارك على باقي شهور السنة ، وفضل العشر الأواخر من لياليه على باقى ليالى السنة ، وفضل ليلة القـدر من هذه الليالى العشر ، وجعلها خيـرا من ألف شهر ، وأفـضل ليالى السنة على الإطلاق وبالمقـابل خص ربنا (تبارك وتعالى) الأيام العشرة الأوائل من ذى الحجة بزيادة فضل على باقى أيام السنة كلها ، وهل أشرف أيام السنة على الإطلاق هو يوم عرفة (التاسع من ذى الحجة) .

من هنا يتضـح جانب من جوانب الحكمـة من فريضة الحج وهـو تعرض المسلم البالغ ، العاقل ، الحـر ، المستطيع ـ ولو لمرة واحدة فى عمره ـ لبـركة المكان المقدس فى الحرم المكى الشريف ـ وهو أشرف البقاع ـ فى الأيام العشرة الأولى من ذى الحجة ـ وهى أشـرف أيام السنة على الإطلاق ـ فـينال العـبد المسلـم الحاج بركـات كل من الزمان والمكان مضاعـفة أضعافا كثيرة من فـضل الله الكريم المنان . هذا بالإضافة إلى الدروس التربوية والـروحية والنفسية العـديدة ، والفوائد الاجـتماعـية والاقتـصادية والسياسيـة الجمة التى يمكن أن تجنى من رحلة الحج إذا أحسن استـثمارها ، وتجردت النوايا فيهـا بالإخلاص لله الذى فرض هذه الفريضة علـى عباده المؤمنين ولا يناله إلا التقوى منهم.

من المفارقات العجيبة :

فى دولة إسلاميـة : كان من محدثاتها : تحريم تعـدد الزوجات وحدث أن تزوج رجل على زوجته .

فلما انكشف أمره . . استدعته السلطة . . ثم ناقشته الحساب !!

ولكنه اعتصم بذكائه الذى هداه إلى أن يتخلص من قسوة الموقف بقوله :

إنها ليست زوجتى !

ولكنها رفيقتى : صديقتى !!

وعندئذ اعتذر إليه المحقق . .

المحقق الذى كان يطبق قانونا ظالما :

قانون : يحرم الحلال

ويحل الحرام !!

ومن المفارقات العجيبة ما حكاه زميلى « الصومالى » قال :

تزوجت للمرة الثانية . .

ثم قررت العودة إلى الأولى . .

ولكنها اشترطت على أن أتزوج ثالثة !!!

ولما سألتها لماذا ؟ قالت :

لتكسر قلبها . . . كما كسرت بها قلبى !!

وصدق الشيخ الذى حاصرته النسـاء فى ندوة ما لما دافع عن تعدد الزوجات . . صدق لما قال : المرأة هى المسئولة عن التعدد . . فلو رفضت المرأة أن تكون زوجة ثانية ما كان هناك تعدد !!

يقول العلماء :

قال الله عز وجل :

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)﴾

(صدق الله العظيم) [النساء : ١ ـ ٣] .

لقد طرأ الإنسان على هذا الـوجود ولم يكن شيئا ماديـا جديرا بالذكر والشئ له دلالة مادية . والطبيب المتتبع إلى تكويـن الإنسان تحت المجهر يجد أن تكوينه بدأ من خلية لانهائية - تطورت فيما بعد وأصـبحت رؤيتها تحت المجهر ممكنة وتمر هذه الخلية في تغيرات إلى أن تتخذ عند الرجل شكل علقة . وعند المرأة شكل البويضة . وقوله تعالى ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ①﴾ يدل على أن الإنسـان كان قـبل تطوره الزمني والبيولوجي (الحيواني) من حيث مادته ليس بالشيء الجدير الذكر .

وفيمـا بعد تحدث رغبـة في نفس الزوج والزوجة والرغبة أو الغـريزة ليست مادة وعند اختلاط الحيوانات المنوية (العلق) مع البويضـة يبدأ التكوين فعلا قال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ وكلمة أمشاج هي الاخـتلاط وفي سنة ١٨٨٨ اكتشف العالم فالد داير waldyur تحت المجهر أن نواة الخلية عند انقسامها تتألف من خيوط علقية وهذه الخيوط العلقية تحمل الصفات الوراثية chromosoen أي خروموزمات

وهذه الخلية تتطور فـيما بعـد فعلا إلى شكل علقـة أو حيوان منوي قـال تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ②﴾ [العلق : ١ ، ٢] .

بعد اخـتلاط الحيـوان المنوي في البويضة الأنثـوية يلتصق هذا المشيج في جدار الرحم ويتطور إلى جنين ويتكفل الله له الغذاء والطاقة حتى يصبح طفلا وعندما يغادر الرحم بعد تسعة أشهـر يبكى على وطنه بعد أن تتغير عليه البيـئة الجديدة قال تعالى: ﴿نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

ونرى كما سبق أن تطور الإنسان لم يكن شيئا ماديا يذكر وقد بدأ من خلية يتعذر رؤيتهـا تحت المجهر ثم تـتطور بحيث تصبح رؤيتـها تحت المجهـر ممكنة . . ونرى أنه يشترك في التكوين فيـما بعد رغبة من نفس الزوج والزوجة والرغـبة هذه ليست مادة وبعبارة أخرى يشترك عاملان ـ مـادي من حيث مادته ليس بالشئ الجدير الذكر ورغبة غير مادية (غرائزية) . وماذا يحدث لهذا المشيج فيـما بعد يسير ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم إلى الطفولة ـ الشباب ـ الكهـولة ثم الموت حيث تعود المادة إلى المادة وما غير المادة يصعد إلى عالم اللامادة . وقد يجادل الإنسان في الروح وله الحق أن يسأل .

الإنسان أصبح بعدما كان شيئا ماديا في الأصل لا يستحق الذكر ـ أصبح يتكون من مادة ـ عظم ولحم ودم وعصب وغيرها وعلقة" مادة وتفكيره لا يتعدى حدود المادة ما يجري فيها وما بينها والروح ليست مادة وهي تقع فوق إدراكه .

قال تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] .

وفي علم الفيزياء (لا يأتى شئ من لا شئ) ولا يوجد ما يسمى عدم ، والطاقة تفنى ولا تنعدم ، والإنسان طاقة .

والله تعالى قال :

﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ① الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ②﴾ [الملك: ١ ، ٢] .

وإذا كان العلم يثبت بأنه لا يوجد ما يسمى عدم ، لماذا إذا لا يكون الموت خلق؟ والجواب في الآية واضح ؟!

والله جل اسمه خلق الإنسان لكى يعبده ويشكره ويعمل حسنا ويصلح ما في طريقه وهو عابر من الجهة الأولى إلى الجهة الأخرى وجسمه يحمل روحه كمن يسير فوق نهر ، فإن بنى جسرا فوق هذا النهر بما وهبه الله من عقل فإنه لا شك سوف يصل بروحه إلى الجهة الأخرى بسلامة ، والجسر هنا واضح أن يعمل الإنسان في الأرض صالحا ، وما يرضى الله سبحانه ورسوله ومن لا يعمل صالحا فإنه سوف يغرق في النهر ولن يصل بروحه إلى الجانب الآخر ويكون قد خسر الدنيا والآخرة .

والله خلق الإنسان من مادة وأمره بالعلم لكي يكتشف ما في المادة وما بينها ، ويصنع منها ولا يغلو في صنعه وعمله وينسى الآخرة ومن استغل عقله وروحه في السعى وراء الدنيا وحدها فقد خسر الآخرة وفقد السعادة الحقيقية في الدنيا وهى لا تتم بدون رضوانه تعالى،ولمن يشك في وحدة الله سبحانه وتعالى فعليه أن ينظر إلى نفسه وغيره من المخلوقات .

الإنسان وحده في التكوين وهذا دلالة على وحدانية الصانع،قال تعالى : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] .

كل إنســان له رأس وقلب ومـعدة وهكذا ، وكل إنســان طرأ على هذا الوجـود بطريقة واحدة كما أسلفنا وبالرغم من كـون الإنسان وحده من حيث التكوين فإنه ندر أن يشبه إنسان إنسانا آخـر من حيث الشكل وما ينطبق على العين المجردة ينطبق على ما تحت المجهـر فمثلا خلايا المـعدة في كل إنسان وحدة من حيث التكـوين والوظيفة وخلايا الكبد وغيرها من الأعضاء كذلك .

كل له وحدته الـتكوينية ووظيفـته وواجـباته ، والإنسان القـادر بما لديه من علم وعقل على صنع الأشياء لتوفير راحته هو في حد ذاته مسير وليس له الخيار .

مسير من حيث مسيرته من مشيج إلى طفل إلى شباب إلى كهل ثم إلى الموت . وكل أعضائه مسيرة .

مثلا : يصنع الإنسان طعامه مما خلق الله على الأرض ، وينوع ذلك بما أوجد له من عقل وذوق ، وكلمـا أحسن الإنســان استعـمال عقله فـعليه أن يحـمده ويشكره ويسأله هدى العقل والروح . لماذا ؟

لأن كل مـا قام به الإنسـان هو تحضـير الـطعام مما أنبـتت الأرض ومما خلق الله وعمل الإنسان هو مـضغ الطعام وتذوقه وشم رائحته ، ولمســه ورؤيته ومن ثم بتكلفة من الله سبحانه وتعالى فالمريء يدفع الطعـام عن طريق تحريكه إلى المعدة والمعدة تقوم بهضمه وملايين الملايين من الخلايا في المعدة والأمعاء تقوم بأخذ صالحة وتوفير الطاقة لجسم الإنسان ، والكبد مختبر قائم بذاته وخلية الكبد لها ذاكرة تفوق عقل الكومبيوتر حتى أن المقـارنة هي بين عملاق في العمـل والدقة والسر وبين قزم في العـمل والسر والدقة ، سبحانه من خالق .

وغيـر ذلك خلق لحـماية الإنسان مما يهـاجم جسـمه ملايين الملايـين من الخلايا المسلحة بمعـامل في داخلها ، وترابط فـيما بينهـا وهي تملك الذاكرة لتـفرز لكل من يهاجـمها السلاح المـناسب وكل ذلك يتم في دقة وسر - أصـبح الطب الحديث يدرك بعضه - سبحانه من خالق .

من نظر إلى خلية لما لديها من الفن فى الصنع والجمال تحت مجهر الكترونى فإنه

يرى أن كل ما صنعه الإنسان من فن هو لا يجوز مقارنته .

سبحانه هو المعنى والوجود ، ولو أمعن الإنسان بعقله وروحه وارتفع عما تسوله النفس من حب الشهوات وبحث عن معنى الحياة فإنه سوف يصل إلى الحقيقة التامة. أن لا سعادة في الدنيا بدون رضاه ولا نجاة في الآخرة بدون شفاعته .

أعوذ بنور وجـهه الذي أشرقت له الظلمـات وصلح عليه أمر الدنيـا والآخرة ، وصلى الله على سيد خلق بنى آدم محمد بن عبدالله خاتم المرسلين .

قال ﷺ :

أربعة يبغضهم الله :

البياع الحلاف .

والفقير المختال .

والشيخ الزاني .

والإمام الجائر » .

تمهيد :

من المقرر : أن رحمة الله تعالى تسبق غضبه . .

ولكن الحديث الشريف هنا يعلن عن غضب الله تعالى الشديد على مجموعة من العصاة . . . بالذات :

فمـا هى الجريمة التى ارتكبـوها . .حتى استحقـوا هذا الغضب الشـديد الفريد وهو :

الخذلان فى الدنيا . .والعقاب فى الآخرة ؟

إن هناك قاسما مشتركا أعظم يجمع بين هؤلاء الآثمين جميعا وهو :

أنهم متورطون فى خطايا . .ما كان أغناهم عنها :

يقول د. محمد سعاد جلال :

وقد أعلن الحديث بغض الله لأربعة يرتكبون من الخطيئة مالا عذر لهم فيه أصلا، وهم فى غنى عن التورط فيه :

البياع المعرض اسم الله للابتذال بكثرة الحلف ، وقد تكون أيمانه كاذبة لترويج سلعة كاسدة فيزداد من غضب الله .

والفقير الذى يذكره احتياجه بالتواضع والرفق فيؤثر الكبرياء والخيلاء على التواضع وخشية الله فيزداد من الله بعدا .

والرجل الذى دخل فى ضعف الشيخوخة وخفت علية حدة الغرائز ثم يتكلف ارتكاب الفواحش .

والحاكم الذى وظيفته إقامة العدل بين الناس فيخون نفسه ويقضى فيهم بالجور

إن التناقص الذى يظهر فى عمل هؤلاء يجرهم إلى بغض الله أكثر من غيرهم لأنه - حتى الجرائم - فيها ما يمكن فهم أسبابه وفيها ما يتحدى المنطق بصورة تجعل الجريمة الواحدة عدة جرائم] أ / هـ .

أما بعد : فالناس أطفال مدللون :

يقول عز وجل :

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْواً (١) فَالْحَامِلاتِ وِقْراً (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْراً (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْراً (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات ١ : ٥] .

إن الكون كله فى خدمة الإنسان . .

بل إن أفضل الملائكة فى الملأ الأعلى تدعو له . .

﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [غافر : ٧] .

بل إن من هم بحسنة فلم يعملها . كتبها الله عنده حسنة كاملة . .

ومع ذلك فهم يخطؤون . .

إنه لمن المفارقات العجيبة : أن الكون الجامد يطيع . . بينما يعصى الإنسان العاقل!!

يقول عز وجل :

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ (١) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ (٢) وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ (٣) وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ (٤) وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ [الأنشقاق : ١:٥] .

﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ ﴾ [الكهف : ٣٣] .

﴿ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت : ١١] .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج : ١٨] .

كثير من الناس يعصون . .

إلا قليلا . .

ومنهم ذلك العابد . . الذى قال لأهله لما بلغ الستين . وهو معترك الموت ـ وقد رآهم فتنوا به .

أسقطوا من عمرى ما عشته من اللذات . . تجدونى غلاما صغيرا !!

وهو مغزى وصية زميله الذى كانت :

اكتبوا على قبرى : لقد مات فى سن التسعين . .

ولكنه لم يعش إلا عشرين عاما !!

وهكذا . . تكون التوبة النصوح . . يمثل محاسبة النفس على هذا النحو الفريد : ضمير حساس . . يكاد يبلغ حد الوسواس !

يقول عز وجل : ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: ٣١].

حتى يكون عود المذنب إلى ربه حميدا . . فإنه عليه أن يقلع عن ذنبه . . مستأنفا بالطاعة مع ربه عهدا جديدا . .

لكنه قد يعجز عن الإقلاع . .

وعليه أن يواصل المسير بالطاعة . . وصولا إلى الحسنات . . التى يذهب الله تعالى بها السيئات . . ليكون المذنب على أى حال أفضل ممن يئس . . ولم يطع ربه حرجا من ذنبه الذى مازال يمارسه . .

أ - إن الأمل فى العفو . . والإقلاع عن الذنب يزداد . . بهذه الطاعة التى تتودد بها إلى ربك . .

ب- سوف تكون من الذين خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا . . ﴿ عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة : ١٠٢].

على أن التوبة ينبغى أن تكون جماعية .. لا فردية ـ على أهميتها .

فى زمن موسى عليه السلام : احترق الزرع . . لما جف الماء . . فخرج فى سبعين من صالحى قومه يدعون .

فقيل له : فيكم عصاه .. فقال :

من هم يارب : قال له تعالى : لست بهتاك . . ولكن توبوا جميعا فلعلهم أن يتوبوا معكم . .

وهذا سر من أسرار « جميعا » وإلا فلو تاب واحد فقط . . لبقيت البقية ملوثة !

أربع مرات جئت إلى المسجد الحرام من نفس الجهة قبل شروعي في الطواف . .

طواف العمرة . .

طواف القدوم . .

طواف الإفاضة بعد الوقوف بعرفة والنفور إلى المزدلفة فمنى . .

طواف الوداع . .

في كل مرة أنتظر اجتياز الأعمدة ، ولحظة وقوع بصري على الكعبة لأول مرة ، وفي كل مرة كأنه قدوم جديد، أتوقف لحظات . . هذه الحركة الدائرية لآلاف البشر ،

القادمين من كل صـوب ، تحركهم تلك المشاعـر المتأججة والوجد الـقديم ، البعض يجد لها تفسـيرا ، وبعضهم يمارسها دون أن يفهم مدلولاتهـا ، وبعضهم يسلم أمره كله إلى اللحظات ومـا يكون منهـا ومنه ، وبالنسبـة لي ، كنت مجـمـعا لهـؤلاء جميعا . .

وعندي أثناء الاقتراب يقْين أن ثمة من يرقـبنى ويراني وأنني كلما دنوت ، فوي الحوار وزادت المواجيد .

ولكن بالنسـبة لي مع اقـتـرابي من النقطة المحاذيـة للحجـر الأسود حـيث أبدأ طوافي، كان ثمة وشائج قوية وهائلة بيني وبين هذا البيت . .

ليس هذا مجرد بناء من حجر لكنه تلخيص لما كان وما سوف يكون . .

هنا الأصل لصـور طالعتهـا منذ أن تفتحـت مسام وعيي على الدنيـا ، صوت الأذان الذي ترسب في وجداني منذ الطفـولة إنما هو دعوة للتوجـه إلى هذا البيت ، إلى صاحبه إلى الله . .الصـورة محفورة . مترددة مع كل خطوة من العـمر ، رأيتها في الصـور المعلقة منـسوجـة فوق أبسطة الـصلاة في حنين قـوي إلى المجيء ، إلى الوجود فى هذا المكان ، ما من موال أو غناء شعبى مـصري إلا ويفيض وجدا وشوقا لزيارة البيت والنبي العظيم .

أبدأ طوافي لماذا يخـفض الإنسـان رأسـه تلقـانيـا ، وإذا دنا وتطلع فـإنما على استحياء، من جميع أنحاء الدنيا يتوجه المسلمون إلى قبلة البيت ، يضبطون الميقات ، ويحددونه بالخرائط ، بالآلات التي لم يتوقف تطورها قـط لتحديد أدق توجه صوب القـبلة ، ولكن . .هنا يتـحـول الشـوق كله إلى قـبلة ، إذا بدأت الـصلاة تتـحلق الصفـوف دائرية حول الكعـبة ، أنتظم بينهم ، ثم أراهم حـول الكوكب الأرضي ؛ تتسع المسافات ، وتقوم مناطق يصعـب اجتيازها ، ولكن في كل لحظة ومع اختلاف المواقيت، تتعفر جباه عظماء وبسطاء في الأرض متوجهة صوب هذا البيت .

يفد عـلى روحى أثناء الطواف كل الأحبـة الذين رحلوا والذين بقـوا ، اذكر والدي رحمهمـا الله ، كان المجئ إلى البيت والحج أمنية تتواري مـعها كل الأمنيات

كان هما أحق مني ولكنهما رحلا قبل أن تساعد الحياة وتعين .

أزرف دمعا عليهما وعلى الأحبة الذين رحلوا، وعلى كثير ، كثير .. بعضه يمكنني البوح به والبعض لا أقدر .

لماذا يشعر الإنسان أنه ضعيف ، وأنه واهن ، وأنه قوي أيضا ؟

القلب في أقصى درجات الحضور مع الله ،والحزن شفيف ، والأمل قوي ،مع بداية انتظامي في الطواف ، إنما كنت أنتظم في طابور عمره أربعة عشر قرنا لم تتوقف حركته قط منذ نزول الرسالة ، طابور طاف فيه نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، والصحابة ، والأولياء ، وكرام الخلق ، وبحر متدفق من الأزل إلى الأبد وماأنا إلا نقطة فيه . أ.هـ جمال الغيطانى .

وهذا الأزهر المستقل الذى هو أصل لا يصح أن يلحق بغيره ـ كان النديم واحدا من دعاة إصلاح مناهجه ، وتجديد علومه ، وتأهيل علمائه بالمعارف والعلوم التى تجعلهم مالكين لمعارف العصر مع معارف التراث . .بل وكان النديم داعيا إلى تربية علماء الأزهر تربية سياسية تجعل لهم دورا في شؤون الدولة إلى جانب أدوارهم التقليدية في شؤون الدين . .فأنت « ترى كل مشتغل بالأزهر منصرفا عن الدنيا وما فيها ، فلا يقرأ الجرائد العلمية ولا السياسية ، ولا يعرف شيئا عن أحوال الممالك ، ولا يقرأ تقويم البلدان (الجغرافيا) ، ولا علم له بشئ من الجارى بين الملوك والطوائف ، ولا وقوف له على حوادث الحروب واختلاف الأمم ، ولا إلمام عنده بصنعة أو زراعة أو أصول تجارة ، ولا يبحث في مخترع يسمع به ومقترح يرد عليه كأنه في جب لا ساكن فيه إلا من ماثلة في هذا التجرد الشنيع ، مع أنه يعلم أنه يطلب العلم ليكون مؤهلا للإفتاء والقضاء وهاتان الوظيفتان أرقى وظائف السياسة القضائية المتصلة بكثير من الفروع الإدارية . .لقد أبعدت جموع العلماء عن مجالس الأمراء لعدم اقتدارهم على مشاركتهم في تبادل الأفكار ، إذ لا يعلمون من لوازم الدولة شيئا [٢٠] » عن مجلة الأستاذ ٦١١، ٦١٢.

الفــــراغ :

يقول الشاعر :

لقد هاج الفراغ عليك شغلا

وأسباب البلاء من الفراغ

والمسلم يقضى يومه .

فى حق قضاه .

أو فرض أداه

أو مجد أثله

أو حمد حصله .

أو خير أسسه

أو علم اكتسبه

قال ﷺ :

« نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة والفراغ » :

فالمكلف : تاجر

ورأس المال : الصحـة . والفـراغ . . لأنهمـا أسبـاب الأرباح . . ومقـدمات النجاح . . فمن عامل الله تعالى بامتثال أمره . . ربح . . ومن عبد الشيطان خسر .

روح الإسلام .. هناك :

ملكة بريطانيـا : كرمت منافس « مـحـمـد على كلاى » وذلك . . عندمـا تقرر إجراء مباراة بين « كلاى » والإنجليزى « كولبير » :

الذى استدعته الملكة . . ثم أقامت له مأدبة غداء تكريما .

وتشجيعا . . معربة عن رغبتها الملكية فى هزيمة خصمه !!

والمعروف أن الملكة لم يسبق لها أن استدعت بطلا . . ولكن شعورها الدينى هو الذى حركها . . معلنة عن رغبتها فى هزيمة منافسها لأنه مسلم .

٢- لما عزم وزير خارجية روسيا على زيارة البابا فى الفاتيكان . . قال ناطق بلسان البابا :

إن الحديث بينهما سوف يدور حول ما يلى :

١- السياسة العالمية .

٢- حالة الكنائس الكاثوليكية فى روسيا [مجاملة الضيف لم تنسيه الاطمئنان على دعاية] .

وفى فنادق أوروبا يوضع الإنجيل فى كل حجرة ليكون فى استقبال النزلاء . . وهو مجلد تجليدا فاخرا .

عبيد المال :

فى هولندا . . دخلت المرأة « البنك » لتطمئن على خزينة ذهبها هناك . .

وقد عقل عنها الحراس . . وأغلقوا الأبواب عليها . .

وبعد ثلاثة أيام هى العطلة الأسبوعية سمعها بعض الناس . . فأنقذها . .

أنقذها من فتنتها بثروتها . والتى لم تشعر معها بالزمن . . ولا برهبة الموقف !!

التدريب على السلاح قبل استعماله :

﴿ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه: ٢٠] .

الرجال قبل السلاح .

كما تمنى عمر ﷺ رجلا مثل « أبى عبيدة » والمال هو عصب الحرب وبدونه يصاب المجهود الحربي بالشلل التام . إن المجاهدين بحاجة الى التدريب والتسليح والتجهيز والقضايا الإدارية (إعاشة ، طبابة - تنقل . . إلخ) والقيادة .

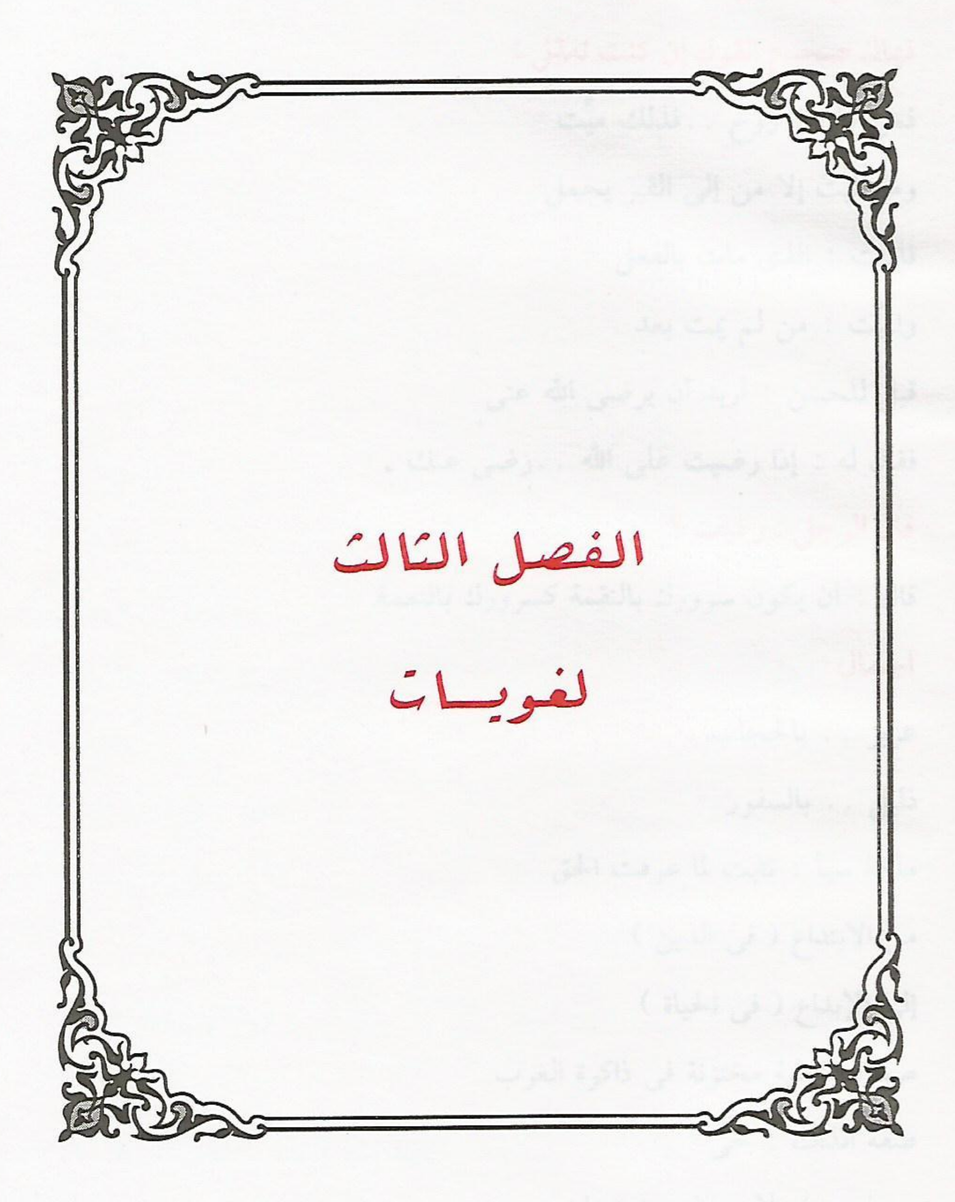
فإذا تيسر المال بشكل مستديم منظم أمكن إنجاز التدريب والتسليح والتجهيز والقضايا الإدارية ، وإذا لم يتيسر المال فلا يمكن إنجاز ذلك بأى شكل وبأية صورة ؟

بالشكل الذى يدوم فيه الجهاد وبالصورة التى يستطيع فيها المجاهدون أن ينهضوا بواجباتهم كما يرام .

وما يقال عن المجاهدين يقال عن الجيوش النظامية وعن الفدائيين .

إن المعنويات العالية للمجاهدين ضرورية لإحراز النصر ، فإذا لم يطمئنوا إلى مصير أسرهم المعاشى فلن تكون معنوياتهم عالية على أى حال .

وعوائل الشهداء التى تعيش بكرامة ، سبب من أسباب رفع معنويات المجاهدين وأسرهم على حد سواء ، والعكس صحيح .



الفصل الثالث

لغويـــات

تسائلنى : تفسير ميْت وميِّت

فهاك صحيح القول إن كنت تعقل :

فمن كان ذا روح . . فذلك ميِّت

وما الميْت إلا من إلى القبر يحمل

فالميْت : الذى مات بالفعل

والميِّت : من لم يمت بعد

قيل للحسن : أريد أن يرضى الله عنى

فقال له : إذا رضيت على الله . . رضى عنك .

قال الرجل : وكيف ؟

قال : أن يكون سرورك بالنقمة كسرورك بالنعمة

الجمال :

عزيز . . بالحجاب

ذليل . . بالسفور

ملكة سبأ : تابت لما عرفت الحق

من الابتداع (فى الدين)

إلى الإبداع (فى الحياة)

صورتنا نمطية مختزنة فى ذاكرة الغرب

صفة الذات : حى

يتصف بها ولا يتصف بضدها

وصفة الفعل

محيى

يتصف تعالى بها سبحانه فهو المحيى

وبضدها : فهو المميت

لغويات

أطر :

يأطِر

ويأطُر

ونسج :

ينسِج

وينسُج

وجرف : يجرُف

الجرذان : الفئران

الحداد

أحدت المرأة : تحد

وحدّت : تَحد وتحدُ

على الزوج :

أربعة أشهر وعشرا

« وفاء »

أما على قريبها : فثلاثة أيام فقط

لنحيى به بلدة ميتا

﴿وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ [الفرقان : ٤٩]

قدم الأنعام فى الذكـر لأنها « جسم » ولأنها « جـسم » فهى أحوج إلى الماء من الناس .

قل ...ولا تقل :

قل الأفوه . . وليس « المفوّه »

قل الثلاثينيات وليس « الثلاثينات »

قل أستقرى ولا تقل أستقرئ

قل الألماس ولاتقل الماس

قل ماخرة ولا تقل باخرة

ابن الجوزى : اثنان

١- ابن « قيم الجوزية » تلميذ ابن تيمية

٢- وابن الجوزى : الذى بنى والده هذه المدرسة

أجمعوا على نصب ﴿وَلا جِدَالَ﴾

ثم اختلفوا فى : ﴿فَلا رَفَثَ﴾ [البقرة:١٩٧].

لأن تقديمه . . !!!

هل الإغريق هم « اليونان » ؟!

وإن قليلا ألف خلا وصاحب

وإن عدوا واحدا كثير

بلل :

البلة : النداوة

بَلَّ رحمه : وصلها . وفى الحديث :

« **بُلُّوا أرحامكم ولو بالسلام** » أى : ندُّها بالصلة

والبلُّ: المباح . ومنه قول العباس فى زمـزم: « لا أحلها لمغتسل. وهى لشارب :

حلٌّ وبلّ » أى : مباح .

بلّ الرجل وأبل : إذا برأ

والبلل : الندى .

والبَلْبَال : الهم ووسِواس الصدور .

بل من مرضه يِبلّ بلاً . أى : صح

بل : ربما وضعوه موضع « رب »

« بل مهمهٌ قطعت بعد مهمهْ »

لا يذبح ولد الناقة وهو صغير :

ـ عند ولادته .

لماذا ؟

١- لا ينتفع بلحمه .

٢- ولا ينتفع بلبن الناقة .

لأنه يجف لبنها حزنا على ولدها بل يترك حتى يصير :

ابن مخاض : يكمل سنه . ويدخل فى الثانية أو ابن لبون : يكمل سنتين .. ويدخل فى الثالثة .

سِخْريا : بالضم : من السخرة والإذلال

وسخريا : بالكسر : من السخرية والاستهزاء

[شنشنة أعرفها من أخزم] خطة وطريقة .

عبث : من باب تعب

جعبة وجعاب : مثل كلبة وكلاب

نَضِجَ ينضج : من باب تعب : نَضَجا والاسم : النُّضج .

عليه لطلاوة ـ بالفتح والضم أى : بهجة

المهَنة : بالفتح . . وقيل بالكَسر .

رئيًا من : الجن

نمّ عن كذا : يَنِمُّ

كان يفلِى ثوبه . ويقم بيته . . ويعجن مع الخادم،كانت فاطمة تطحن . . حتى مَجلَتّ يداها

الاسم فى فى الأصل منون . . لكنه إن أشبه الحرف . . بنى والفعل فى الأصل ممنوع من الصرف . . وإلا بقى على الأصل .

سُبوُّح

١- تنزيه

٢- وسرعة :

يسارع فى إجابتى

أو أسرع أنا إليه .

تباعد بعد وَلِىْ

الوِلاية : السلطان

الولاية : النصرة"

هو يقيم بين ظهريهم وبين ظهرانيهم وبفتح النون ؛ ولاتكسرها

والمولى : المعتِق والمعتقَ

والدانق : سدس درهم

والقيراط : نصف دائق؛أما القيراط فى الحديث فهو : مثل أحد

العياذة . . واللياذ

العياذة :

تكون لدفع الشر . . . مثل قولنا :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

أى :

أستجير بالله سبحانه من الشيطان الرجيم : أن يضرنى فى دينى ودنياى .

أو يصدنى عن فعل ما أمرت به .

وأما اللياذ :

فإنه يكون لطلب الخير . . كما قال المتنبى :

يا مــن ألـوذ بـه فيـما أومـلـه ومـن أعـوذ بـه مما أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره

إذا قلت :

سبحانه وريحانه ..أى :

أسبح الله . . وأسترزقه .

فالريحان : الرزق

العطية :

للمحتاج

والهدية :

للواجد

الجند هو : العسكر .

جاء فى بصائر ذوى التمييز (ج٢/٤٠١) .

سمى به اعتبارا بالغِلَظ والاجتماع .

من الجَنَد بالتحريك وهو :

الأرض اتلتى فيها الحجارة المجتمعة . ثم يقال لكل مجتع : جُنْد . .

نحو « الأرواح جنود مجندة »

رواه البخارى معلقا .

ورواه مسلم وغيرهما . كما فى الجامع الصغير

فى الإيصال :

اكتب : « تسلمت » لأنها تدل على « القبض »

أما « استلمت » فتدل على اللمس وعدم القبض .

حركة « الضَّمَ »

تثبت المعنى وتمكنه .

أما « الكسر » :

فهو : حركة استقرار شئ يخشى عليه من الاضطراب :

فالجر : يسحبه إلى أسفل ليستقر .

المجنون :

هو الذى يفعل كل شىء . . بلا وازع ولا رادع . .

أما العاقل :

فإن عقله : يعقل .. يقيده :

إنه يأخذ قراره ؞ برأسه الذى بين كتفيه لا ببطنه أو يديه أورجليه !

إن العاقل :

يأمنه عدوه

أما المجنون : فلا يأمنه صديقه !

كان أمير الشعـراء « أحمد شوقى » يدفع بقصيدته ؞ ليلقيـها نيابة عنه سواه ممن

يجيد فن الإلقاء . وفراراً من ضياع جمالها لو ألقاها هو .

الجفاء فى الدعوة

كمن يزيل الدم بالبول :

كلاهما نجس . لكن نجاسة البول أشد

من العروبة .. إلى الإسلام :

فى كتابة [كناشة النوادر] ذكر شيخ المحققين عبدالسلام هارون ـ نقلا عن العقد الفريد ج ١٦/١١

أن الذين انتهى إليهم الجود فى الجاهلية ثلاثة :

حاتم الطائى ـ وهرم بن سنان . وكعب بن مامه

أما أجواد الإسلام : فأحد عشر رجلا فى عصر واحد :

فمن الحجاز : ثلاثة .

وخمسة معهم من البصرة .

وثلاثة من أهل الكوفة .

وألحق بهم ممن جاء بعدهم : [الحكم بن حنطب] الذى كان واليا على « منج » والذى قال عنه واحد من أهلها :

قدم علينا الحكم وهو : مملق . فقير : فأغنانا . وأثرانا !!

فقيل له : كيف أغناكم وهو فقير ؟!! فقال :

علمنا المكارم : فعاد غنينا على فقيرنا .. فصرنا جميعا أغنياء !!

وزميله فى الكرم هو [معن بن زائدة] والذى قيل فيه :

[حدث عن البحر ولا حرج . وحدث عن معن ولا حرج]

ومنهم « يزيد بن المهلب »

وقد مر يوما فى طريقه إلى البصرة بأعرابية .. فأهدت إليه عنزا .. فقبلها ..

ثم قال لابنه « معاوية بن يزيد » :

ما عندك من نفقة !! قال : ثمانمائة درهم ،

قال : ادفعها إليها !! فقال له ولده :

إنها لا تعرفك . . ويرضيها اليسير . . فقال له أبوه : إن كانت لا تعرفنى . . فأنا أعرف نفسى ! وإذا كان يرضيها اليسير . . فأنا لا أرضى لها إلا بالكثير !!

حاتم الطائى :

ويرى المحقق الكبير أن أسخى هؤلاء جميعا هو : حاتم الطائى . . والذى كان جوادا بفطرته . ثم بنشأته فى بيئة كريمة أمدت هذه الفطرة بما استقر فيها من سخاء سارت بذكره الركبان . . يقول المرحوم عبدالسلام هارون (١) :

[ولا ريب أن رأس هؤلاء جميعا : حاتم الطائى . الذى نشأ فى بيت كله شهامة وكرم]

ثم يقول :

ولعل أعجب صورة حفظها التاريخ من صور كرمه مارواه أبو الفرج عند حدوث مجاعة بالبادية . . أذهبت الخف والظلف :

وجاءته امرأة تشكو جوع صبيانها ، ولم يكن عنده ما يجود به .

فماذا صنع !!

قام حاتم إلى « فرسه فذبحها » ثم أوقد النار وأججها . . ودفع إلى المرأة شفرة حادة . وقال لها :

اشتوى . وكلى .

ثم جعل يأتى بيوت الحى ويقول :

انهضوا : عليكم بالنار . . . فاجتمعوا حول تلك الفرس

---

(١) كناشة النوادر / ١٢٩ .

وجلى حية .. يقول أبو الفرج :

فلما أصبحوا . وما بقى من الفرس قليل ولا كثير . إلى عظم وصافر :

وإنه أشد جوعًا منهم . وما ذاقه !!

تم تساءل الأستاذ هارون قائلا :

ولكن : هل يسلم الشرف الرفيع من الأذى !!

لقد لقى حاتم من شعراء عصره من يهجوه أقذع هجاء !!

تم يستشهد بقول الشاعر :

ومن ذا الذى ترجى سجاياه كلها . . . كفى المرء نبلا أن تعد معايبه !!

جذور الكرم

ولقد كان لهـذا الجود أسبابه . . . أولا : فطرته النزاعة إلى السـخاء . .وثانيا : طبيعة الأسرة التى نشأ فيها .

جاء فى « الأغانى » /ج١٦/ ٩٣ ما يلى :

كانت أمه ذات مال . .وكانت من أسحق الناس ، لاسيما مع الضيفان .

إلى الحد الذى قد تجـود فلا يبقى لها ما تملكه . .الأمر الذى حـمق إخوتها على أن يحجروا عليها .

ومنعوا عنها مالها . دهرا طويلا :

ثم . وأخيرا أشفقوا عليها أعـطوها « صرمة » [قطيعا] من إبلها التى تملكها ، ويبدو أن طول العذاب والحرمان لم يمت فيها نزعة الكرم :

بدليل أنها لما جاءتها إمرأة من هوازن كان من عادتها زيارتها جاءت تسألها فقالت لها :

دونك هذه الصرف ـ فخذيها . . فوالله لقد عضنى الجوع مالا أمنع معه سائلا

وكانت ابنته « سفانة » كذلك من أجود العرب :

جاء فى « الأغانى » ١٦/ ٩٤:

بلغ من كرمها أن أباهـا كان يعطيها العطاء من إبله . فتسـارع وتعطيها المحاويج حتى قال أبوها يوما :

إما أن تمسكى .. أو أمسك أنا .. فالمال لا يتحملنا معا !!

بركة الإسلام :

والذى يهمنا هنا هو : التنويه بدور الإسلام فى تعد هذه القـيمة العظيمة .. حتى تفرعت . ونمت .. ثم آتت أكلها كل حين بإذن ربها :

فقد كان الكرماء فى « الجاهلية » ثلاثة ..

فلما جاء الإسلام صـار الكرماء أحد عشر كوكبا .. كـانوا حجة فى يد الإسلام تؤكد صلاحية الطبيعـة العربية للقيادة والريادة .. وذلك بالإسلام .. الإسلام .. الذى صقل طبعها .. ثم اتجه به إلى معالى الأمور :

وإنك لتلاحظ أن التـراث الإسلامى خال مـن مصطلح .. البذل . والسـخاء .. مؤثرا مادة الإنفاق .. والتى أمر المسلم بها فالتزم طوعا .. بدل « البذل » مثلا .. لما فيـه من رائحة التفاخـر .. وإذ تجلس سنانة مهيضة الجناح إذا لم يـكن معـها ما تبذله .. وإذ تبـدو أمها مهـمومة حيث حـجر عليهـا أبناؤها .. فهما تحت رحـمة مخلوق .. يشفق أو لا يشفق .. وفى الانتظار نجدة تجىء أولا تجىء .

إذ تجلسـان .. تنتظران مـعونة من الآخـرين .. فـإن المسـلم لا يحس بهـذا الهوان ..

لأنه يتـعامل فى إنفـاقه مع الله تعالـى .. الذى لا تنفد خـزائنه .. وفى وعيـه وعده الكريم سبحانه :

« يـا ابـن آدم : أنفـق .. أتفـق عليـك » ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾ [النحل : ٩٦]

﴿ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ﴾ [البقرة : ١٩٧]

وكذلك كان رسول ﷺ . . والذى قال لزائره :

« انظر هذه الأغنام بين الجبلين وخذها . . »

فلما عاد الرجل إلى قومه فرحا جزلان . . ناداهم :

جئتكم من عند رجل يعطى عطاء من لا يخشى الفقر !!

وكيف يخشاه . . وعوض ما أنفق مكفول بيد من يده سحاء فى عطاء . . لا ينته

حسن تخلص :

وتعليقا على هجاء « حاتم » تذكر هذا الموقف :

الشاعر اليونانى (هو ميروس) جاءه رجل فقال له :

اهجنى . . لأفتخر بهجائك . . إذا لم أكن أهلا لمديحك

فقال هو ميروس . لا . . لاأهجوك !!

فقال الرجل :

إذن سأمضى إلى زعماء اليونان أخبرهم بنكولك

فقال هو ميروس .

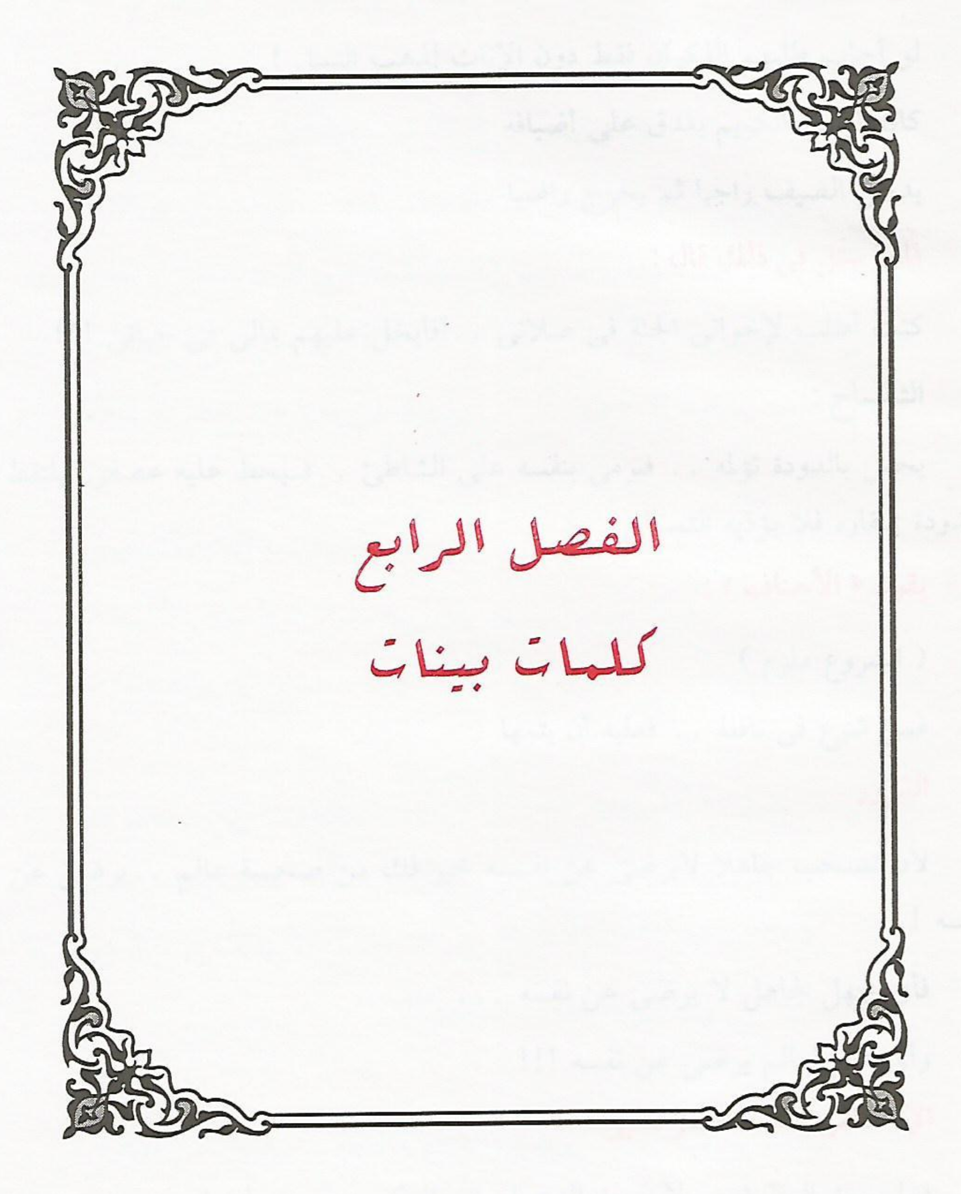
بلغنا أن كلبا . حاول مرة قتال أسد بجزيرة قبرص . . فامتنع عليه الأسد أنفه منه

فقال الكلب :

سأمضى . . فأخبر السباع بضعفك !

فقال له الأسد :

لأن تعيرنى السباع بالنكول عن مبارزتك . . أحب إلى ما أن ألوث شاربى بدمك!



الفصل الرابع

كلمات بينات

لو أطاع الله سبحانه الناس فى الناس ..لم يكن ناس !

أى :

لو أجاب طلبهم الذكران فقط دون الإناث لذهب النسل !

كان الرجل الكريم يغدق على أضيافه :

يدخل الضيف راجيا ثم يخرج راضيا . .

فلما سئل فى ذلك قال :

كنت أطلب لإخوانى الجنة فى صلاتى . .أفأبخل عليهم بمالى فى حياتى !!!

التمساح :

يحس بالدودة تؤلمه . . فيرمى بنفسه على الشاطئ . .فيحط عليه عصفور يلتقط الدودة بمنقاره فلا يؤذيه التمساح

يقول « الأحناف » :

(الشروع ملزم)

فمن شرع فى نافلة . . فعليه أن يتمها .

الغرور :

لأن تصحب جاهلا لايرضى عن نفسه خير لك من صحبة عالم . .يرضى عن نفسه !

فأى جهل لجاهل لا يرضى عن نفسه . . .

وأى علم لعالم يرضى عن نفسه !!!

الإحساس بالسعادة أمر نسبى :

فما يسعد العظماء . .لا يسعد الدهماء . .والعكس صحيح أيضا . .

والإفراط فى اللذاذات الحسية : يهلك الإنسان . .

إذا كانت ليلة عندنا خيرا من ألف شهر . .فكذلك المؤمن . .بعقيدته خير من

ألف رجل !

لم تنهض أوروبا إلا يوم أن تحررت من أمور ابتدعوها تدعو إلى :

أ - نبذ المرأة . .

ب- الإنسان مذنب بالفطرة .

ج- الأوروبى متحرك . . والمسيحية تشده إلى الخلف .

ولم يهزم المسلمون إلا يوم أن تخلوا عن دين به وحده صلحت أوروبا .

ليس المهم نفخ الروح فى الآلة .

والأهم أن تنفخ الروح فى نفسك !

عناصر الملح :

ما فعله شاس بن قيس يفعله الأعداء بنا اليوم . .

فلننتصر بالوحدة أولا . . لننتصر خارجيا . .

وما فعله اليهودى بكشف عورة المسلمة فى بنى قينقاع . . يفعل بنا اليوم .

قيل لبرناردشو :

إنك تتحدث عن المال دائما . .

وزميلك يتحدث عن الأخلاق فقال : كل منا يتحدث عما ينقصه !

فمن ظن ممن يلاقى الحروب

بألايصاب . . فقد ظن عجزا

قررت عقيدة التوحيد حقيقتين :

١- الناس سواسية . . ونشأ عنها كافة المبادئ الديمقراطية فى العالم .

٢- الكون مسخر للإنسان . وهذا تشجيع للبحث العلمى والتفوق .

فى لحظات الخطر :

يحس الإنسان بالضعف . .

والحاجة إلى غيره . .

فيحاول كل فرد أن يضيف نفسه إلى فرد آخر فى جماعته . .ليستمد منها قوة . على احتمال الموقف . .

[من أجل ذلك كانت المآس قادرة على أن تجمع الأمة أكثر مما تستطيع الأفراح]

الفكرة للدكتور عمر فروخ

تجديد المسلمين ١٤٣

(عن ابن عباس قال :

ما نزل هؤلاء الآيات إلا فيهم

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ . قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾ [آل عمـران : ١٢ ، ١٣] أى أصحاب بدر من أصحـاب رسول ﷺ . وقريش ، ﴿ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴾

قال ابن اسحاق :

أن بنى فينقاع كانوا أول يهود نقضـوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وحاربو فيما بين بدر وأحد) سيرة ابن هشام ج٤/ ٧٨٦ ط الجمهورية .

(وكان من أمـر بنى قينقـاع أن امرأة من العـرب قدمت بجلب ـ مـا يجلب إلى السوق للبيع ـ لها .

قباعته بسوق بنى قينقاع .

وجلب إلى صائغ بها .

فجعلوا يريدونها على كشف وجهها . فأبت .

فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها .

فعقده إلى ظهرها .

فلما قامت انكشفت سوءتها . فضحكوا بها .

فصاحت . فوثب رجل من المؤمنين على الصائغ فقتله . وكان يهوديا .

فشدت اليهود على المسلم فقتلوه .

أ ـ من مدح فاسقا فكأنما أحب أن يعصى الله تعالى .

فينبغى أن يذم . . ليغتم . .

لا أن يمدح . . فيفرح . .

ب ـ فما بالك بمن يعين الظالم !

إنه يسلط عليه .

الظالم الغشوم :

غشـوم . . كأنه ثور فى مستـودع من الخزف يدوس كأنه يدوس حـجارة . . إنه مجنون . . فى بيت من زجاج !

من معانى الكلمات :

صديق : فالصدق شرط الأخوة .

جار : لأن يجير إذا استجاره جاره

صهر : يعنى انصهار الأسرتين فى كيان واحد.

المرء : تعنى كون المروءة من خصائص الإنسان

أم : يجب أن تكون الروابط بين أفراد الأمة كروابط الرحم .

أعجمى : كاد يعلو نجمه

فى سماء الشعر نجم العرب

المعلومات فى الذهن . . .والقلم فى اليد

ولكن : لا رغبة فى القلوب

ولاتحسبوا رقصى لكم طربا :

فالطير يرقص مذ بوحا من الألم

وذو الشوق القديم .. وإن تسلى

مشوق حين يلقى العاشقينا

واجب الداعية :

العلم ..

ثم : الرفق

ثم : الصبر

تقدير العلماء :

قال طالب العلم :

ما طرقت بابا على عالم قط ..حتى يخرج لوقت خروجه .

إذا كنت صدقت الكذاب فيما قاله عن غيرك ..

فصدقه ـ بنفس القوة ـ فيما بقوله عنك !!

ليس قطا مثل قطى

أى :

ليس الأكابر كالأصاغر

لك هدف حقا :

ولكن هل أنت مستعد لدفع ثمنه !!

من علامات قبول التوبة :

أن يحس من لذة الطاعة ما كان يلاقيه من لذة الهوى .

وإلا .. فلم يتب

سير السوانى : سفر لا ينقطع

دعاء :

أدام الله عليه صحته . . وستر عورته

لن تنالوا ما تحبون . . حتى تتركوا ما تشتهون

خذ بفتواه . . ولا تلتفت إلى تقواه

وكم من منجب فى تلقى الدروس ..

تلقى الحياة فلم ينجب !

من حفر لأخيه جبا . . وقع فيه منكبا .

رأى البيت يدعى بالحرام فحجه

ولوكان يدعى بالحلال لما حجا

إن الثمار إذا بقيت بعد أوانها

كان مصيرها العفن . .

نقول ذلك : تأويلا . . لا تطويلا . .

واستطرادا . . لااستنباطا

ميزان المؤمن فى صوره :

إن سرتك حسنتك . .

وساءتك سيئتك . .

فأنت مؤمن

عمرو بن عوف :

من المدينة : فهو أنصارى

ثم أقام بمكة . . وهاجر . .

فهو من المهاجرين

ثم هو : بدرى !!

وياله من شرق دونه الثريا !!

إذا لم تملك شيئا .. فإنك تستطيع

أن تنام هادئا ..

لأنك قد استدبرت دنيا ...

خلت منها يدك .. وزلت عنها قدمك

إذا صنعت المعروف .. فاستره .

وإذا صنع معك .. فأظهره

الكلمة الطيبة : صدقة من بين فكيك .

وهى خير من صدقة من بين كفيك !

قيل العالم :

ممن تعلمت الأدب ؟

فقال :

من الأحمق !!

كلما أخطأ تجنبت مثل خطئه

الإضراب عن الطعام :

الأكل واجب ..إذا كان به حفظ الحياة . ومن أجل ذلك :

كان من يضرب عن الطعام ـ إذا مات كان منتحرا :

يلقى بنفسه فى لجة الموت :

ليدفن بهذا الموت آلامه ..

بعد أن دفنت الحياة آماله

قانون السببية

(ليل العاشق . وليل السجين)

سرقة « إنشتاين » من « ابن زيدون » القائل : إن يطل بعدك ليلى . . فلكم بت أشكو قصر الليل معك !

المقيد مع الأحبة فى السلاسل ..خير من :

الطليق مع الأعداء . . فى البستان !!

اللص

يضع اللص المفتاح فى الخزانة . . ثم . . ثم يقول : باسم الله ؟ !!

فى العبادة : نبتدع . . ولا نتبع

وفى الحضارة : بالعكس !!:

نتبع . . ولا نبتدع

الوضوء للجنازة :

من لاحظ الحقيقة اللغوية . . فهى صلاة بمعنى : الدعاء [فلم يشترط الطهارة]

ومن لاحظ الحقيقة الشرعية ..فهى :

أعمال مخصوصة (اشترط الطهارة)

سلم الأولويات

سؤال :

دخلت المسجد . . فإذا الجماعة قائمة . .

فهل أتيمم لألحق بالجماعة ؟

والذى يقال هنا :

هل الطهارة أولى . . أم صلاة الجماعة ؟

يقول الشاعر :

سوءة : سوءة لوجه طبيب

ساءنا منظرا وساء صنيعا

إن رآه الصحيح صار مريضا

أو رآه المريض مات سريعا

ما أنت إلا كزرع عند خضرته

بكل شئ من الآفات مقصود

فإن سَلِمْت من الآفات أجمعها

فأنت عند كمال الأمر محصود !

الدين : أساس ..

والسلطان : حارس

وما لا أساس له . . فمهدوم

وما لا حارس له . . فضائع

الملابس الضيقة :

مع أنهم يقولون :

إن الملابس الضيقة تضعف الخصوبة وبخاصة « الجينز »

مع هذا فالبعض يقلد فيما يضره !!

قتل الإنسان !

يطلب الإنسان فى الصيف الشتا

فإذا جاء الشتا . . أنكره

ليس يرضى المرء حال واحد

قتل الإنسان ما أكفره !

بعض الناس :

يعرض تفاصيل حياته . كمؤرخ والبعض يعرضها : كمذكرات وذكريات وآخرون يسردونها كأنها اعترافات

لولا ثلاثة كتبها الله تعالى على الإنسان ما أطاقه أحد :

المرض

والفقر

ثم الموت

ومع هذا فهو وثاب . . عياب !

خطبة :

خطب « سعيد بن شريك » بحمص يوما :

فحمد الله وأثنى عليه . ثم قال :

إن الاسلام حائط ينفع . وباب وثيق

فحائط الإسلام : الحق .

وبابه : العدل .

ولايزال الإسلام ينبعا ما اشتد السلطان ، وليس شدة السلطان ، قتلا بالسيف ولاضربا بالسوط .

ولكن :

قضاء بالحق .

وأخذ بالعدل

أنانية .

يستثمر ماله فى دولة أجنبية :

فى أفق لايسع إلا هو . .

يفعل هذا . . بينما بلده يرجع إلى الوراء

قال « ابن هبيرة » :

ما رأيت أكرم من الفرزدق :

هجانى أميرا . .

ومدحنى معزولا !

الخليفة :

يذكر الله خاليا . . . ففاضت عيناه

دخل الأصمعى على الرشيد يوما . . فوجده يقرأ كتابا ويبكى !

مسلك الرعاع :

يظلم المسؤول . . فنكست ، فإذا عفا . . . مدحناه !

ثم يسرق . . فنكست

فإذا تبرع هللنا !!

قال بشار :

هجوت « جريرا » فأعرض عنى . واستصغرنى . ولو أصابنى . . لكنت أشعر الناس .

هناك فرق بين الشمس : فى مظهرها . وبين حقيقتها !

الزعامة الإلهية :

أنشد حسان ﷺ . يرثى « إبراهيم » ابن الرسول عليه الصلاة والسلام :

مضى ابنك محمود العواقب لم يُشَبْ بعيب ولـم يذمـم بقـول ولا فعـل

رأى أنــه لــو عــاش ساواك فى العـــلا فآثر أن تبقى وحيدا بلا مثل

حافظوا على مصر :

قال عبدالله بن الحكم للإمام الشافعى عند قدومه إلى مصر ، إذا أردت أن تسكن فى مصر . . . فليكن لديك قوت سنة . ومجلس من السلطان تتعزز به .

فقال الشـافعى ﷺ : يا أبا محـمد : من لم تعزه التـقوى فلا عـز له ، ولقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت يوما ، وما بتنا جياعا قط .

وقال الشافعى :

أفلست ثلاث مرات ، فكنت أبيع قليلى وكثـيرى ، حتى حلى ابنتى وزوجتى ، ولم أستدن قط :

فانظر كـيف ساءت أكـره عبدالله بن الحكـم عن مصر حـتى حذر الشـافعى من الإقامـة فيـها إلا بالاحـتياط الـشديد فى أمر الـرزق . وضرورة أن يسلم زمـامه إلى السلطان ليعيش .

وإذا لم يرد الشافعى أن يـدخل مع ابن الحكم فى مهاترات فإنه بلغـته فى التوكل والعزة ما يلفته عن فـكرته عن مصر التى يعرفها ، وبحمله الشوق إلى البـقاء فيها . جاعلا من إيثارها على غيرها ردا عمليا على هذا الزعم

ولكن أحد مستشـارى المأمون ينبرى يدافع عن مصر وجمالها وطيب البـقاء فيها مهما حاول البعض أن يقضوا من قيمة هذا الجمال .

فقد قال المأمون يوما :

لعن الله فـرعون حـيث يقـول ما حكـاه عليه القـرآن ﴿ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ ﴾ [الزخرف : ٥١] فلو رأى العراق وخصبها !! فرد ذلك المستشار وقال :

يا أمير المؤمنين :

لاتقل هذا ، فإن الله عـز وجل قال : ﴿ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا

كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

فما ظنك بشىء دمره الله . هذا بقيته ؟! أى أن مصر الغنية بمواردها ، القصيبة بزروعها وأنهارها ، حين لم يشكر فرعون ما فيها من نعمة الله عليه ما يتقلب فيه من نديم .

ومع هذا التدهور فقد بقى فيها من الجمال والجلال ما فيها الآن ، فكيف كان جمالها ، وجلالها قبل التدمير ، وأين منها أمم الأرض جميعًا ؟!

مصر فى الهدى النبوى

عن أبى ذر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « إنكم ستقدمون مصر وهى أرض يسمى فيها « القيراط » فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها ، فإن فهم ذمة ورحما» أو قال : «ذمة وصهرا» .

فإذا رأيت رجلين يختصمان فيها موضع لبنة فاخرج منها .

قال : « فرأيت عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة وأخاه ربيعة يختصمان فى موضع لبنة فخرجت منها » .

أم الذمة فهى : العهد والأمان .

وأما الرحم : فمن مصر كانت «هاجر» أم إسماعيل عليه السلام وهو أبو العرب، ومنها كانت «مارية القبطية» أم إبراهيم ولد النبى ﷺ .

ولكن التكريم لم يكن لمجرد هذا النسب وحده .

ولكنه مردود فى جانبه الأهم إلى الطبيعة المصرية الأصيلة النبيلة .

وما جبلت عليه من فروسية وما حملوا من مسئولية الجهاد إلى الأبد :

فمن حديث عمرو بن العاص :

« إذا فتح الله عليكم مصر بعد ، فاتخذوا منها جندا كثيفا ، فذاك الجند خير أجناد الأرض » .

قال أبو بكر :

ولم ذاك يا رسول الله ؟

قال : « **لأنهم فى رباط إلى يوم القيامة** » .

إن مصر التى بقيت خصبة طيبة الماء والهواء . . هى أيضًا خصبة بما تملك من رجال يحرسون الحق أبدًا ، وعلى أيديهم تجيء البركة ويعم الرخاء .

وإن منها أمم أخرى فتحت على المسلمين فكانت بابا هبت منه ريح عاصف .

جاء فى الحديث التالى مباشرة لحديث : « **إذا فتح الله عليكم مصر ..** » قوله ﷺ : « **إذا فتحت عليك فارس والروم ، أى قوم أنتم ؟**

قيل : نكون كما أمرنا الله تعالى : « **أى شاكرين حامدين** » .

قال : أى الرسول ﷺ : « أو غير ذلك : تتنافسون ، ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ، ثم تتباغضون ، ثم تنطلقون فى مساكن المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض والحديثان وردًا فى الجامع الكبير .

فانتظر كيف جاء فتح فارس والروم ركوبا إلى متاعب انداحت دائرتها .

والرسول ﷺ يرسم خط الانحراف البادئ بالتنافس والمنتهى بالتحاسد .

ثم يتحول الحسد إلى تدابر وتنافر ينقلب فى النهاية بغضًا . . ينعكس ضعفًا حين يجعلون من الضعفاء أمراء بعضهم على بعض فتفسد مرافق الدولة .

درس فى الدعوة :

ولقد علم الرسول ﷺ من أبى ذر حدة تابعه الحامل له أحيانًا على الثورة والصدام !

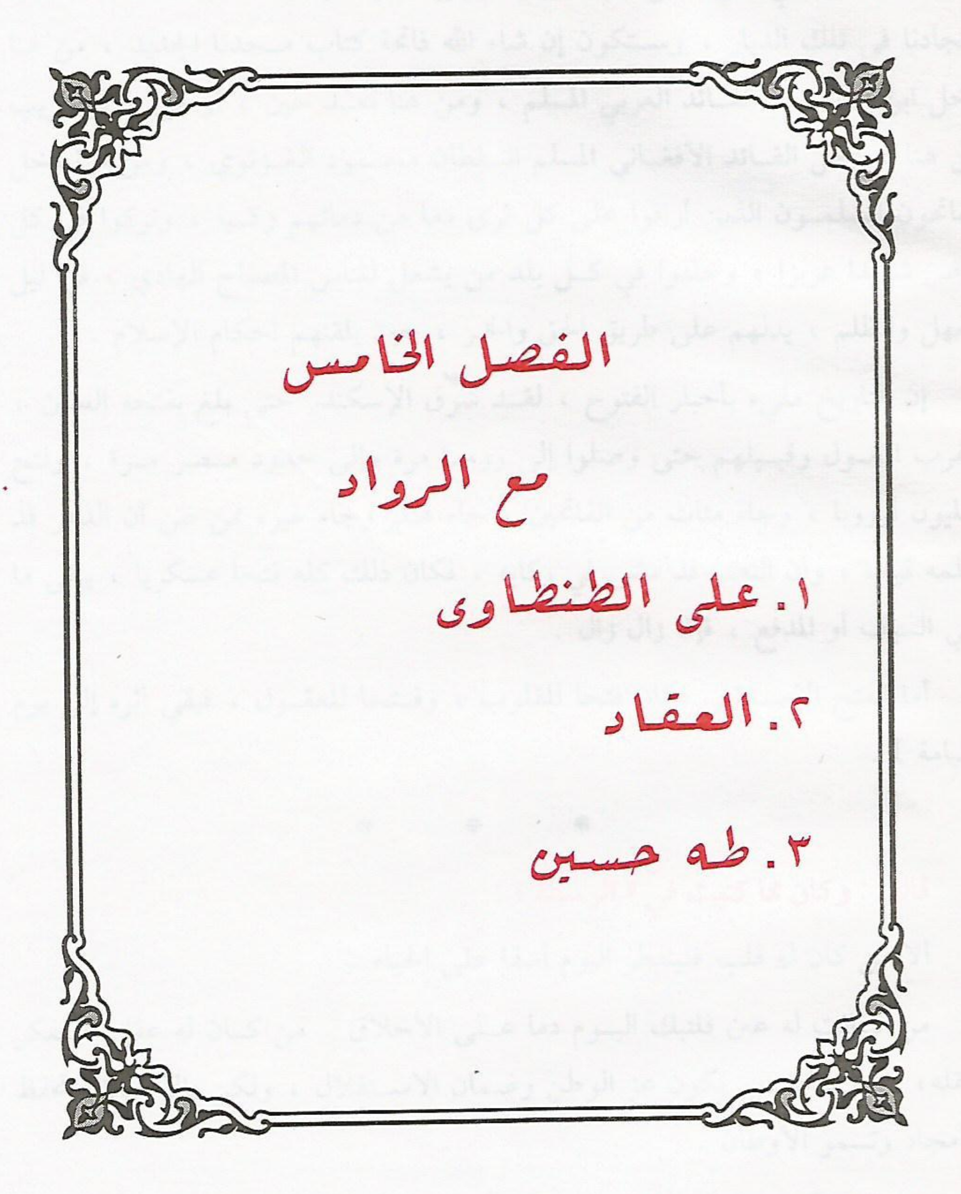
وحرصًا منه ﷺ أن تبقى مصر كالعهد بها آمنة مطمئنة . . يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان ، نبه أبا ذر أن يخرج من مصر إذا رأى اثنين يتخاصمان فى أمر من أمور الدنيا !!

ولقد رأى الخلاف ينشأ بين اخوين ، ولقد رأى الخلاف ينشأ أخوين مهاجرين

مصر وفى قلبه جمرة متئدة لو تركها تنفجر لتركته رمادا .

ألا فليكن الحماس ظاهرة صحية ودليلاً على الصحوة الإسلامية المباركة .

ولكن حذراً أن يعبر الحمـاس عن نفسه بالصدام .. حفاظًا على مـصر ، الغنية بدينها ، ورجالها ، ومالها وهوانها .



الفصل الخامس

مع الرواد

١. على الطنطاوى

٢. العقاد

٣. طه حسين

قال الشيخ على الطنطاوى :

[هذه كراتشي التي دخل منها الإسلام إلى القارة الهندية ، فكانت فاتحة كتاب أمجادنا في تلك الديار ، وستكون إن شاء الله فاتحة كتاب مجدنا الجديد ، من هنا دخل ابن القاسم ، القائد العربي المسلم ، ومن هنا بعد حين ، أو من طريق قريب من هنا ، دخل القائد الأفغاني المسلم السلطان محمود الغزنوي ، ومن هنا دخل الفاتحون المسلمون الذين أراقوا على كل ثرى دما من دمائهم زكيا ، وتركوا في كل أرض شهيدا عزيزا ، وخلفوا في كل بلد من يشعل للناس المصباح الهادي ، في ليل الجهل والظلم ، يدلهم على طريق الحق والخير ، حين يلقنهم أحكام الإسلام .

إن التاريخ مليء بأخبار الفتوح ، لقد شرّق الإسكندر حتى بلغ بفتحه الصين ، وغرب المغول وقبيلهم حتى وصلوا إلى روما مرة وإلى حدود مصر مرة ، وفتح نابليون أوروبا ، وجاء مئات من الفاتحين ، جاء هتلر وجاء غيره ممن ظن أن الدهر قد سلمه قياده ، وأن النصر قد مشى في ركابه ، فكان ذلك كله فتحا عسكريا ، يبقى ما بقي السيف أو المدفع ، فإذا زال زال .

أما الفتح الإسلامي فكان فتحا للقلوب ، وفتحا للعقول ، فبقي أثره إلى يوم القيامة] .

* * *

قالوا : وكان مما كتبت في « الرسالة » :

ألا من كان له قلب فليتفطر اليوم أسفا على الحياء .

من كانت له عين فلتبك اليوم دما على الأخلاق . من كان له عقل فليفكر بعقله، فما بالفجور يكون عز الوطن وضمان الاستقلال ، ولكن بالأخلاق تحفظ الأمجاد وتسمو الأوطان .

فإذا كنتم تحسبون أن إطلاق الغرائز من قيد الدين والخلق ، والعورات من أسر الحجاب والستر ، إذا ظننتم ذلك من دواعى التقدم ولوازم الحضارة ، وتركتم كل إنسان وشهوته وهواه ، فإنكم لا تحمدون مغبة ما تفعلون ، وستندمون ولات ساعة

مندم ، إذا ادلهمت المصائب غدا ، وتتالت الأحداث ، وتلفتم تفتشون عن حماة الوطن ، وذادة الحمى ، فلم تجدوا إلا شبابا رخوا ضعيفا ، ولا يصلح إلا للرقص والغناء والحب .

فالله الله للأمة والمستقبل !

إننا خرجنا من هذا الجهاد بعزائم تزيح الراسيات ، وهم تحمل الجبال ، فلا تضيعوا هذه العزائم ، ولا تذهبوا هذه الهمم .

الإنجليزية : لغة عرجاء : مقطوعة النسب :

تأتى فى الترتيب والمنزلة خامدة بين لغات الأمم ليس فيها قواعد محكمة ، ولا ضوابط مطردة .

ليست مثل العربية فى :

شرف نسبها . ومتانة سببها . [حَبْلها] وثبات أصولها . وضبط موازينها . وحسن اشتقاقها :

العربية : هى اللغة الأولى :

هى التى لم يعرف تاريخ اللغات مولدها : لأن مولدها أقدم من مولد التاريخ . ولم يدرك طفولتها . . لأنه ما رآها إلا شابة مكتملة الشباب .

هى فى الدرجة الأولى .

أما الدرجة الثانية . والثالثة

فهى شاغرة ما احتلتها لغة من اللغات

وفى الدرجة الرابعة : الفرنسية والألمانية معا

ولكن الإنجليز : بجدهم ونشاطهم ، وسعة حيلتهم ، وأنه مر عليهم يوم كانوا فيه خمس الأرض . . ويحكمون بقاعا لا تغيب الشمس عنها ـ لأنها إن غابت عن مغربها بدت فى مشرقها .

الإنجليز : فرضوا لغتهم على الناس ، على ما فيها من عرج وضعف وخلل .

ونحن أضعنا بكسلنا وخمولنا لغتنا .

ولولا أنها قائمة بكتاب الله ـ والله تعهد بحفظ كتابه . وما تعهد الله بحفظه لا يقدر أحد على المس به . . .

لولا ذلك . . لزالت ونسيت !] (١)

يقول الشيخ على الطنطاوى :

لم يكن العقاد شاعرا مطبوعا إلا عند من طبع الله على ذوقه

قالها الشيخ بعدما رحل العقاد .

ولو كان حيا وسمعها لرد بعنف :

وبقلم من حديد :

يجرح . . . ولا يداوى

مع العقاد

حب العقاد للحياة :

وقد كان الفقيد العزيز يحب الحياة على الرغم من متاعبها وأذاها ، وعلى الرغم مما عاناه فيها من أمراض وشدائد ، لأنه كان يحب المعرفة ويغرم بها ، ويحب أن يصل إليها ، وتصل إليه ، ولو تحت التراب . . !

كنا وكان الناس يعرفون ذلك عنه فلما بلغ السبعين من عمره ، كنت أزوره ليكتب عن « وحى السبعين » فسألته :

هلا تزال تحب الحياة اليوم ، كما تحبها بالأمس . . ؟

فقال :

[لم يتغير حبى للحياة . ولم تنقص رغبتى فى طيباتها . . ولكننى اكتسبت صبرا على ترك ما لابد من تركه ، وعلما بما يفيد من السعى فى تحصيل المطالب وما

(١) على الطنطاوى .

وما لايفيد وزادت حماستى الآن لما أعتقد من الآراء ، ونقصت حدتى فى المخاصمة عليها ، لغة المبالاة بإقناع من لا يذعن للرأى والدليل . .

وارتفع عندى مقياس الجمال ، فما كان يعجبنى قبل عشر سنين ، لا يعجبنى الآن ، فلست أشتهى منه أكثر مما أطيق . . .كنت أحب الحياة كعشيقة تخدعنى بزينتها الكاذبة وزينتها الصادقة . فأصبحت أحبها كزوجة أعرف عيوبها وتعرف عيوبى . لا أجهل ما تبديه من زينة وما تخفيه من قبح ودمامة . إنه حب مبنى على تعرف وفهم.

والحياة بمعناها ولفظها حياة ، سواء رضينا أم لم نرض ، وهى خير من الموت وقد نظمت أبياتا فى هذا المعنى فقلت :

قالوا الحياة « قشور »	قلنا فأين الصميم
قالوا « شقاء » فقلنا	نعم فأين النعيم
إن الحياة حياة	ففارقوا أو أقيموا

ولم يكن « العقاد » يتشاءم من شئ فى الحياة مطلقا ، فقد كان يتحدى التشاؤم، ولا يؤمن به ، حتى أنه كان يتحدى رقم ١٣ الذى يتشاءم منه الكثيرون ، فكان يسكن منزلا بمصر الجديدة يحمل هذا الرقم ، وكان الرقمان الأولان من تليفونه هما ١٣ ، وقد بدأ بناء منزله بأسوان يوم ١٣ مارس ، وقسم كتبه ١٣ قسما ، واحتفظ بتمثال للبومة كان يضعه على مكتبه . .ومن الغريب أنه دفن فى أسوان يوم ١٣ مارس . .

لم يبلغ كل ما أراد ...!!

وقد سألته مرة : هل ظفرت بما كنت تريده من الحياة ؟ . .وهل كان ذلك هدف خاص حاولت أن تبلغه ، فبلغته ؟ . . وهل تحب نفسك الآن أكثر مما كنت تحبها أيام الشباب ؟ . .وهل تشعر بأن هناك صفات معينة تفتقر إليها ؟

وهل تجد فى نفسك صفات تكرهها ويكرهها الناس ولا تستطيع التخلص منها ؟ وهل تحب أن تعيش حياتك الماضية مرة أخرى ؟ . .ثم ما هى فلسفتك فى الحياة ؟

فكتب العقاد يقول :

– كل ما كنت أريده وأطلبه من الحياة لم أبلغه ، ولا أرى أن أحدا بلغ كل ما طلب وأما هدفى فى الحياة ، فكان فى الصبا أن أتولى القيادة العسكرية ، ثم تحولت أو خيل إلى أننى أتحول إلى طلب العلوم الزراعية ، وأن ألتحق بمدرسة الزراعة فى ذلك الحين ، ثم تبين لى من مراجعة نفسى مراجعة دقيقة أن وراء الطموح إلى القيادة العسكرية وإلى العلوم الزراعية باعثا واحدا هو « حب الأدب . . . »

« فقد كنت أنظم الشعر فى الحماسة ، ثم جنحت نفسى إلى دراسة الأزهار والطيور فبدا لى ذلك كأنه طموح إلى التفرد فى علوم الزراعة ، وما كان فى حقيقته إلا صورة من صور الجمال ، أو حب الطبيعة . . .

وقد استويت على هذه الحالة بعد هذه المراجعة ، فبلغت فيما أعتقد غاية ما يستطاع فى بيئتنا العربية ، ولم أبلغ الغاية التى رسمتها أمامى فى مقتبل حياتى ، ولا قريبا من الغاية . وإذا قدرت ما صبوت إليه مائة فى المائة ، فالذى بلغته لا يتجاوز العشرين أو الثلاثين . . . !

أما حبى لنفسى ، فإنى أصارحك أننى ما أحببت نفسى قط إلا لسبب عام رأى أننى أصلح له ، وأستحق الحياة من أجله . ولا تهمنى الحياة لحظة إن لم تقترن بهذا السبب ..!

وإنى أشعر أن لى خصالا كثيرة أستطيع أن أمنحها غيرى ويكفى هذا عوضًا عما يعوزنى من الخصال . . .

ولم يكره الناس من صفاتى إلا تلك الصفات التى أعتز بها وأما ما أكرهه أنا فهو المحاسبة الشديدة لنفسى وللناس ، ولولا هذه المحاسبة لرضيت عن نفسى ، ورضيت عن الكثيرين .

ثم يقول :

[أما فى مجال الأخلاق فلا موجب عندى لعمل الخير غير طلب الكمال وفهم الكمال . . .

ومن الخير ما هو عسير على النفس محفوف بالخطر مكروه العواقب مستهدف للنقد والمذمة بين من يجهلونه أو يصابون فى منافعهم من جرائه ، فلا باعث لعمل هذا الخير أقوى من باعث الشوق إلى الكمال والارتفاع بالنفس إلى ما ترضاه .

إن الإنسان لا يرائى بحب الطعام الجيد أو الطعام المفيد ، إنه يحبه فى السر كما يحبه فى العلانية ، وإنه ليبذل فيه ثمنه وإن غلا ويجلبه من مكانه وإن بعد وإنه ليكتفى به ويحسبه جزاء حسنا ولا ينتظر عليه المثوبة أو الشكران من أحد لأنه يتناول لنفسه ولا يتناوله مرضاة لغيره .

وهكذا طعام العقل أو طعام الروح حيثما عرفت الروح ما يصلح لها وما يليق بها من طعام ، إنها لا تستريح بغيره ولا تتوانى عن طلبه ولا تنتظر المثوبة أو الشكر لأنها تختار غذاءها فتحسن اختياره ولا ترضى بما دونه . وإنما المهم أن تعرف هذا الغذاء فإذا هى عرفته فلا باعث لها إلى الخير أقوى من الشوق إليه ولا وازع لها ولا عقوبة تخشاها فى سبيل أوجع من فواته والحرمان منه . . .]

وقد ترى لطفل يؤجر على تجرع الدواء ويساق إليه بالحيلة والإعزاء لأنه لا يعرف ما هو الداء ، ولا ما هو الدواء . . .

ولكنك تنتظره سنوات حتى يعرف هذا وذاك فإذا هو يبذل الأجر لمن يعطيه الدواء، ويسعى إليه عند الأطباء فى أبعد الأرجاء ، وما تغير طعم الدواء ولا تغير وفى عالم الأخلاق لا باعث إلى الخير أقوى من شعور الإنسان بكماله ولا وازع عن الشر أقوى من شعور الإنسان بنقصه ولا أخلاق لمن يحسن لأنه يؤجر على الإحسان أو يسئ لأنه فى أمان .

فساعة من الغبطة ببلوغ الكمال هى غاية ما تصبو إليه النفس من مراتب السعادة وساعة من تبكيت الضمير على النقص هى غاية ما تنحدر إليه النفس من الشقاء .

وإيمانى فى المعاملات أن الطيبة موجودة فى الطبيعة الإنسانية ولكنك لا تجدها فى كل إنسان ولا تجدها فى جميع الأوقات . .

ولكنك إذا بحثت عن المعين لم تضمن وجوده حين تريده وإذا وجدته حين أردته

لم تضمن أن يوافقك على رأيك ويساعدك على قصدك ، فلعله يعين إذا اعتقد وجه الصلاح فى العمل الذى يدعى إليه ولعله لا يعتقد اعتقادك فيما ترى من الصلاح .

* * *

فلا تقنط من طيبة الناس كل القنوط . . ولا تعول عليها كل التعويل بل أحسن الظن بالناس كأنهم كلهم خير واعتمد على نفسك كأنه لا غير فى الناس .

وقديما قلت :

أنا لا ألوم ولا ألام	حسبى من الناس السلام
أنا إن غنيتُ عن الأنام	فلقد غنيتُ عن الملام
وإذا افتقرتُ إليهم	فاللوم من لغو الكلام

ولا أزال كلما نسيت هذه الخطة فى سهوة من السهوات ردتنى الحوادث إليها وزادتنى إيمانا بصوابها .

* * *

وإيمانى بالأدب أنه رسالة عقل إلى عقول ووحى خاطر إلى خواطر ونداء قلب إلى قلوب .

وأن الأدب فى لبابه قيمة إنسانية وليس بقيمة لفظية .

فالأديب الذى يقرأه القارئ فلا يعرف شيئا جديدا ولا يحس بشئ جديد فسكوته خير من كلامه .

والأديب الذى يقصر جهده على التسلية وإزجاء الفراغ خادم جسد وليس بصاحب رسالة فى عالم العقل والروح ، والعلاقة بين الكاتب وقارئه علاقة تعاون واشتراك لا يغنى فيها الجهد المفرد على الجهدين المتساندين .

فالقارئ الذى يفرد الكاتب بواجب التفهيم لا يستحق من الكاتب أن يلتفت إليه، لأنه واحد من ثلاثة : فإما رجل يظن أن القراءة لا تستحق التعب وهو يتعب فى طلب اللهو والتسلية فلا نفع فيه .

وإما رجل يتعب فكره ولا يصل بالتعب إلى نتيجة فذلك أيضًا لا نفع فيه وإما رجل لا تهمه نتيجة القراءة التى يتسلى بها أو يتعب فيها فهو كصاحبيه لا نفع فيه .

* * *

وإيمانى بالشهرة والثناء كإيمانى بالثواب والجزاء فما أجفلت قط من نقد ، ولا توسلت قط إلى ثناء ، ويعزينى عن كثير من الثناء أن الناس لا يبذلونه لمن يكبرونه بل يبذلونه لمن لا يملأ قلوبهم بالإكبار ولا يبلغون من إعظامه مبلغا يحسدونه وينفسونه عليه ، وأن الأدب شيءهين كل الهوان إن ضاعت قيمته بكلمة حاسد أو جاءت قيمته من كلمة كاذب منافق ، فإذا كانت له قيمة فلا خوف عليها وإن لم تكن قيمة فلا حرص عليه .

* * *

وبعد فإيمانى كله فى العقيدة والأخلاق والمعاملة والأدب يوزن بميزان واحد وهو ميزان المثل الأعلى أو طلب الكمال لأنه إيمان يغنينا عن طلب الجزاء ويعزينا عن فقدان الحمد والثناء . .

* * *

كيف تضيع حقائق التاريخ في دعايات بعض الدول وبياناتها الرسمية ؟

إن كذب عليك ولدك أو تلميذك نصحته ثم زجرته ثم عاقبته . ولكن من يعاقب من يزور التاريخ ؟ وهو يملك كل وسائل التزوير وأنت لا تملك من أسباب التصحيح شيئا ؟ السلطان معه ، والدولة والمال والإذاعة والصحف معه ، فما الذي هو معك ؟ كن مع الله تر الله معك ، وكفى بالله لمن كان معه بقلبه معينا ونصيرا ، وسيظهر الله الحق ولو طال المدى ، وإن لم يظهر في الدنيا فإن هذه الدنيا فصل من الرواية وليست الرواية كلها ، إنه سيرفع الستار عما بقي من فصولها .

كم رأيت في حياتي من حكام انتهى إليهم في حياتهم أمر كل شيءثم أمسوا ليس في أيديهم من الأمر شيء ، بل لقد باتوا هم لا شيء :

ماتوا فما ماتت الدنيا لموتهم ولا تعطلت الأعياد والجمع

وسيموت كل طاغية جبار ، ويمشي على طريق من سبقه . ما بقيت الدنيا لأحد قبله حتى تبقى له . بل إن الأسماء التي كبرت حتى مشت على كل لسان ، ودخلت كل أذن ، وصار منها ما يخوف به الأولاد كالبعبع والعفريت والغول ، لقد نسيت هذه الأسماء !

كنت مرة مع بعض العوام ، فجرى ذكر ستالين ، فسألت أحدهم : ألا تعرف ستالين ؟ فخجل من جهله ، ثم قال : أنا يا أستاذ أستعمل الأسبرين ، لا أعرف الستالين !

كم عدد الذين يعرفون من القراء تاريخ القرامطة ؟ القرامطة الذين احتلوا مكة ، وأقضوا جانب الدولة العباسية ، وعاثوا في الأرض فسادا ، وكانوا شر قبيل انتسب زورا إلى بني آدم . الذين ذبحوا الحجاج ذبح النعاج وهم يطوفون حول البيت ، واقتلعوا الحجر الأسود ، وأخذوه معهم إلى هجر . ولست أعرف ما هجر أهي القطيف ، أم البحرين ؟ ولا يضرني أن لا أعرف ما هجر بعد أن أباد الله ذلك الصنف الفاسد من البشر ؟ .

وصاحب الزنج الذي أثار الأذناب على الرؤوس ، والعبيد على السادة وأراد أن يقلب وضع المجتمع ، ويجعل سافله عاليه ، ورأسه تحت ورجليه من فوق ، فقلبه الله فجعل جسده تحت الأقدام ، وصيره عبرة للأنام .

[إن جمال الجوهرة غير تقويم الجوهرة ، وغير تمييز الجوهرة ، وغير السرور بالجوهرة لمن يقتنيها ، وهذا هو بعينه ما يقال عن جوهرة الحياة فيما شئت من الأعمار وما شئت من الأقدار .

ولو اتسع المجال لأتينا هنا بالأمثلة من عشرات الدواوين الشعرية وعشرات التحف الفنية ، وقابلنا بين ما نتج منها فى الثلاثين وما نتج فى الأربعين أو الخمسين أو الستين ، فإننا لخليقون أن نعلم بالمقابلة والمضاهاة أن المزايا تتعادل وتتفاضل فلا تنحصر المزايا كلها ولا الفضائل كلها فى عهد من عهود الحياة ، ولا تزال لكل سن فضيلة تعوضها فضيلة مثلها فى سن أخرى ، فإذا توفرت حماسة الشعور فى بواكيره

فقد تقابلها المعرفة بأنواع الشعور بعد فوات البواكير أو تقابلها القدرة على التعبير والالتفات إلى الفروق ، أو تقابلها تصفية تأخذ الخلاصة بعد أن تجمع لديها الكثير من الأزواد .]

وفى الشرق تبكر الشيخوخة أحيانا كما يبكر الشباب فيسرع الذبول كما تسرع النضارة ، ويكثر النبوغ قبل الأوان كما يكثر الجمود قبل الأوان ، ويندر بين أدبائنا من أتى بالفلق بعد الخمسين كما أفلق أناس من أدباء الغرب الذين جاوزوا السبعين أو الثمانين . ولكننا إذا رجعنا إلى أدبائنا الذين بلغوا تلك السن ألفينا لهم حسنات يعيشون بها فى عالم الخلود يقرنها الناقد بأجمل حسناتهم المأثورة فى أيامهم الأولى، وكلها ذات سمعه واحدة لا تعدوها وهى سمعة الثروة المملوكة والكنز المحسوب] أ . هـ

* * *

ومن تجاربه

إيمان :

أومن بالله . . أومن بالله وراثة وشعورا وبعد تفكير طويل .

فأما الوراثة فإنى قد نشأت بين أبوين شديدين فى الدين لا يتركان فريضة من الفرائض اليومية ، وفتحت عينى على الدنيا وأنا أرى أبى يستيقظ قبل الفجر ليؤدى الصلاة ويبتهل إلى الله بالدعاء ولا يزال على مصلاه إلى ما بعد طلوع الشمس فلا يتناول طعام الإفطار حتى يفرغ من أداء الفرض والنافلة وتلاوة « الأوراد » . .

* * *

ورأيت والدتى فى عنفوان شبابها تؤدى الصلوت الخمس وتصوم وتطعم المساكين وقلما ترى النساء مصليات أو صائمات قبل الأربعين . وتدربين أقاربى من لا يسمى باسم من أسماء النبى وآله سواء منهم الرجال والنساء أو من أسماء الأنبياء على العموم ، وكان فى بيت أخوالى درس لقراءة الكتب الدينية وأذكر منها مختارات الأحاديث النبوية وإحياء علوم الدين ؛ فللوراثة شأن فيما عندى من سلفية الاعتقاد .

أما الإيمان بالشعور فذاك أن مزاح التدين ومـزاح الأدب والفن يلتقيان فى الحس والتصور والشـعور بالغيب وربما كان « وعى الحياة » شـعبة من « وعى الكون » أومن «الوعى الكونى » الذى يتـعلق به كل شعور بعظمـة العالم وعظمة خـالق العالم . . والوعى الحيوى مصدر النفس والوعى الكونى مصدر الدين .

أما الإيمان بالله بعد تفكير طويل فخلاصته : أن تفسير الخليقة بمشيئة الخالق العالم المريد أوضح من كل تفـسير يـقول به الماديون . ومـا من مـذهب اطلعت عليـه من مذاهب الماديين إلا وهو يوقع العـقل فى تناقض لا ينتهى إلى توفيق ، أو يلجئه إلى زعم لا يقوم عليه دليل ، وقد يهـون معه تصديق أسخف الخرافات والأسـاطير فضلا عن تصديق العقائد الدينية وتصديق الرسل والدعاة . فالقول بالتطور فى عالم لا أول له خرافـة تعرض عنها العـقول لأن ابتداء التطـور يحتاج إلى شىء جـديد فى العالم وحدوث التطور بغير ابتداء تناقض لا يسوغ فى اللسان .

العقاد : اتعدوة :

(فلما تركت المدرسة لبثت برهة أنتفع بأقلامى المدرسية ، ثم عدلت عنها مضطرا إلى الريشة المعدنيـة ، ولم أزل أكتب بها فى الدواوين ، حتى اشتغلت بـالصحافة ، ووجدت الكلفة فى الاستملاء ، وحمل الـدواة إلى كل جهة أذهب إليها وأحتاج إلى الكتابة فيها . .

ولم يكن من اليسير أن أحصل على قلم «مداد» ، أو قلم «أمريكانى» ، كما كان يسمى فى تلك الأيام فلجأت إلى استخدام القلم الرصاص .

وأتعبنى القلم الرصاص لأنه ينقصف ، ويؤلم الأصابع بضـغطه ، ويترك فيـها مثل علامة السجـدة فى جباه المصلين ولكنها علامة لا تنفع أصحابهـا كما تنفع علامة السجدة مـن ينتفعون بهـا فى سوق الرياء فما هو إلا أن تيـسر لى ثمن القلم المداد أو القلم (الأمريكانى) حتى استبدلته بأقلام الرصاص ، ومازلت أكتب به إلى اليوم .

واتفق أننى عملت فى عـدة صحف صبـاحية على التـوالى ، فظهر لى أن المداد الأحـمر « أريح » للنظر فـى ضيـاء الليل ، فـهو المداد الذى اسـتعـملتـه إلى عهـد

قريب. . . هل احتفظت بقلم من أقلامى هذه أو غيرها لمناسبة خاصة تهمنى ذكراها؟ نعم احتفظت بأقلام ثلاثة ، كان لاحتفاظى بكل منها سبب وتاريخ ، وكان كل منها باينا لصاحبيه فى سببه وتاريخه . .

قلم منها احتفظت به لأنه كان هدية من إنسان أعزه ، وكان قد كتب به قصيدة من شعرى فى وصف ليلة على النيل ، ثم أهدى إلى قلم ، والصحيفة المكتوبة بخطه .

وقلم ثالث كتبت به الفصول الأولى من كتابى عند (ابن الرومى) ثم أدركت وأدركه شؤم الرجل وسوء طالعه ، فدخلت السجن ، ودخله معى حيث قضى فيه تسعة أشهر ولكن فى مخزن الأمانات .

وقلم آخر أخرجته لخصم من خصومى السياسيين ، وأقسمت له لتسقطن الوزارة النسيمية قبل أن ينبرى هذا القلم . وقد كان من أجود الأقلام المعروفة «بالكوبية» أهديت بصندوق من نوعه ، فجعلت أروح فى الكتابة العجلى بينه وبين القلم المداد .

أين هذه الأقلام الآن ؟ هل هى محفوظة كما احتفظت بها فى أوانها ؟

كلا . . مع الأسف ، فليس عندى منها اليوم قلم واحد ، لأنها ضاعت بسبب وتاريخ ، كما كان لها فى الاحتفاظ بها سبب وتاريخ .

القلم الذى أهداه إلى إنسان عزيز عاد بعد فترة من الوقت ، فأصبح فى حياتى غصة لاتطاق .

فحملته ذات ليلة ، وحملت معه الصحيفة التى كتبها بيد ذلك الإنسان العزيز ، ووهبته للنيل فى الموضع الذى وصفته بذلك القصيد !

والقلم الذى صاحبنى فى السجن ، أفرجت عنه ، وأصررت على أن أتم به الكتاب الذى شرع معى فى تأليفه .

ثم أدركه نحس « ابن الرومى » مرة أخرى ، فامتدت إليه يد سارق لابد أنه حبس بعد ذلك . . ! إذا جرى « ابن الرومى » على عادته ، سامحه الله !

فإننى على ما أظن قد عثرت بالقلم عينه ، وإن خطر لى فى ذلك الحين ـ ولا

يزال يخطر لى ساعة ـ أنه شبيه به مشابهة الزميلين فى صنعة واحدة . .

ولقد رثيت القلم المسروق بقصيدة أقول فى مطلعها :

زاملنى فى السجن ذاك القلم وناله ما نالنى من قسَم

ومنها أقول :

أما وقد فارقتنا يا قلم وصالح اليأس عليك الألم

فخير ما أرجوه ألا تُرى فى كف خوّان ولا مُتّهم

ولا تخط الجهل فى صفحة أبيض ما فيها سواد الحمُم

ولا تكن يا قلمى آلة تشتمنى باللغو فيمن شتم

بدأت فى الأوج فلا تنحدر إلى حضيض الذل فى المختتم

ثم عثر بقلم « مرجوع » من لونه ، ونقشته ، وعلامته فاشتريته وقلت فيه :

شيبه القلم المفقو د فى لون وفى حجم

وفى البائع والشا رد وفى الصنعة والرسم

ستغنينى إذا استغنيـ ـت بعد الروح بالجسم

أو استغنى بتمثال فـؤاد الأب والأم

ولكننى أعطيته لمن طلبه فى الإسكندرية ، وذهب به إلى الشاطئ ، فضاع ! . .
أما القلم الذى راهنت به على الوزارة النسيمية ، فقد احتفظت به زمنا بعد سقوط تلك الوزارة ، ثم التبس على بفضلات من أقلام أخرى تشبهه ، فلم أشأ أن أحتفظ بنسخ متعددة لا أدرى أيها الجدير بالاحتفاظ ، وتركته مع شبيهاته لما يصيبه من صروف الأقدار .

وقيل لى كثيرا : « احتفظ بهذا القلم أو ذاك لأنك كتبت به هذا الكتاب أو ذاك» .. فلم أجد معنى للاحتفاظ بقلم تغنى عنه فى عملى ، وفى نظرى أقلام فيها، فإن ساعة من الحس والفكر والخيال تساوى مئة سنة أو مئات من السنين ، ليس فيها

إلا أنها شريط تسجيل لطائفة من الأخبار وطائفة من الأرقام .

كلا . . لست أهوى القراءة لأكتب ، ولا أهوى القراءة لأزداد عمرا فى تقدير الحساب . .

وإنما أهوى القراءة لأن عندى حياة واحدة فى هذه الدنيا ، وحياة واحدة لا تكفينى ، ولا تحريك كل ما فى ضميرى من بواعث الحركة .

والقراءة دون غيرها هى التى تعطينى أكثر من حياة واحدة فى مدى عمر الإنسان الواحد ، لأنها تزيد هذه الحياة من ناحية العمق ، وإن كانت لا تطيلها بمقادير الحساب . . .

فكرتك أنت فكرة واحدة . . . .

شعورك أنت شعور واحد . . .

خيالك أنت خيال فرد إذا قصرته عليك . .

ولكنك إذا لاقيت بفكرتك فكرة أخرى ، أو لاقيت بشعورك شعور آخر ، أو لاقيت بخيالك خيال غيرك . . فليس قصارى الأمران الفكرة تصبح فكرتين أو أن الشعور يصبح شعورين ، أو أن الخيال يصبح خيالين . .

كلا . . وإنما تصبح الفكرة بهذا التلاقى مئات من الفكر فى القوة والعمق والامتداد . والمثل على ذلك ، محسوس فى عالم الحس والمشاهدة ، ومحسوس فى عالم العطف والشعور .

ففى عالم المشاهدة يجلس المرء بين مرآتين فلا يرى إنسانا واحدا أو إنسانين اثنين ، ولكنه يرى عشرات متلاحقين فى نظره إلى غاية ما يبلغه النظر فى كل اتجاه .

وفى عالم العطف والشعور نبحث عن أقوى عاطفة تحتويها نفس الإنسان فإذا هى عاطفة الحب المتبادل بين قلبين . . لماذا ؟ لأنهما لا يحسان بالشئ الواحد كما يحس به سائر الناس . . .

لا يحسان به شيئا ولا شيئين ، وإنما يحسان به أضعافا مضاعفة لا تزال تتجاوب

وتنمو مع التجاوب إلى غاية ما تتسع له نفوس الأحياء .

وهكذا يصنع التقاء مرآتين ، وهكذا يصنع التقاء قلبين . . فكيف بالتقاء العشرات من المرائى النفسية فى نطاق واحد ؟

وكيف بالتقاء العشرات من الضمائر والأفكار ؟

إن الفكرة الواحدة جدول منفصل .

فإن لم تكن لنا وسيلة إلى ذلك غير الكتاب فليكن الكتاب فى الجنة ، ولا يعقل أن تنقص الجنة حيث تكمل المدن العامرة فى هذه الدنيا .

ويقول قائل : أقراءة فى الجنة ؟ . . إذن أنت سوسة كتب ياصاح ! . .

كلا أيها القائل ، وهذه غلطتك الكبرى . فإن سوسة الكتب هو الذى يعيش فى الكتب كما يعيش السوس ، وأما الذى يقرأ الكتاب ليوسع حياته فى العالم ، فالكتاب عنده طريق إلى عالمه ، أو هو نظارة يكبر بها نظره ليضاعف رؤيته ، فهو من صميم الحياة وليس بالصومعة التى تعزل ساكنها عن الحياة . .

وأيا كان الرأى فى طلب المعرفة فالواقع أنها هى المقياس الذى أعرف به ما بقى لى من الشباب ، لأنها هى العمل الواحد الذى حصل بالأمس وسيحصل اليوم وسيحصل غدا إلى أن يشاء الله .

* * *

وأحمد الله لم يتغير من ذلك شئ إلا قوة النظر على طول القراءة ، فليس فى طاقتى اليوم أن أثابر على القراءة أكثر من ساعة واحدة ثم أستريح هنيهة قبل أن أعاودها ، وقد كانت تطول فى إبان الشباب بضع ساعات متواصلات .

وأحمد الله مرة أخرى ، لأنه نقص يقابله عوض حسن ، فالساعة اليوم أبرك من ساعات ، مع المرانة على التحصيل وعلى الكتابة والتسجيل .

ولا أرانى صنعت معجزة إذا احتفظت بهذا القسط من الشباب ، لأنه حظ يصيبه من شاء ، وأخال طريقتى فى إصابته من أيسر الطرق للجميع .

فلى وقت للعمل ، ولى وقت للرياضة ، ولى يوم كل أسبوع أكف فيه عن كل عمل وكل قراءة حتى مطالعة الصحف وفض رسائل البريد ، ولى مواعيد للطعام والنوم لا تختل فى يوم ، ولى قاعدة عامة تشمل العمل والرياضة والطعام والجد واللهو والبطالة ، وهى التوسط بين الإفراط والتفريط . .

وقبل ذلك كله كانت لى شيخوخة فى مقتبل الشباب.

ولم يخل شبابى من الشيخوخة فمن الحق ألا تخلو شيخوختى من الشباب . .

* * *

ثم يقول : بين كتبى :

وكان صاحبى يداعب على القرب رفا أمامه يقرأ عليه عناوين الكتب فى تماثيل اليونان ومدارس الفن القديم والحديث ، فما هو إلا أن طرأ اسم الفن الجميل على لسانه حتى تناول واحدا منها ثم تناول ثانيا وثالثا ورابعا وهو يقلب صفحاتها ويقابل بين صورها ويقرأ سطورا هنا وسطورا هناك فى التعقيب على تلك الصورة أو ذلك التمثال ، ولم يفته أن يدرك ما أدركته الأجيال بداهة وارتجالا من ذلك الفضل السبق على جميع الأفضال فى باب التماثيل : وهو فضل الإغريق الأقدمين . فراح يقول : صدق الذين أطنبوا فى شأن هؤلاء الإغريق ووصفوهم بأنهم تراجمة الطبيعة الصادقون فى كل باب ، ولا سيما باب التماثيل وباب التمثيل ، فما يبصر الإنسان تمثالا إغريقيا إلا اتصل بصره بالطبيعة على بساطتها بغير حائل وبغير حجاب ، وما يقرأ قصة من قصصهم المسرحية إلا اتصل بصره بالطبيعة كما يعيش فيها وتسيطر عليها العناصر والأقدار .

واختطف كلمة فى هذا الكتاب وكلمة فى ذاك عن فن مريون وفيدياس وليسبس ومن تلاهم من المتخلفين . فإن الفن أيضا مظهر لبروز الفرد الإنسانى من الغمار الشامل إلى مكان التخصيص والتمييز ، فالتمثال القديم نموذج للشكل والقالب والقوام يتساوى فيه كل ذى خلق سوى من الناس ، ولكنه شامل عام لا تتميز فيه الملامح والتعبيرات ولا يتمثل فيه التخصيص والانفراد ، ثم تتعاقب صور الإفراد

بروزا وتباينا حتى ينسى الناظر إليـها النماذج الشاملة ويتناولها بالتقسـيم والتفصيل ، ويظهر هذا فى تماثيل العصور الإغريقية لأنهم صدقوا وصف الطبيعة وصدقوا الشعور بها علـى السواء . . . وكأنهم حـين يمثلون الأبطال الأقدمين يمثلون عناوين شـتى لكل نموذج البطولة ويصنع على غرارة قالب باق وتتعدد منه أنماط متكررات .

ولم ينته صـاحبى من تقليب تلك الصور إلا وهو يقول : فن جميل . نعم فن جميل . ولكن ما غناء الفنون الجميلـة فى عصرنا هذا عصر العلوم والصناعات . . ! وأية أمة فى عـصرنا هذا تفرغ للفن كمـا فرغ له الإغريق وعليهـا ذلك الإلحاح الدائم من حاجتها إلى العلم وحاجتها إلى الصناعة ؟

ويقول : [إننا نكبر بالليل جدا يا صاح ..

إن الليل هو عالم النفس ، وأما النهار فهو عالم العيون والأسماع والأبدان . .

إننا بالنهار جزء صغير من العالم الواسع الكبير ، ولكن العالم الواسع الكبير كله جزء من مدركاتنا حين ننظر إليه بالليل ، وهو فى غمرة السبات أو فى غمرة الظلام . وذلك النجم البعـيد الذى تلمـحه بالليل هو منظور من منظوراتك ووجـود منفرد بك أمام وجودك .

ذلك الصمـت السابغ على الكون هو شىء لك أنت وحـدك رهين بما تملؤه به من خيالك وفكرك ، ومن ضميرك وشعورك .

تلك المدينة الصاخبة التى نضيع فيها إذا أضـاءتها الشمس هى شبح مسحور يلقيه رصد الليل تحت عينيك ، وهى ضـائعة كلها إذا لم تأخذها فى حوزة نفسك ومجال بصرك ، وكـأنما هى من تلك المدن التى تسحـرها لنا الأساطيـر . .فكلها مفـقود فى غيبوبة الأرصاد ، إلا السائح الذى ساقه إليها القدر وهو ساهر الظلام !

أنت عالم النفس بالليل ، كأنما توازن وحدك عالم الأنظار والأبدان .

وأنت تشمل الدنيا بالليل وهى تشملك بالنهار .

وأنت فى حـضـرة أعظم من حـضـرة الحس حـين لا حس يشـغلك عن عـالم السريرة.

أنت فى حضرة الخالق حين لا تكون فى حضرة المخلوقات .

ومن سعد بهذه النشوة فى ساعة من ساعات الهزيع الأخير ، فلا ضير عليه تفوته نشوة السماع .]

وكنا قد فرغنا من الطعام وقضينا سويعة فى أشباه هذا الكلام ، فإذا بصاحبى ينهض من المائدة وهو يقول :

ـ هذه المائدة ، وهذا التابوت ! ..

قلت : وهذه المزامير ! . .

وسمعنا بعض أدوار المطربين وشيئا من أغانى الصعيد ولبنان . . ثم نقلت صاحبى نقلة بعيدة فأسمعته بعض الألحان التى لا تعذب فى جميع الآذان . .

وسألته : أفهمت شيئا مما سمعت ؟ ..

قال : لا والله ..

قلت : وأنا مثلك . . هذا موسيقار الغرب الأشهر ولهلم فاجنر ، وأنا لا أفهم منه إلا أقل من القليل ، ولكنه عند نقادهم موسيقار جليل وعبقرى نادر المثيل . .

قال : وهل يفهمه الغربيون كلهم وهومغلق على أناس منا كل هذا الإغلاق ؟ . .

قلت : بل يسخر بعض الغربيين بهذه الموسيقى وأمثالها كما نسخر نحن منها ، ولهم فى التندر عليها قفشات تذكرنا بقفشات أولاد البلد ، لأنها تجرى على أسلوبها. هذا يزعم أن القرن النحاسى اعتدل من النفخ فيه بأمثالها هذه الأنغام ، وذاك يزعم أن طبيبا أخذ مريضه الأصم إلى فرقة من هذه الفرق ليشفيه بضجيجها فسمع المريض وصم الطبيب ! . .

فليست كل موسيقى مفهومة عند كل سامع ولو كان الموسيقيون والسامعون من بلد واحد ، وليس من اللازم أن يستطيب محب الغناء كل غناء ، ولا أن يستطيب محب الشعر كل قصيدة ، ولو كان من أجود الشعراء . .

قال : ولماذا لا نلغيه من عداد الموسيقيين كما ألغينا أولئك المبتدعين المحدثين من

عداد المصورين ؟ . .

قلت : أولئك فهمنا أنهم سخفاء . أما هذا فنحن لا نفهمه ولا ندينه بما لا نفهم. ولو كنا نحيط بكل سر من أسرار الموسيقى ونتلبس بكل مزاج من أمزجتها لصح أن نقضى عليه وعلى المعجبين به وبفنه ، فقصارانا إذن نقضى فيه بأنه عندنا نحن «غير مفهوم !» .

وامتدت السياحة خطوة فإذا نحن فى حجرة النوم . .

وحجرة المائدة وحجرة المكتب . .ليس عليهما حجاب . .

غير أننى قلت لصاحبى : إن هذه الحجرة تعنينى ولا تعنى أحدا غيرى من الناس، اللهم إلا بعض الصور الفنية التى فيها . وكلها منسوخة من أصولها .

أصدقائى وأعدائى :

لى بحمد الله أصدقاء . . .

ولى كذلك أعداء بحمد الله . .

وأحمد الله على الأصدقاء حمد الغبطة والرضا والمسرة . . .

وأحمد الله على الأعداء حمد الإنعام بالبلوى

وقد ينعم الله بالبلوى وإن عظمت . .

ويبتلى الله بعض القوم بالنعم . .

كما قال أبو تمام ..

ومن الأعداء من تود لو تشتريه بالمال وسعيك ، إذا أنت افتقدته فلم تجد من حولك . . .

ومن حقك أن تشترى بالمال والسعى عدوا يزينك بمخالفته إياك ، فإنه لا يزينك بهذه المخالفة إلا إذا كان على خلق يعيبه ولا يشرف من يوافقه عليه . . .

ومن حقك أن تشترى العدو الذى لا يعاديك إلا حسدا على النعمة ، فليس أسوأ

حالا من إنسان على حالة لا يحسد عليها ، وليس من الخير اتقاء حسده بخسارة نعمتك . .

ومن حقك أن تحرص على الأعداء الذين يقولون بعداواتهم لك إنك تضر وتنفع، فمن لا يضر ولا ينفع موجود لا يحس له وجود ، ولا ضير عليك أن يخال بعض الناس أن تضره أكبر الضرر أو أصغر ، فإن من الناس لمن يكون ضرره عقوبة على الشر ، وإن منهم لمن يجهل ضرره ونفعه ، وإن منهم لمن يبتليه الله بالضرر لصلاح أمره ، ومن يكون ضرره فى نفسه كضرر عداوته لغيره .

فعلى عداوة هؤلاء جميعا نحمد الله الذى لا يحمد على مكروه سواه ، ولكنه مكروه يستزاد .

وعلى صداقه من يبقى لنا بعد عداوتهم فلنحمد الله ، حمدا لله ، ثم حمدا لله . .

وحمدا لله مرة بعد مرة ، لأننى لا أصادق أحدا ولا أعاديه فى مأرب من مآرب النفس ولا فى صغيرة من صغائر الضعف الذى يبتلى به كل إنسان .

ولقد قال اليونان قديما إعرف نفسك ، فإذا قلنا معهم : نعم وارض عن نفسك أيضا بلغنا كمال العلم وكمال الأخلاق . ترى هل يطلب الناس أجرا لأنهم يلبسون حلل الحرير ولا يلبسون الكرابيس ! . . ترى هل يأكل الناس الطعام المرئ اللذيذ ويصدفون عن الطعام المسقم الخسيس لأنهم يخشون العذاب ؟ . . فإذا عرفوا الكمال ! وعرفوا النقص فهل تراهم يطلبون أجرًا لأنهم تجنبوا النقص وتعلقوا بالكمال . . وإذا عرفوا صحة النفس فهل تراهم يلتمسون الأجر على الصحة كما يلتمس الأطفال أجرهم على تناول الدواء ؟ . . إنما الخوف من النقص هو أمر العذاب ، والرضوان عن الكمال هو أحسن الجزاء .

وقد يتعذب الإنسان فى طلب الكمال وهو راض ، وقد يرفض النعمة فرارا من النقص وهو لا يخشى العقاب . فارض عن نفسك وأنت فى غنى بعد هذا عن الوعد الوعيد فى نشدان الكمال ، لأنك لا تحتاج إلى الوعد والوعيد لتستطيب ما أنت شاعر

بطيبه وتنفر مما تعاف .]

قال صاحبى : أكبر الظن أن « الذوق » هنا قد يغنى ما ليست تغنيه المعرفة أو تغنيه التقاليد والموروثات ، وهنا يستوى الفن الجميل فى مكانه إلى جانب المعرفة وإلى جانب الدين .

فى العبقرية

يرى العقاد : أن عمر ﷺ . هو العبقرى . الذى استجمع كل خصائص العبقرية .

بمعنى أن عمر هو : عبقرى العباقرة !

بينما زعم غيره : أن العبقرى هو : من ألّف العبقريات !

ثم كان هناك من يقول : عبقرى الصوت . . .

عبقرى الموسيقى

ممن لايدينون بالإسلام

ولقد صدق « الغمراوى » حين اعترض على وصف « العبقرية » و « المبطولة » معا فرارا من هذا التوسع فى استعمالاتهما .

مع طه حسين

لا تغرق فى الحياء ، ونوما يختصر ظلمة الليل ، واطمئنانا إلى الحال التى هو عليها دون طموح إلى حال أخرى ، وأمنًا من آخر الدنيا دون تعجل له .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : كان « مارسيال » أندلسى المنشأ ؛ ولقد أحسن التمنى ، ولكنه لم يسمع قول مواطنه العربى بعد موته بقرون طوال :

وإذا انثنت نحوى المنى لأنالها

وقف الزمان لها هناك فعاقها

نصح

[قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : بين لى بعض ما يتعرض له الشباب من

موبقات النفس .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : إياك واليأس من نفسك فـإنه يسقط الهمة ، وإياك واليأس من وطنك فإنه يهدر الكرامة ، وإياك واليأس من روح الله فإنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرين .

قال الطالب الفتى لأستاذة الشيخ : زدني .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : إياك والرضا عن نفسك فإنه يضطرك إلى الخمول ، وإياك والعجب فإنه يورطك فى الحمق ، وإياك والغرور فـإنه يظهر للناس كلهم نقائصك ولا يخفيها إلا عليك . واذكر دائما قول المتنبى

ومن جهلت نفسه قدره

رأى غيره فيه ما لا يرى

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : زدني .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : إياك والعناء فى جمع المال فإنه خسة ، وإياك والحرص على كنز المال فإنه ذلة ، وإياك والإحجام عن بذل المال فى وجوه الخير فإنه ضعف. واقرأ قول الله عز وجل :

﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾ [التوبة : ٣٤ ، ٣٥] .

ذلــــة

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : ألا ترى إلى فلان يتعالى على مرؤوسيه كأنه السيد العظيم ، ويتضاءل لرئيسه كأنه العبد الذليل .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : لو ملك هذا الرجل أمر نفسه لما تعالى على قوم ولما تضاءل لآخرين ، وإنما هو رجل فقد نفسه فهو يلتمسها فى العلو الكاذب حينا وفى التضاؤل الصادق حينا آخر ، فهو عبد ذليل فى الحالين ، وإنما السيد الجدير

بالسيادة هو الذى لا يطغى إن استغنى ، ولا يذل إن احتاج .

خســـار

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : أم تر إلى قوم أرسلوا أنفسهم على سجيتها ، فأبرموا الأمر ، وأحكموا القضية ، ورضوا عن أنفسهم

نقـــد

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : أى قرائك أحب إليك ؟

[قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هذا الذى يقرأ مخلصا ، وينقد ناصحا ، ويعلن الرأى صريحا ، ولا يصانع فيه ، ولا يلتوى به .

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ :. ومن لك بالقارئ الذى تجمع له هذه الخصال؟

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : هبه إحدى المنى التى يقول فيها الشاعر القديم:

منى إن تكن حقا تكن أحسن المنى   وإلا فقد عشنا بها زمنا رغدا

هجاء

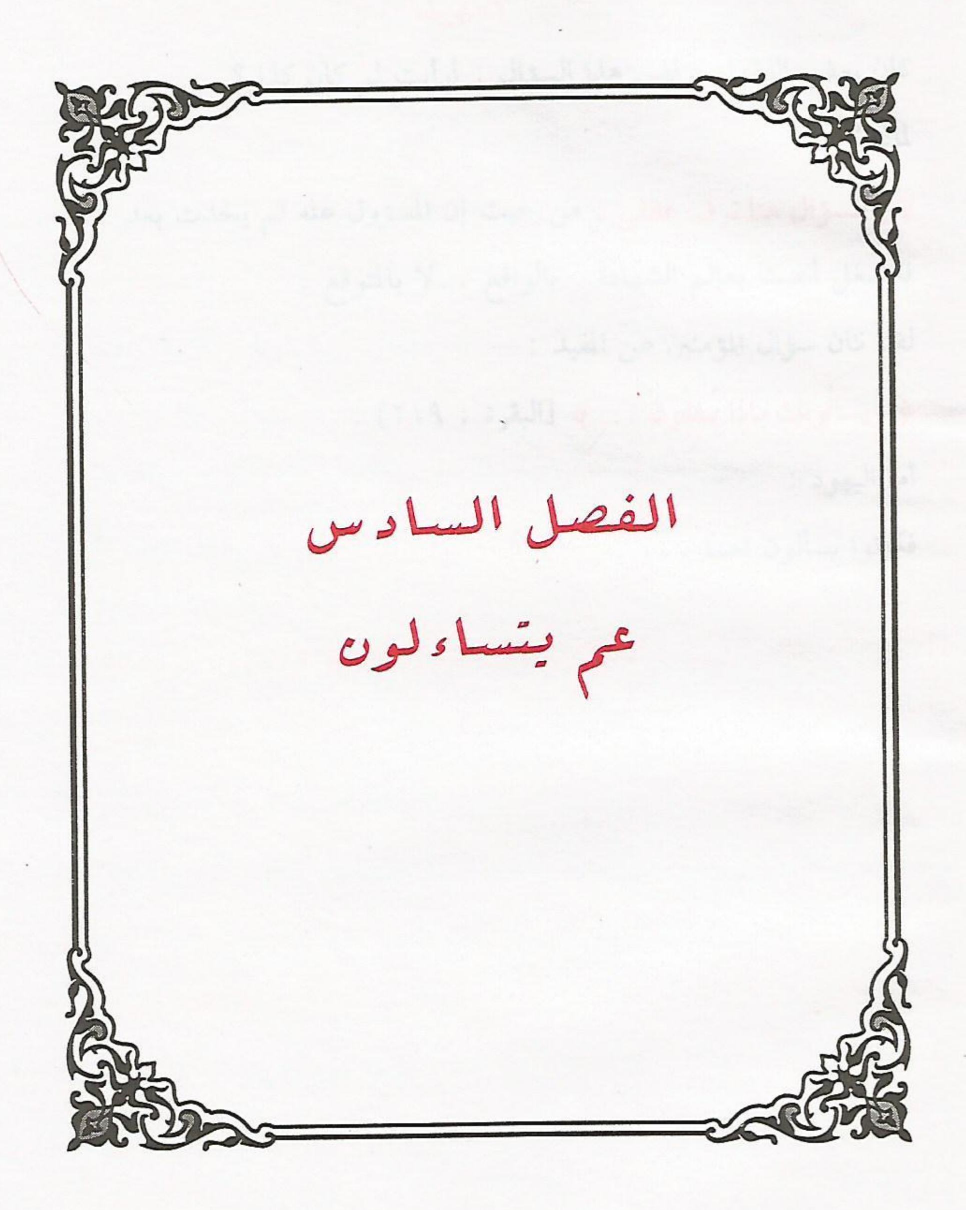
قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : ما أكثر ما قال فلان للناس الخير فيما مضى، وما أكثر ما يقول لهم من الشر الآن !

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : سقاهم من أدبه صفوا وعفوا حتى انتهى بهم إلى قعر الدن فهو يسقيهم حثالة نفسه ، وأجدر بهم أن يعافوا ما يقدم إليهم من شراب .

هجاء

قال الطالب الفتى لأستاذه الشيخ : [قد كان أدب فلان عذبا سائغا ، فأصبح مرا لا يطاق .

قال الأستاذ الشيخ لتلميذه الفتى : ما زال يحلب لهم ضرع الأدب حتى استنفد



الفصل السادس

عم يتساءلون

تمهيد

كان بعض الفقهاء يرفض هذا السؤال : أرأيت لو كان كذا ؟

لماذا ؟

لأن السؤال هنا ترف عقلى : من حيث إن المسؤول عنه لم يحدث بعد . .

فلنشغل أنفسنا بعالم الشهادة : بالواقع . . لا بالمتوقع .

لقد كان سؤال المؤمنين عن المفيد :

﴿ وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ... ﴾ [البقرة : ٢١٩] .

أما اليهود :

فكانوا يسألون تعنتا . . .

بعض السائلين

والمفروض فى السائل أن يكون مسترشدا :

ينشر الحق . . لمعرفته .

ويطلب الخير . . . للعمل به .

فإن لم يكن كذلك . . كان معاندا . .

منهج القرآن :

لم يقف القرآن الكريم فى مواجهة المعاندين . . يتلقى فقط شبهاتهم . . وإلا كانت آياته مجرد رد فعل . .

ولكنه يطرح من الأدلة والحقائق ما يكفى . . كاشفا هذا العناد حين لا ينتظر من المعاند ردا . .

فى مثل قوله تعالى :

﴿ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [النمل : ٥٩] ؟

ومن دروس الدعو هنا :

ألا يكتفى الداعية . بمجرد الدفاع . .

لأن الدفاع يشكل راحة نفسية . . لأنه إعفاء للنفس من مسؤولية تحقيق الواجب .

إن عناد الكافر . . من نوع عناد الطفل الذى يريد بالعناد إثبات ذاته . .

والطريقة المثلى فى مواجهته هى :

التعامل معه بما يحبط هذا العناد .

ولكن . . كيف ؟؟

أيها الداعية :

كن سهل العبارة . . بلا تعمق . . مع من تعرف أنه يقصد الحق

وقد يكون سائلك ضعيفا . . ولكنه قد يضايقك بما يغلبك .

فكن كما يلى :

ابدأ بأقوى ما فى المسألة .. لتحقق ما يلى :

تُذهب بها . . ما هو أضعف . .

لأنك لو بدأت بالضعيف . . احتجْتَ إلى القوى . .

فذهب عنك رونق الحق .

ثم إنك لو قدّمت الضعيف . . استرذل الحاضرون كلامك . . فانعكس عليك، فضعف خاطرك عن الاسترسال .

وأخيرا :

إذا بدأْت الخصم بالأقوى . . هابك :

فتأثر وضعف .

سؤال :

كلما باشرت الدعوة منفردا أحسست بضآلة جهدى. شاعرا بحاجتى إلى غيرى ليكون معى. . فهل يعد هذا نقصا فى دينى ؟

والجواب :

حسم القرآن الكريم هذه القضية بقوله عز وجل على لسان موسى عليه السلام :

﴿ وَاجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي . هَرُونَ أَخِي . اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي . وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي . كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً . وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً . إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً . قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ ﴾ [طه: ٢٩ ـ ٣٦]

وفى موطن آخر يقول :

قال : ﴿ وَأَخِي هَرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ . قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ .... ﴾ [القصص: ٣٤ ، ٣٥]

فقد أحس موسى عليه السلام ـ وهو رسول ومن أولى العزم ـ أحس بحاجته إلى

عون أخيه ليدعوا معا. فأعطاه الله تعالى ما أراد :

فالتعـاون على الدعوة تكامل يجمع الله به كل خصائص الدعـاة الذين يتعاونون بها على البر والتقوى .

من أين ينطلق الداعية ؟؟

الجواب :

يبدأ أولا بإصلاح نفسه :

وبهذا الصلاح ينبت له جناحان يطير بهما، ليحط فى الجنة . . وفى «طوبى» .

ولماذا كان جزاؤه «طوبى» ؟:

١ ـ له هدف يتحرك فى اتجاهه . .

٢ ـ يقيم فى كيانه محكمة : تراقب . . بل تحاسب. . بل تعاقب !

٣ ـ يحمى إخوانه من الفضيحة . . ليتوبوا .

٤ ـ فهو إنذار مبكر :

كهذا الذى كان يعصى . . ثم يعود إلى البيت :

فتنطحه بقرته . وتعصاه زوجته .

٥ ـ يلاحق العيوب قبل أن تتراكم وتستعصى على العلاج .

ومما ينبغى تعليمه :

[ينبغى أن يورث العالم جلساءه قول :

لا أدرى . .

فإن العالم إذا أخطأ «لا أدرى» أصيبت مقاتله !] «مالك» .

ثم :

فلنعلم المدعو أولا لأن جهله ينهض عذرا له كما قلنا آنفا :

يقول عز وجل :

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾ [إبراهيم : ٤]

يقول تعالى :

﴿ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء : ٢٤]

ويقول سبحانه :

﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة : ٦] .

ما معنى :

إذا ضيعت الأمانه . . فانتظر الساعة" لماذا ؟

لأن ضياع الأمانة معناه :

وضع الرجل غير المناسب . . فى الموضع الذى لم يؤهل له . .

ووضع الرجل المناسب . . فى المكان غير المناسب . .

بمعنى عدم احترام النسب .

وإذا حدث ذلك : فكيف يتسق البناء ليطاول السماء . . متحديا الفناء ؟!!

إن اختلال النسب هكذا مؤذن بسقوط البناء : بقيام الساعة فى زمان لم يعد الأحياء فيه جديرين بالحياة !

ما المقصود بقوله ﷺ :

« أحبب حبيبك هونا ما . . وأبغض بغيضك هونا ما » . .

لماذا ؟

١ ـ عسى أن يكون بغيضك يوما . . فينشر أسرارك .

٢ ـ حبك شخصا إلى درجة التقديس . . سيجعل هفوته الصغيرة ـ على مستوى التقديس ـ سيجعلها كبيرة .

٣ ـ إذن . . فالحب على مستوى التقديس .. يمكن أن يذوب . . لسبب تافه .

والقاعدة :

لا يكن حبك كلفا

ولا بغضك تلفا

وخير الأمور الوسط .

وصدق القائل :

احذر عدوك مرة واحذر صديقك ألف مرة فلربما انقلب الصديق فكان أعلم بالمضرة

وهو معنى الاقتصاد فى « العواطف » حذر العواقب . .

وهو ما أشار إليه «أبو الأسود الدؤلى» :

بقوله :

وأحبب إذا أحببت حبا مقاربا فإنك لاتدرى متى أنت نازع

وأبغض ـ إذا أبغضت غير مباين فإنك لا تدرى متى أنت راجع

أشعة على الطريق :

دروس مستفادة للدعاة من قصة أصحاب الكهف .

١ ـ العناية بالشباب .

٢ ـ قوة إيمان الداعية بالله .

٣ ـ الثبات على الحق .

٤ ـ أهمية الآيات الكونية .

٥ ـ ضرورة البعد عن المراء .

ماذا عن مقومات الحياة الروحية ؟

١ ـ الإيمان

٢ ـ التوحيد

٣ ـ الإيمان باليوم الآخر

خصائصها :

١ ـ الاستمرار .

٢ ـ الإحسان إلى الغير .

٣ ـ التوازن بين مطالب الدنيا والآخرة .

ومنه دعاؤه ﷺ :

« اللهم أصلح لى دنياى التى فيها معاشى .

وأصلح لى آخرتى التى فيها معادى» .

سؤال :

صافحت «يهودية» فماذا ترى ؟

وقلت : ما أراه هو ما يراه الشرع الحكيم :

ومن حكمة هذا الشرع أن هذه اليهودية يجوز أن تكون لأخيك زوجة ، بمعنى :

أ ـ يحبها . . وتحبه . . ما دامت زوجه . . بل يوادها . .

ب ـ وأولاده منها . . أخوالهم من اليهود . .

وإذن فالحساسية الناشئة عن هذه المصافحة خطأ منك. وقد سبقك الإسلام إلى إقرار ما هو أهم منها . . مما يمكن أن يكون لونا من الوفاق .

وقد تتسع به رفعة الإسلام .

سؤال :

أنا أغتاب واحدا من أهل الكتاب . . فما حكم الشرع فى ذلك ؟

أولا :

لا يجوز شتم المخالف فى الدين . . ولو كان وثنيا . .

وإذا كان ولابد فالتعميم هو سبيلنا : مثل :

من فعل كذا فهو كذا . . دون أن نحدده بالاسم .

وثانيا : السنة تقول :

إن الرسول ﷺ . لم يكن فاحشا . ولا متفحشا :

بمعنى أن لسانه الشريف أنظف من أن يلوث بالكلمة النابية . .

وحتى لو تكلف مالها وعته نفسه . .

وإذن . . فالكلمة الطيبة أجدى . . وأقطع من البرهان . .

وإذا كانت وظيفة المسلم أن يحبب الآخرين فى الإسلام . . فالغيبة ليست السبيل إلى تحقيق ذلك . . وإنما : الكلم الطيب والعمل الصالح . .

وثالثا :

يجوز أن يكون هذا الإنسان آخذا طريقة ليكون مثلك على الهدى . . وأنت مطالب بأن تكون عونا له على ذلك . . بدل أن تكون مع الشيطان عليه .

ما معنى قوله تعالى :

أ ـ ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

ب ـ ﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ [المائدة : ٥٤].

والجواب : أن لين الجانب وخفض الجناح أليق فى التعامل مع المسلمين . . أما غيرهم فنحن مطالبون بفرض احترامنا عليهم . . بلا ظلم لهم .

والتعبير بعلى ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ يعطى معنى «الشفقة» :

فالعزة هنا ليست استعلاء محضا . . وإنما هى الشفقة على من يستأهلونها لأنهم :

يجاهدون فى سبيل الله . .

ما معنى قوله ﷺ :

« **إن الله لا يمل حتى تملوا** » .

المعنى : إنكم تعملون .. فيثيبكم الله تعالى ..

وما دمتم تعملون .. فالثواب موصول مضمون ..

ولا ينقطع هذا الثواب إلا إذا قطعتم العمل وإذن :

فاختاروا من الأعمال ما تداومون عليه . ليظل نهر الثواب جاريا إليكم .

عن قيمة العفة :

كان ﷺ إذا قلق بالليل .. خرجت به «حليمة» من الخيمة فإذا رأى النجوم .. نام !

وكان ﷺ .. وهو وليد .. كان يبكى فقط ..

ومتى ؟؟ إذا تعرى ! ...

وتلك هى قيمة العفة : أمارة حضارتنا ..

أما اليوم فلم يعد للعفة مكان .. ولا مكانه:

فقد حكمت محكمة فى باريس للممثلة «بريجيت باردو» ب ٦٠٠٠ دولار : على إحدى المجلات هناك :

لماذا ؟

لأن المجلة أخذتها فى صورة تسىء إلى كرامتها :

صورتها وهى عارية الجسد .. ولا تثريب على المجلة أن عرضت لحمها الطرى على الهر الجائع .. فهناك أناس : لا يردون يد لامس ؟!

وإنما صدر الحكم لأن المجلة أبرزت جسدها وقد مزقته السكاكين أى فى صورة مشوهة ؟!

بمعنى أن الصورة لو كانت عارية .. لكن كما هى .. لربما كانت دفعت هى الستة آلاف دولار .. وقل معى : صدق الرافعى الذى قال : لو كنت قاضيا وعرضت على قضية تحرش فنى بفتاة عارية .. لجلدتها هى .. لأنها كشفت لحمها

الطرى للهر الجائع !!

هكذا يتعامل الزملاء :

قال إبراهيم النخعى . لسليمان الأعمش . . . وقد أراد أن يماشيه :

إن الناس إذا رأونا معا قالوا :

أعور وأعمش . .

فقال سليمان :

ما عليك أن يأثموا . . ونؤجر !!

فقال له :

ما عليك أن يسلموا . . ونسلم ؟!

قال الصحابى لزميله :

خذ جملى وجاهد . . على أن تتحمل أوزارى .

ومع أن الزميل مؤمن بأنه «لا تزر وازرة وزر أخرى» .

إلا أنه قبل القرض . . وأخذ الجمل . . لأن همته المتعلقة بالجنة أنسته هذه القاعدة . .

وهكذا كان الزملاء يتعاملون . .

وأين من هذا الأفق العالى من يتشاجرون اليوم بين الصحيح . . والأصح !

المؤمن . . والمنافق

شأن المؤمن : استصغار طاعته . واستعظام ذنبه . .

يفعل هذا مراغمة للشيطان الذى استحوذ على الكافر والمنافق .

أما المنافق :

فهو من مدرسة :

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ . أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ

وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة :١١، ١٢]

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لاَّ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة :١٣] .

إنهم واثقون من أنفسهم ..

والحال إنهم :

أ ـ فقدوا الشعور [لا يشعرون]

ب ـ التفكير [لا يعلمون]

وماذا يبقى من وجود الإنسان بعد فقده الحس والعقل ؟ لم يبق إلا صورة اللحم والدم والعظم !!

ويبقى المؤمن هو الأقوى :

إن الصحراء للأسد ..

الأسد الذى يهجم من الأمام متحديا .

وليست الصحراء للعقرب ..

العقرب : التى تدب خفية وسط الظلام ..

وهكذا الرجل الحر :

إنه يعـمل فى نقطة الضوء . . وليس هـو ذلك المنافق الذى قد ترى فى مظهـره معنى «الحرباء» فإذا خبرته . . كان مظهره أفضل منْ مخبره !!

ورحم الله الشيخ على الطنطاوى حيث قـال : عرفت كـثيرا من الذين قـاموا يحاربون الاستـعمار والمستـعمرين ولكنهم يسلكون طريقـهم ، ويفكرون تفكيرهم، ويعتادون عاداتهم، ولا يكاد جلهم يتمسك بما يدعـو إليه الإسلام، فخبروني : كيف يحارب الاستعمار من الاستعمار في رأسـه، فأفكاره أفكار المستعمرين ، والاستعمار في قلبه فهـواه تبع لهوى المستـعمرين، والاستعـمار في بيته وفي أسرتـه فسلوكه في

البيت سلوك المستعمرين ؟

إذا كنت لا أستطيع أن أتحرر أنا منهم، فكيف أحرر بلادي من الاستعمار ؟

الذاكرة الواعية :

كان الشيخ حسن البنا يلاقيك مرة واحدة . . وبعد عشر سنوات يناديك باسمك على تقادم العهد :

وهكذا يعلن الدرس المفيد عن نفسه وهو :

كيف تكون الذاكرة الواعية خاصية الداعية . .

إنها ذاكرة مغناطيسية :

بحيث يراك مرة واحدة . .

ثم . . وبعد تقادم العهد . . وتطاول الزمان . .

يلقاك . . فإذا به يناديك باسمك . .

بل وعملك أيضا !!

وتصور عندئذ كيف يستقطب الداعية بهذه الموهبة الفذة . . ناسا ما كان يظن أحد أن يعودوا إلى الله يوما .

هل هناك غزو فكرى ؟

اختلفت الإجابات :

قال قوم : لا . .

ذلك بأن الفكر الوافد غير قادر على اختراق العقل والوجدان المسلم . .

والموجود فعلا هو :

غزو عسكرى

ولكى نكون أقوياء : فلنقدم أحسن ما عندنا .

لنطرد به سيئ غيرنا .

وأجاب قوم :

إن هناك جراثيم وافدة علينا من الخارج ، وهذه الجـراثيم . . جعلت فكرنا جثة هامدة !

وهذا يأس من روح الله .

وقالوا :

ينفى بعض الباحثين أن يكون هناك ما يسمى بالغزو الفكرى قائلا :

مرحبا به . . ونحن له !!

ثم ينكر على من يقف ضد الفن .

مستشهدا برأى «إقبال» والذى رحب بالفن لكنه اشترط أن يكون قويا . .

ونقول للمنكر :

معنى الفن فى ذهنك . . مختلف عن معناه فى ذهن «إقبال» .

لأن اشتـراط القوة يعنى رفض «الفن» العابث وإلا فـأية قوة فى «الرقص» الذى تجرأ بعضهم فقال : إنه عبادة ؟!!

والواقع الصارم ناطق بأن هناك غزوا فكريا وبخاصة من اليهود :

الذين جادلوا الرسول

وألبوا عليه العرب .

ثم أثاروا الفرقة بين القبائل .

وقد أجادوا اللغة العربية . . وأهّلهم ذلك للعمل فى بلاط الخلفاء . .

ومن هناك سرى فكرهم سُما بطيئا فى جسد الأمة . .

وساعد على ذلك . .

سماحة الإسلام

وشهد شاهد . . من بنى . .

قال أبا إيبان . .

١ ـ [نحن حقا ندين بكل شيء في العصور الوسطى إلى ما تلقيناه عن العرب].

٢ ـ اعترفوا بخصوبة اللغة العربية وتطورها . . بخلاف العبرية المحدودة الملتزمة فقط بالتوراة وقالوا : نستطيع التعبير عن كل أمانينا بالعربية دون العبرية .

ولذلك ألف اليهود مقامات يعارض بها مقامات الحريرى .

[وإن كان بعضهم ينكر ذلك اليوم نفاقاً] .

من قذائف الحق :

يقول الله عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ (١٧) بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء :١٦ ـ ١٨]

يقول علماؤنا ما معناه :

١ ـ شأن الخلق هو :

الترف . . والنفى فى لذاذات الدنيا .

وهكذا المخلوق :

ولكن الخالق سبحانه وتعالى :

لا يخلق إلا لفوائد : دينيه ودنيوية .

ولا يريد الله سبحانه . .

ولو فرض هذا الخلق هو ما يشاء . . لاتبعاً لمزاجكم . .

ومما شاءه تعالى :

أن يغلب اللعب . . بالجد .

والباطل . . بالحق .

الحق : الذى لا يصيب الباطل فى يده أو فى قدمه . .

وإنما . . . يصيبه فى دماغه . . فإذا هو لا شىء !

وعلى الداعية المسلم أن يدرك هذا :

وأنه بالحق . . فى الموقف الأفضل .

وإذا كان لخصومه إعلام يشوش عليه . . فليعلم أنهم يصفون :

يصفون . . ولا يقولون . .

والمستقبل فى النهاية لك !

إنك وأنت صغير . . تحكم على الناس بهذا المقياس :

هل هم أقرباء .. أم غرباء ؟

ثم تترقى من بعد ليكون الحكم بناء على الموقف الأخلاقى :

هذا الرجل طيب . . أم شرير ؟!

فأنت مع الخيّر وضد الشرير .

ثم تجىء المرتبة الأعلى :

فلا خيّر . . ولا شرير . .

وإنما : أحب هذا الرجل . . لأنه إنسان تم تعامله على هذا الأساس .

وانطلاقا من هذا الأساس الرحب : فإنه لا شماتة فى أحد :

فالعـقوبة للعبرة . . وليـست للتشفى يقـول تعالى : ﴿ **لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً** ﴾ [يونس : ٩٢]

والمطلوب فقط : أن نحمـد الله عز وجل على هلاك الظالمين ﴿ **فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأنعام : ٤٥]

من تجاربى :

ذهب الدكتور «محمد بشر» إلى قريتى مدعوا إلى الحضور كشاهد على عقد قران

هناك . .

ودخل القرية تحت أقواس النصر . . تحوطه قلوب المحبين على قدر ماله فيها من مقدمتهم .

وتفقد الرجل المدعويين . . فلم يجدنى بين الحاضرين . . وكان الظن أن أكون فى تقدمتهم . .

ولما سأل عنى متعجبا . . صدرت الأوامر إلى فتى ليتصل بى هاتفيا يدعونى إلى «ضرورة» الحضور . .

وتبعه الدكتور بشر . . حتى يطمئن على حضورى .

واستقبلت صوت من يقول لى .

أنت مدعو إلى عـقد قران فلان عصـر اليوم .. ومعك على الخط الدكتور مـحمد بشر .. والذى قلت له :

لن أحضر . . فقد دعى غيرى منذ أسبوع ولولاك . . لم أدع . .

قال : لقد تعجبت من غيابك ولما سألتهم قالوا : إن القرضاوى فى الطريق . .

وواضح أن هذا دعاء . . والقرضاوى لن يحضر !!

وقلت له : هاهم أولاء رجـالك ـ الذين ربيتـهم ـ يشـددون الحصـار على . . لتكون كلمة الحفل لفكر معين . . ومفكر معين قد يكون تحت سن العشرين ؟!!

وسوف يكون لـى معك لقاء . . حـتى أوافيك بحـقيقـة الموقف . . وخطورة هذا الاتجاه .

وحتى الآن لم ألتق به !!

فلقد حيل بينى وبين من أحب . . طبق منهج خاطئ هو :

أن من ليس معنا . . فهو علينا !!

والحق :

أننى معهم فيما وافق السنة وعليهم . . فيما خالفوه فيها . .

ومما خالفوا فيه :

الاقتصار على فكر معين .. فى زمان تطور فيه الأمم أسلحتها .. بينما يظل الدعاة «محلك سر» يؤمنون بناس .. ويرفضون ناس .. لمجرد أنهم لا يأتمرون بأمرهم ليفعلون ذلك ولو اضطرهم ذلك إلى التحايل .. والمناورة .

ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به .. لكان أقوم قيلا وأهدى سبيلا .

وما يزال الجمود مستمرا :

وهى قصة تلميذى الذى جلس بين يدى مئات الساعات .

فلما أراد عقد قرانه .. ذهب بنفسه إلى زميلى الذى تتلمذ عليه وقبل اليوم المحدد بأيام ..

لكنه - بالنسبة لى - أرسل إلى أخاه .. وأرسله متعمدا فى وقت كان القرآن يتلى بين يدى صلاة الجمعة .. طبق نفس خطة التحايل ..

لأن المفروض فى هذا الوقت أن يكون المدعو فى المسجد ينتظر الصلاة !!

ويعنى ذلك فزع أخيه الذى رآنى .. وكان الظن ألا يرانى !!

والحادثتان مقترنان بثالثة الأثافى : فقد لقيته يطوف حول الكعبة المشرفة وأسكت بيده ضيفا عزيزا هو وضيوفه .. وشربنا ماء زمزم جميعا..

وكان الظن أن تنقشع سحابة صيف حاول المغرضون أن يجعلوها فى سماء حياة ناس.. تجرى فى عروقهم دماء واحدة !!

وعلى نفس الخط سار هذا الفتى الذى دعا غيرى.. ولم يدعنى.. حتى إنه فى ذهابه وإيابه .. كان يمر أمام عتبة دارى ...

وضربت ضربتى حين حضرت بلا دعوى.. لأكتشف سر هذه المواقف جميعا..

فهؤلاء الشباب لهم قلوب .. ولهم مشاعر تهفو .. ولا خصومة بينى وبينهم ..

ولكن القضية هى : إبعادى عن ساحة الحديث .. خوفا على أفكار الشباب أن

تهتز إذا حدثتهم !!

وقد صرح بذلك واحد من شباب القرية الذى قال لى :

نشرح كتبك للشباب . .

لكن لا ندعوك . . خوفا من تعليقاتك ؟!

ولما قلت له :

أهل مكة أدرى بشعابها . .

وسكت الفتى . .

لكن رنين الهاتف . . شدنى إليه

فإذا مكالمة من . . أبو ظبى »

تدعونى إلى التعاون مع إخوة لى من الدعاة . . لنكون وعاظا على مدى شهر رمضان المبارك .

وقلت :

سبحان الله . . .

إنه الرد الإلهى على قوم غافلين :

غافلين عن تدبير الله تعالى . .

والذى يغلق باب . . . ليفتح أبوابا . .

والسؤال الآن :

هل هؤلاء الشباب سعداء بإسلامهم ؟

إنهم مساكين . . ممزقون . . حائرون :

بين داع إلى الله لم يسئ إليهم .

بل أحسن إليهم ويحسن .

وبين أوامر مشددة تحول بينهم وبين ما يشتهون ؟!!

وأسعد من هذا الفتى

أخوه الفلاح . . الذى يشق الأرض بفأسه . . يبلل وجـه الأرض بحبات العرق يمسح بها ذنوبا لا يكفرها إلا الهم فى طلب لقمة العيش!!

ولكن تدبير الله تعالى فـوق كل تدبير وكان لابد أن يجبر الله خـاطر عبد أرادوا كسر خاطره !!

إن الحياة جميلة . . وأجمل منها من يعمل فيها :

الجمل : أجمل من الصحراء .

والحوت : أجمل من البحر .

والأسد : أجمل من الغابة .

والطائر : أجمل من الروض

والسعادة بالجمال أكمل منها بالمال :

لأن المال لكم . . .

أما الجمال : فهو للجميع .

من هدى السنة المطهرة :

السنة المطهرة سفينة نوح :

فمن ركبها . . فقد نجا . .

ومن تركها . . غرق !

ونحن الآن مدعوون إلى ركوب سفينة النجاة . .

النجاة مما نعانيه من تمزق . . وبخاصة فى مجال الدعوة .

ونحن واجدون فيها إن شاء الله من المعالم ما يصل بنا إلى شاطئ النجاة بسلام:

خطته ﷺ فى الدعوة :

يقول سبحانه : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

يفهم من الآية الكريمة ما يلى :

١ ـ تكليف النبى ﷺ هو فى نفس الوقت تكليف لأمته .

٢ ـ وهذا شرف ينبغى أن يكافأ بما يستأهله من جهاد موصول .

٣ ـ إذا كانت الهداية فى اللغة «الدلالة برفق» فإن البصيرة النافذة الكاشفة سبيل هذه الهداية .

وهى تقتضى :

أن يكون الداعية بصيرا بطبائع النفوس وتقاليد المجتمع . . ليتمكن من قيادته إلى التى هى أقوم .

٤ ـ بل عليه أن يكون من الوعى فى قمته .كما يفيد حرف الاستعلاء (على . . بصيرة) فالمهم أن تدعوا إلى الله . .

وأهم منه : أن تكون دعوتك على بصيرة تعينك على هداية الناس .

٥ ـ ولا بد من التركيز على ضرورة الإحاطة بمجريات الأمور فى المجتمع :

من أجل التعامل مع العاصى فى ضوء تقاليد هذا المجتمع:

فالمدعو . . جزء من مجتمعه . .

وعلينا أن ندرك اتجاهات الأمور فى هذا المجتمع . .

ولا نخاطبه بعيدا عنه

وفى قوله تعالى :

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة:١٤٣]

ما يفيد مثالية هذه الأمة .

إلا أن هذه المثالية لا تتحقق إلا بثمنها من الخبرة والدراية . المؤدين إلى علاج حاسم لأمراض النفوس :

وفى موقف «جعفر» ﷺ مع النجاشى مصداق ما نقول :

لقد اختار له من الآيات . . ما كشف عن معدن الحق . .

وهى آيات سورة مريم يخاطب بها مسيحيا . . فبكى . . بل أسلم . . مؤكدا أن حوار الحضارات .

- لا تصادم الحضارات . . . ممكن . . . ما دام هناك منصفون . .

[السؤال] : أحيانا يكون من المدعو تعبيرا عن رغبته. وأحيانا يكون من الداعى إثارة له : ومن الأول : [قيل : يا رسول الله أى الناس أشد بلاء ؟

قال : « الأنبياء ».

قيل ثم من ؟

قال : « الأمثل فالأمثل . . »

قال رجل : أى الناس أحق بحسن صحابتى ؟

- قال : « أمك » . .

- قال : ثم من ؟

- قال : « أمك »

- قال : ثم من ؟

- قال : « أمك »

- قال : ثم من

- قال: « أبوك »

السؤال من الداعى :

قال لأصحابه :

«أيكم مال وارثه أحب إليه ؟»

فقالوا : كلنا مالنا أحب الينا .

قال : "إن مالك ما أنفقت ومال وارثك ما تركت"

بقيت كلها . . إلا الكتف

وأيضا :

« أتدرون من المفلس ؟ »

التعميم :

ما بال أقوام . .

فلا ينسب الذنب لفاعله مباشرة

عن ابن عمر ﷺ قال :

قال رسول الله ﷺ :

« لا عدوى . ولا طيرة ـ ولا هامة »

فقام إليه رجل فقال :

يا رسول الله ،

البعير يكون به الجرب . فتجرب به الإبل .

قال : « **ذلك القدر ، فمن أعدى الأول** » سنن ابن ماجه ج٢/ ١١٧١

فقد أبطل ﷺ التسلسل . . والدور فلو قلنا كل لاحق أعدى من السابق للزم التسلسل،ولو قلنا : كل جمل أُعدى وأعدى زميله لزم الدور . . وهو باطل . .

وإنما هو : القدر الأعلى .

تصحيح المفاهيم :

روى البيهقى عن النبى ﷺ :

"هل تدرون ما الشديد"؟

قلنا : الرجل يصرع الرجل !

قال : **"إن الشديد كل الشديد : الرجل الذى يملك نفسه عند الغضب"** .

« **أتدرون ما الرقوب ؟** »

قلنا : الرجل الذى لا يولد له !

قال : « **إن الرقوب : الرجل الذى له الولد .ولم يقدم منهم شيئا** » يعنى فى سبيل الله .

قال : « **أتدرون ما الصعلوك ؟** »

قلنا : الرجل الذى لا مال له ؟

قال : «**إن الصعلوك كل الصعلوك : الذى له المال لم يقدم شيئا ـ لله تعالى**» .

الإيمان خلق ؟

«أتدرون ما المفلس» :

قالوا : المفلس فينا من لا درهم ولا متاع .

فقال : « **إن المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة ـ وزكاة وصيام ويأتى وقد شتم هذا .**

وقذف هذا .

وأكل مال هذا .

وسفك دم هذا .

وضرب هذا» .

مداراة القساة :

فى صحيح البخارى عن عروة بن الزبير : أن عائشة رضي الله عنها أخبرته ﷺ أنه استأذن على النبى ﷺ رجل فقال :

« **ائذنوا له ، فبئس ابن العشير** » أو « **بئس أخو العشيرة** » فلما دخل ألان له الكلام. وفى رواية :

فلما جلس تطلق النبى ﷺ فى وجهه .

وانبسط إليه فقلت : يا رسول الله .

قلت ما قلت . ثم ألنت له القول : فقال : « أى عائشة ،

إن شر الناس منزلة عند الله من تركه أو ودعه الناس اتقاء فحشه .

منطق البصيرة :

روى البخارى ومسلم عن سهل بن سعد ﷺ أنه قال :

مر رجل على رسول الله ﷺ فقال لرجل غيره : [هو أبو ذر]

ما رأيك فى هذا ؟

قال : رجل من أشراف الناس . . هذا والله حرى إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع .

قال : فسكت ﷺ .

ثم مر رجل فقال له رسول الله ﷺ : « ما رأيك فى هذا ؟ »

فقال : يارسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين حرى إن خطب ألا ينكح .

وإن شفع ألا يشفع .

فقال ﷺ :

هذا خير من ملء الأرض من مثل هذا !

[تعليق] :

يقولون : فى الزحام تختلط الملامح . . ولا تستبين من خلال النظرة المجردة . .

لكن الداعية الحكيم يستطيع أن ينفذ ببصيرته إلى الأعماق . . ومن وراء اللحم والشحم ليدرك الحقيقة بالبصيرة . . بعد أن عجز البصر عن إدراكها . .

ومن دروس الموقف هنا :

أنه مهما كانت نظافة الظاهر . . فإن هناك أمورا تدق على فهم الإنسان . .

ولما كان الحكم على المؤمن مهما ـ وكان الخطأ فى تقديره جسيما قد يجزئ السفهاء عليه . .

لما كان الأمر كـذلك كان لابد هذا الدرس العملى. . تحريراً للنـفس من الانبهار بالمظاهر. . وما يترتب عليه من آثار . .

وهذا ما أراد ﷺ تدريب الصحـابة عليه . . ليصبح فى أيديهم المقـياس. . فرارا من ضغوط البيئة التى تفسد فيها ملكة التـمييز بين الخبيث والطيب فتختلط المعالم . . ويتوه الدليل . .

ولك أن تتصـور ضغط البيـئة هنا من قسـمهم أن هذا الفـتى حرى أن تكون لـم الصدارة .

وفيما يتعلق بالفتى الفقير لم يقسموا . . كأن وضعه هذا المهين . .وضع ثابت لا يحتاج إلى دليل ، ولا إلى تأكيد .

الإجمال .. ثم التفصيل ..

وكان مما أعانهم على الوصول رغم وعورة الطريق . . طريقته ﷺ فى البلاغ . . ومنها :

التفصيل .. بعد الإجمال ..

أو التوضيح . . بعد الإبهام ؛ ليكون أوقع فى النفس . . وأقر فى العقل .

قال ﷺ :

« **أكثر ما يدخل الناس النار : الأجوفان** » .

قيل : وما الأجوفان ؟ قال :

« الفرج والفم » .

وقال ﷺ : « **أتدرون أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ . .**

تقوى الله وحسن الخلق » رواه أحمد .

ب ـ وعن أنس رضي الله عنه قال : قال ﷺ يتبع الميت ثلاثة :

أهله . وماله . وعمله .

فيرجع اثنان . ويبقى واحدا :

يرجع أهله وماله ..

ويبقى عمله « متفق عليه » .

ومقصود الحديث :

إيثار ما يبقى على ما يفنى .

كان رسول الله ﷺ حليما في معاملته، حكيما في دعوته فكان يحاول الدخول إلى قلوب الناس من الجوانب التي يرى أنها تؤثر عليهم، من غير أن يتفوه بباطل ولا أن يمارس سلوكا منحرفا وإن من أمثلة منهجه ﷺ الحكيم في دعوته ما ذكره ابن إسحاق رحمه الله في سياق روايته عن دعوة النبي ﷺ من حديث محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حصين : أن رسول الله ﷺ أتى قبيلة كلب في منازلهم - يعني في الحج والمواسم الأخرى - إلى بطن منهم يقال لهم بنو عبد الله فدعاهم إلى الله تعالى وعرض عليهم نفسه حتى أنه ليقول لهم : « يا بني عبد الله إن الله قد أحسن اسم أبيكم » (١) .

وأخرجه الإمام الطبري من طريق ابن إسحاق به وذكر مثله (٢) .

ومن ذلك ما أخرجه البيهقي من حديث المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال : أن أول يوم عرفت رسول الله ﷺ أني كنت أمشي أنا وأبو جهل بن هشام في بعض أزقة مكة، إذ لقينا رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ لأبي جهل « **يا أبا الحكم هلم إلى الله عز وجل وإلى رسوله أدعوك إلى الله** » ، قال أبو جهل : يا محمد هل أنت منته عن سب آلهتنا ؟ هل تريد إلا أن نشهد أن قد بلغت ؟ فنحن نشهد أن قد بلغت فوالله لو أني أعلم أن ما تقول حقا ما اتبعتك .

فانصرف رسول الله ﷺ . قال : وأقبل عليّ فقال : فوالله إني لأعلم أن ما يقول حق ولكن بني قصي قالوا : فينا الحجابة فقلنا : نعم ، فقالوا : فينا الندوة، فقلنا : نعم ، ثم قالوا : فينا اللواء ، فقلنا : نعم ، قالوا : فينا السقاية، فقلنا :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٢/ ٣٤٩ .

نعم، ثم أطعموا وأطعمنا حتى إذا تحاكت الركب قالوا منا نبي . والله لا أفعل .

ففي هذين الخبرين مثل مما كان يتمتع به رسول الله ﷺ من حكمة وتبصر . ولكن أبا جهل لم يكن منصفا .

لقد ساء أبا جهل أن دوحة بني هاشم قد اخضرت وأينعت ثمراتها، بينما ظلت دوحة بني مخزوم على جفافها وذبولها كسائر فروع قبيلة قريش فحسد بني هاشم على ذلك الشرف العظيم الذي ليس باستطاعة قومه أن يصلوا إليه، ولو عقل وأدرك لعرف أن بإمكانه إنقاذ نفسه وقبيلته، والرفع من شأنها بالإيمان برسول الله ﷺ وأتباعه .

ومن حكمته ﷺ قوله : « **سبقك بها عكاشة** » ولم يقل : لست من أهلها . . تفاديا لإحراجه .

تعليم الصحابة :

وكان ﷺ :

يربى المعلمين من أصحابه ،ويزودهم بالنصائح ، ويضع لهم الخطة التى يسيرون عليها، ثم يرسلهم إلى أنحاء الجزيرة ،ليدعوا الناس إلى الإسلام، ويعلموهم الكتاب والحكمة ،ففى السنة العاشرة من الهجرة (٦٣١م) أرسل على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى ثلاثمائة فارس إلى بنى مذحج من أهل اليمن، وقال له :" سر حتى تنزل بساحتهم ،فادعهم إلى قول لا إله إلا الله، فإن قالوا نعم فمرهم بالصلاة، ولا تبغ منهم غير ذلك ، ولأن يهدى بك الله رجلا واحدا خير مما طلعت عليه الشمس، ولا تقاتلهم حتى يقاتلوك وإذا جلس إليك الخصمان ، فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر" فسار حتى انتهى إليهم ولقى جموعهم ، ودعاهم إلى الإسلام فأبوا ، ثم أجابوا بعد قتالهم وهزيمتهم ، وتابعه رؤساؤهم وأسلموا، وطلبوا منه أن يأخذ زكاة أموالهم ، وأن يكونوا على من وراءهم من قومهم .

واتجاهه العام ، ﷺ ، فى توجيه أصحابه ، تمثل فى قوله : « **يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا** » .

دون تزمت أو إرهاق، وكان يتخول أصحابه بالموعظة، مخافة أن يسئمهم، أى

يطلب الحال التى يأنس فيها نشاطهم للموعظة فيعظهم ، ولا يكثر عليهم فيملوا . . . يلقى بالموعظة فى أسلوب من التمثيل والتصوير، حتى يكون أبلغ فى الإفهام وأقوى فى التأثير ، يعطى كل من جلس إليه نصيبا من وجهه ، وما استصغاه أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه .

تابع الوقار :

ومع شدة تواضعهﷺ . .

كانت هيبته تغزو القلوب فتملأها . .

فلم يكن أحد يجرؤ على أن يحد النظر إليهﷺ .

واجبنا :

التواضع فى الطاعة .. فلا غرور :

نتواضع بتذكرنا معاصينا ، ثم نتواضع . . فى معاملة الناس .

وكانﷺ يستقبل الوفود. . استقبال العارف بطبيعة الوفد . .ومنزلته. . ومن ثم كان يتعامل معهم منطلقا من فكرته العامة عن الوفد :

كانت الوفود تنزل متفرقة :

وفد هنا . . ووفد هناك . .

إلا وفد ثقيف . . فقد عومل معاملة خاصة بقوم يراد إسلامهم ليكونوا سندا للمسلمين :

ومن مظاهر تكريمه :

١ ـ كانﷺ يقوم على خدمة وفد ثقيف بنفسه . .

٢ ـ وقد يطول وقوفهﷺ فى الخدمة حتى يراوح بين قدميه .

٣ ـ وكان يحادثهم . .ويؤانسهم .

٤ ـ وقد تأخر عنهم يوما . . فاعتذر لهم !

٥ ـ لكن مجاملته لا تكون على حساب الحق أبدا . .

فقد طلبوا إليه إعفاءهم من الصلاة .. فرفض قائلا :

« لا خير فى دين ليس فيه صلاة ! »

ولما طلبوا الإبقاء على صنمهم رفض أيضاً !

فلا مساومة على العقيدة .

وكان وفد «بنى تميم» غشوما . . ومع ذلك جاملهم . . . فخرج إليهم . . لكن يبقى لثقيف منزلتهم المتميزة .

ومن تواضعه :

ما روى عن أسماء بنت أبى بكر : (صحيح ابن حبان/ ١٦/ ١٩٨/ رقم ٧٢٠٨)

قالت : لما دخل رسول الله المسجد الحرام ـ أى بعد الفتح ـ أتاه أبو بكر ﵁ بأبيه . . يقوده . .

فلما أتى . رآه رسول الله ﷺ قال :

«هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه» .

قال أبو بكر : يارسول الله :

هو أحق أن يمش إليك من أن تمشى إليه .

قال :

فأجلسه بين يديه . . ثم مسح صدره . ثم قال له :

«أسلم» فأسلم !؟

ومن تواضع سيد الدعاة :

إلا إن أدعياء الزعامة :

إذا مدح غيرهم هب مذعورا

ولكن الزعامة الإلهية : عزها فى تواضعها :

ومثالها الأعظم هو :

محمد ﷺ .

والذى قال :

« نحن أحق بالشك من إبراهيم . . »

ومع أنه عليه الصلاة والسلام وصل إلى العرش . . بينما كان يونس عليه السلام فى بطن الحوت ولكنه ﷺ يقول لأصحابه يوما :

« لا تفضلونى على يونس بن متى »

وعن عائشة رضي الله عنها :

سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بعض صلاته :

«اللهم حاسبنى حسابًا يسيرا»

فلما انصرف . قلت : يارسول الله :

ما الحساب اليسير ؟ قال :

« أن ينظر فى كتابه . .

ثم يتجاوز عنه :

من نوقش الحساب عذب»

الحب فى الله :

قال ﷺ لعلى :

« إنما أرضى لك ما أرضاه لنفسى ،

وأكره لك ما أكره لنفس » .

وعلى جسر من هذا الحب تعبر النصيحة لتصل إلى مكان الإقناع . .

لقد دخل تجار المسلمين آسيا . .

وكان معهم الحب . .

وكان فى قلوبهم الحب . .

الذى فتحوا به المقلوب هنا . . ودخل الناس فى دين الله أفواجا .

خطاب الرسول إلى النجاشى :

أسلم : وهذا أمر

تسلم : وهو الترغيب .

فإن توليت : وهذا هو الترهيب .

يؤتك الله أجرك مرتين : ترغيب آخر

والرسالة من :

محمد : عبد الله ورسوله

وهو التواضع . . الذى يفتح الله تعالى به مغاليق القلوب . .

ثم هى رسالة يغلها وتنتهى مهمته . . لتبدأ مهمة المدعو . . الذى يختار لنفسه ما يحلو . .

ولما شكا «خباب» رضي الله عنه للرسول ﷺ قائلا :

ألا تدعو لنا . .

ألا تستنصر لنا . .

لم يجبه ﷺ بخطبة وعظية .

ولكن بإبراز القدوة المؤكدة أن ما تشكو منه تحمله رجال من قبلك . . بل أقسى منه :

فقد كان المؤمن ينشر بالمنشار نصفين . . ما يصرفه عن دينه .

إن تاريخ الكفاح طويل . .

ولكنه لا يعرف المستحيل !

قال ﷺ «لمعاذ» رضي الله عنه لما أطال فى صلاته :

« أفتان أنت يا معاذ ؟ »

ولم يقل له : أنت فتان !

وفى منطقه ﷺ :

إيناس لمعاذ لما ناداه بالاسم :

يا معاذ . . .

ويعنى باستفهامه ﷺ :

أتريد أن تكون فتانًا ؟!!

وفى ذلك تنفير له من أن يعود لمثل ما حدث من التطويل .

من صور الوفاء :

ثابت بن قيس :

رضي الله عنه . . وقيمة الوفاء

تحققت نبوءة الرسول ﷺ . . واستشهد « ثابت بن قيس » رضي الله عنه مقبلا غير مدبر :

ثم جاء فى «الرؤيا» لصاحب له ، وقال له :

١ ـ درعى : سرقه فلان . . ووصفه فى مكان كذا ـ ووجد كذلك

٢ ـ وعلىّ دين فقل للخليفة يقضه عنى .

٣ ـ غلامى : حر لوجه الله .

ولقد نفذ الخليفة وصيته بحذافيرها .

وهى قيمة الوفاء . . وبعد الممات . . تحتفظ للعاملين بحقوقهم . .

وليت شعرى : إنها رسالة موجهة إلى المؤسسات التى يحال واحد منها إلى المعاش . . فتنقطع كل صلة به !

ذات يوم . . وعظ ﷺ موعظة وجلت منها القلوب . . .

وبكى الصحابة جميعا . . إلا رجلا واحدا فقد ضحك ؟!

فلما سئل عن سبب ضحكه قال :

إن الكريم إذا قدر عفا .

الفارق الهائل :

ولقد علق مسيلمة الكذاب قومه :

فأحل لهم الزنا . والخمر .

وأعفاهم من الصلاة :

ولكن رسولنا ﷺ كان «نذيراً»

﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [الشعراء : ٢١٤]

ومعنى ذلك :

أن متاعبه بدأت ببدء الدعوة ولو قلق المجتمع لرحّب به .

لقد أخذت الدعوة بمخانق القوم فعارضوه معارضة يغذيها حقد مقيم .

والأمة .. على الطريق :

كان لحسان فى حديث الإفك رأى لم يرض عائشة رضي الله عنها :

وقد سمعت ابن أختها « عروة بن الزبير » سمعته يسب « حسان » رضي الله عنه فقالت :

يا ابن أختى :

دعه . فإنه كان ينافح عن رسول الله ﷺ . مسلم ٧/ ١٦٣

ومع أن زينب رضي الله عنها كانت فى طليعة من تغار منهن عائشة رضي الله عنها . . لكن ذلك لم يمنعها من إنصافها . والثناء عليها :

تقول رضي الله عنها :

هى التى كانت تسامينى من أزواج النبى ﷺ فى المنزلة عند رسول الله ﷺ .

ولم أر امرأة قط خيرا فى الدين من زينب وأتقى لله عز وجل وأشد ابتذالا لنفسها فى العمل الذى تصدق به وتقرب به . ماعدا سوره من حدة كانت فيها . تسرع منها الفيئة) «سنن النسائى/ ٧/ ٦٥ .

قال أنس : أقبل ﷺ المدينة فأضاء المدينة . .

فلما مات . . أظلم فيها كل شئ . .

فلما دفناه . . أنكرنا قلوبنا .

لقد كانت عظمته ﷺ مشتقة من انتصاره على نفسه :

ذلك بأن القائد العظيم هو : القادر على نفسه قبل أن يكون قادرا على غيره.:. فليس من الصعب أن يجد القائد ألوف الجنود تحترمه وتحبه .

ولكن العظمة الحقيقية هى :

أن يكون هذا القائد قادرا على ضبط نفسه .

وحرمان نفسه من الراحة . . تماما كالجنود .

وحرمان نفسه من الطعام والشراب والنوم . .

تماما كالجنود . . أما دعوى التقشف فلا . . إلا بالقدوة .

لكن أدعياء الزعامة . . يحاولون السيطرة . فيتم لهم ذلك . . . ولكن على القوالب لا على القلوب . .

وإلا . . فإن نفوسهم تتمرد عليهم إذ تزين لهم التضحية . . فإن نفوسهم تتمرد عليهم إذ تزين لهم التضحية بأممهم . . فى سبيل بقائهم . .

وما ظنك برجل يتسبب فى تخريب الديار . . فى سبيل بقائه هو .

التأسي برسول الله ﷺ :

قال طالب العلم للإمام مالك :

وددت أنا رأينا رسول الله ﷺ .

فقال له الإمام :

وماذا كنتم نفعلون ؟

قال الفتى :

نوقره .. ونتأدب بين يديه

فقال له الإمام :

فى استطاعتكم ذلك اليوم ...

ما بلغكم من أمره ونهيه .. فأطيعوا وانتهوا ..

وما أحب .. فأحبوا .

وما يكره .. فاكرهوه .

ولو فعلتم .. كنتم موقرين له مؤدبين !!

استأذن الرجل لدى الباب قائلا :

أألج ؟!!

فقال ﷺ لرجل :

« **اخرج إلى هذا .. وعلمه الاستئذان** » فسمعها الرجل .. فالتزم بأمره ﷺ وقبل أن يعلمه الرجل !

ومن فقة السنة .

فليبلغ الشاهد ..

تبليغ العلم فرض كفاية . حتى ينتشر .

ورب مبلّغ أوعى من سامع .

[وقد احتج العلماء بهذا لجواز رواية الفضلاء وغيرهم من الشيوخ الذين لا علم لهم ولا فقه .. إذا ضبط ما يحدّث به] .

من بلاغته ﷺ :

لما مر جماعة وهو مع صفية قال :

« هذه صفية بنت حيى »

ولم يقل : هذه زوجتى

لماذا ؟

لو قال ﷺ : هذه زوجتى لكان ينفى التهمة عنه هو شخصيا لكنه لما قال : صفية بنت حيى نفى التهمة عنها أيضا . . معه .

أ ـ إنها من بيت يمعنها شرفه من الخطأ .

ب ـ فإذا أضيف إلى ذلك كونها زوجته .

ـ وهذا ما فهمه الجمع . . فإن خاطر السوء غير وارد بالمرة .

ألا إن أصلها مانع لها .

فكيف وهى زوجة الرسول ؟!!

[الدعوة « بالكونيات »]

لأنها لغة التفاهم مع علمائهم :

ومنهم «كارليل» الذى كان يقول :

[أنا لا أهتم كثيرا بما جاء به القرآن من الصلوات والتحميد . .

ولكنى لا أملك نفسى حين أجده ينفذ إلى أسرار الكون . وبواطن الأمور فيقول للناس :

﴿ قُلِ انظُرُوا ﴾ [يونس : ١٠١]

يقول عز وجل :

﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣]

وكان «الدينورى» مؤلف كتاب «النبات» يذهب إلى الأرض ليرى النبات على الطبيعة .

« سورة الفجر »

نموذج من الإعجاز العلمى للقرآن الكريم

قال تعالى : ﴿ وَالْفَجْرِ ، وَلَيَالٍ عَشْرٍ ، وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ، وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ، هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴾ [الفجر : ١ ـ ٥] .

الآيات تتحدث عن عدد من الظواهر الفلكية التى اكتشفها العلم الحديث مثل دوران الأرض حول نفسها فيحدث الليل والنهار ودوران القمر حول الأرض فى دورة مدتها شهر ثم دوران الأرض حول الشمس دورة سنوية .

ويقول الدكتور أنور قدرى الباحث الفلكى فى بحثه : أقسم الله عز وجل بهذه المصطلحات الخمسة : الفجر ، وليال عشر ، والشفع والوتر ، والليل إذا يسر لأن كلا منها تشكل آية من آيات الله فى هذا الكون المعجز فى دقة نظامه واستمرارية دورانه دون أدنى خطأ أو خلل فبدأ بالقسم بالفجر وهو انفجار الضوء بعد الظلام وكأنه حدث يتجدد بيننا، وقال : والليل إذا يسر أى مسار الليل وكأنه شئ متواصل بمعنى أن الظلام هو الأصل أو الشيء الغالب وأن النهار ما هو إلا سلخة من الليل «والليل نسلخ منه النهار» «يغشى الليل النهار» والكون كله ظلام دامس رغم أنه ملئ بملايين النجوم الكبيرة التى تكبر الشمس بعدة مرات ولكن جو الأرض فقط بما فيه من ذرات التراب وبخار الماء وبعض العناصر الأخرى تقوم بتشتيت الضوء الصادر من أشعة الشمس فتضئ جو الأرض (أقل من ٢٠٠ كم ارتفاعاً) .

والإعجاز هنا كما يقول الباحث : هو الربط بين الفجر والليل إذا يسر فالآيه تشير إلى دوران الأرض حول نفسها فيحدث الليل والنهار وهذه حقيقة فلكية أكدها القرآن من اكثر من ألف وأربعمائة سنة حيث قال تعالى : ﴿ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ [الزمر : ٥] إشارة إلى كروية الأرض ـ ﴿ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ﴾ [الأعراف : ٥٤] أى سريعا وهو تعبير يصف سرعة دوران الأرض حول نفسها ـ ﴿ لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ

﴿يَسْبَحُونَ﴾ [يس : ٣٧] أى حركة الأرض والشمس والقمر فى الفضاء .

أما الليالى العشر فالمقصود بها الشهر القمرى أى دوران القمر حول الأرض كل شهر لحديث رسول الله ﷺ « نحن أمة أمية لا تقرأ ولا تحسب إنما الشهر هكذا هكذا وهكذاً » وأشار بأصابعة العشر ثلاث مرات أى أن الشهر ثلاثون يومًا وهكذا وهكذا وهكذا وأشار بأصابعه العشرة ثلاث مرات أخفى فى المرة الثالثة أصبع الإبهام أى أن الشهر تسعة وعشرون يوما » بمعنى أن الشهر إما ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما وأنسب تعبير عن الشهر أنه عشرات وقال تعالى : ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾ [التكوير : ٤] والآيه تشير إلى حدوث الشهر الهجرى بدوران القمر حول الأرض دورة كاملة كل شهر . وقال تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة : ١٨٩] وقال تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [يونس : ٥] .

ثم يأتى الكلام عن السنة الهجرية وهى تحدث فلكيا من دوران الأرض حول الشمس دورة كاملة كل ١٢ دورة للقمر حول الأرض قال تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة : ٣٦] «ومعلوم فلكيا أن هناك سنة هجرية بسيطه ٣٥٤ يوما وهى الشفع كما ذكرت الآية أى زوجية تقبل القسمة على اثنين. وهناك السنة الكبيسة وهى تتكون من ٣٥٥ يوما وهى السنة الوتر الزوجية أو الشفع «البسيطة» أولا ذلك لأنها تتكرر فى الكون أكثر من السنة الكبيسة بمعدل ٢ إلى ١ تقريبا . وإذا تأملنا هذه الآيات العظيمة نجد أنها برهان ساطع لكل صاحب عقل أن لهذا الكون خالق عظيم أبدع نظامه بدقة متناهية لا يستطيع أحد أن يوقفها أو يجريها قال : تعالى : ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلا تَسْمَعُونَ (٧١) قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ [القصص : ٧١ ، ٧٢] فحق لله تعالى أن يسأل : ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ . أى صاحب عقل والجاحد الذى ينكر وجود الله وهذه آياته العظمى

التى تملأ الكون .

ويحلو لى أن أنقل هنا قصة طريفة للفلكى الشهير السير جيمس الأستاذ بجامعة كمبردج ، يرويها الدكتور عناية الله ، هو يقول :

« كانت ذلك يوم أحد من أيام سنة ١٩٠٩ م وكانت السماء تمطر بغزارة، وخرجت من بيتى لقضاء حاجة ما، فإذا بى أرى الفلكى المشهور السير جيمس جينز - الأستاذ بجامعة كمبردج - ذاهباً إلى الكنيسة، والإنجيل والشمسية تحت إبطه، فدنوت منه، وسلمت عليه، فلم يرد على، فسلمت عليه مرة أخرى فسألنى : ماذا تريد منى؟ فقلت له أمرين ياسيدى! الأول هو أن شمسيتك تحت إبطك رغم شدة المطر! فابتسم «السير جيمس» وفتح شمسيته على الفور، فقلت له : وأما الأمر الآخر فهو: ما الذى يدفع رجلا ذائع الصيت فى العالم - مثلك - أن يتوجه إلى الكنيسة ؟ أمام هذا السؤال توقف السير جيمس لحظة ثم قال : عليك اليوم أن تأخذ شاى المساء عندى، وعند ما وصلت إلى داره فى المساء، خرجت ليدى جيمس فى تمام الساعة الرابعة بالضبط ،وأخبرتنى أن السير جيمس ينتظرنى ، وعندما دخلت عليه فى غرفته، وجدت أمامه منضدة صغيرة موضوعة عليها أدوات الشاى، وكان البروفيسور منهمكاً فى أفكاره، وعندما شعر بوجودى ،سألنى، ماذا كان سؤالك ؟ودون أن ينتظر ردى، بدأ يلقى محاضرة عن تكوين الأجرام السماوية ونظامها المدهش وأبعادها وفواصلها اللامتناهية وطرقها ومدارتها وجاذبيتها، وطوفان أنوارها المذهلة حتى إننى شعرت بنفسى يهتز بهيبة الله وجلاله، وأما السير جيمس فوجدت شعر رأسه قائماً والدموع تنهمر من عينيه ،ويداه ترتعدان من خشية الله وتوقف فجأة ، ثم بدأ يقول : يا عناية الله ! عندما ألقى نظرة على روائع خلق الله يبدأ وجودى يرتعش من الجلال الإلهى، وعندما أركع أمام الله وأقول له : «إنك لعظيم » ! أجد أن كل جزء من كيانى يؤيدنى فى هذا الدعاء، وأشعر بسكينة وسعادة عظيمتين، وأحس بسعادة تفوق سعادة الآخرين ألف مرة، أفهمت يا عناية الله، لماذا أذهب إلى الكنيسة ؟» .

ويضيف العلامة عناية الله قائلا : لقد أحدثت هذه المحاضرة طوفان فى عقلى، وقلت له : يا سيدى ! لقد تأثرت جداً بالتفاصيل العلمية التى رويتموها لى،

وتذكرت بهذه المناسبة آية من آى كتابى المقدس، فلو سمحتم لى، لقرأتها عليكم فهز رأسه قائلا : بكل سرور فقرأت عليه الآية التالية :

﴿ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [١] .

فصرخ السير جيمس قائلا : ماذا قلت ؟ ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ مدهش ! وغريب وعجيب جداً !! إن الأمر الذى كشفت عنه دراسة ومشاهدة استمرت خمسين سنة، من أنبأ محمداً به ؟ هل هذه الآية موجودة فى القرآن حقيقة ؟ لو كان الأمر كذلك ، فاكتب شهادة منى أن القرآن كتاب موحى من الله .

ويستطرد السير جيمس قائلا : « لقد كان محمد أمياً ، ولا يمكنه أن يكشف عن هذا السر بنفسه، ولكن «الله» هو الذى أخبره بهذا السر . مدهش . . ! وغريب وعجيب جداً [٢] .

شهادة الواقع :

حين بحث علماء اليابان فى تأثير . . «الموسيقى» على الأسماك .

واستخدامها فى الصيد .. كان العرب قد سبقوهم إلي ذلك بما يزيد على أحد عشر قرنا من الزمان :

يقول الجاحظ تحت عنوان [تأثير الصوت] .

يقول :

بالأصوات ينوّمون الأطفال .

والدواب : تصر آذانها إذا غنى المكارى .

والإبل : تصر آذانها إذا حدا فى أثرها الحادى .وتزداد نشاطا . ثم تسرع .

ويجمع الصيادون السمك فى حظائرهم التى يتخذونها له : وذلك أنهم يضربون

---

(١) سورة فاطر : ٥٣ .

(٢) الإسلام يتحدى : ص١٥٢، ١٥٣ .

بعصى معهم ، ويعطعطون.،. فتقبل أجناس السمك شاخصة الأبصار . مصغية إلى تلك الأصوات . حتى تدخل الحظيرة] قصة إسلام عالم يابانى .

يابانى .. يعشق تراب مصر

يقول أحمد كمال أوكاموتو وهو اسمه الجديد بعد إشهار إسلامه :

حضرت إلى الوطن العربى عام ١٩٧٠ وبالتحديد إلى سوريا وكنت موافد من وكالة التنمية الدولية اليابانية التابعة للحكومة اليابانية كخبير كاراتيه بوزارة الداخلية السورية وخلال ست سنوات قمت بالتدريب فى سوريا والعراق والأردن ولبنان وفلسطين ومصر وشاركت فى تأسيس اتحاد الكاراتيه فى هذه الدول .

* * *

* فى عام ١٩٧٦ انتقلت للعمل بمصر بناء على طلب الرئيس الراحل أنور السادات للعمل كخبير ومدرب للكاراتيه بالاتحاد المصرى العربى والأفريقى ونشر اللعبة فى أكثر من ٤٥ دولة عربية وأفريقية وحتى عام ١٩٨١ قمت بإنشاء مركز الرياضيات اليابانية بنادى الزهور بالتعاون مع جامعة كوكو شيكان بطوكيو .. ورغم توقف العمل بالمركز مع مجلس الإدارة السابق للنادى إلا أننى رفضت ترك مصر وكنت أنتقل بين الدول العربية والأفريقية بصفتى خبيرا أحاضر فى دورات المدربين ثم أعود إلى مصر .. والحمد لله عاد مركز الرياضات اليابانية بنادى الزهور للعمل من جديد بعد أن حصل النادى عى منحة يابانية قدرها نصف مليون دولار لتجديد المركز وأدواته وحضر توقيع العقد السفير اليابانى بالقاهرة .

* * *

* حصلت على شهادات وأوسمة كثيرة أثناء عملى بمنطقة الشرق الأوسط أهمها وأقربها إلى قلبى تكريم الرئيس حسنى مبارك الذى منحنى وسام الرياضة من الطبقة الأولى عام ١٩٨٣ وهو ما يدفعنى الآن لتقديم الشكر له على ما يقدمه للرياضة والرياضيين فى مصر . أيضاً شهادة تقدير من الرئيس الراحل أنور السادات ومن الرئيس الراحل حافظ الأسد فى سوريا ومن رئيس ليبيريا ومن اتحادات أفريقية وعربية

كثيرة كلها معلقة على جدران شقتى بالزمالك .

ويضيف قائلا : أشهرت إسلامى على يد الشيخ محمد متولى الشعراوى بالأزهر الشريف فى أوائل الثمانينيات وأتردد بين الحين والآخر على الأزهر وحصلت مؤخرا على نسخة من القرآن الكريم باللغة اليابانية .

وعن مشروعاته بالقاهرة قال : أعمل حاليا مديرا فنيا لمنتخبات الكاراتيه ويقوم المركز الثقافى اليابانى بالقاهرة بإنشاء مركزاً للرياضات اليابانية أسفل كوبرى عباس على غرار المركز الموجود بالزهور . . ويقوم اللواء منير ثابت رئيس اللجنة الأوليمبية المصرية ورئيس المركز الثقافى اليابانى بمجهود كبير لإنشاء هذا المركز بأسرع وقت وأشغل فى هذا المركز نائب الرئيس والمدير الفنى .

ويقول أحمد كمال أوكاموتو : بدأت أتقن اللغة العربية بالإضافة إلى أننى أجيد الإنجليزية واليابانية ولا أنكر أن سنوات عمرى التى قضيتها فى مصر ووصلت إلى ٣٠ عاما وراء تمسكى بالبقاء فى مصر حتى آخر يوم فى عمرى .

وعن أمنياته يقول : أتمنى أن أسافر إلى السعودية لأداء العمرة وزيارة قبر الرسول ﷺ فقراءاتى الكثيرة عن الإسلام وراء شوقى الشديد لزيارة الأراضى المقدسة . . وهو ما أتمنى تحقيقه فى أقرب وقت .

وابدأ بمن تعول :

يقول عز وجل :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٤]

أشار «ابن حجر» هنا :

بأن عليه ﷺ أن ينذر أقرباءه . .

حتى لا يستجيب لعاطفة القرابة .

ليظل الولاء كله لله تعالى :

وهكذا الصالحون :

يرجون رحمته ويخافون عذابه

فلا يخافون . . ولا يرجون . . ولا يحبون إلا الله عز وجل .

« أن يكون الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما . . »

إن القرابه . . تحتاج إلى مـودة ، والمودة لا تحتاج إلى قرابة ورب أخ لك لم تلده أمك .

تفضيل بعض الصحابة على بعض :

أ ـ طوائف مفضّلة :

أهل بدر ـ أصحاب البيـعة ـ أهل أحد ـ أصحاب بيعـة الرضوان السابقون ، ممن صلى إلى القبلتين ـ الخلفاء الراشدون الأربعة .

ب ـ الصحابة كلهم عدول . . وتفضيل بعضـهم لا يخرج بالآخرين من العدالة لكنهم : تقاتلوا . وتأولوا .

١ ـ هم مجتهدون متأولون . . وكان لكلّ شبهة .

٢ ـ كانت القضايا متشابهة . . فدقت . . فنعذرت الرؤية الواحدة .

ولقد كانوا فى اجتهادهم واحدا من ثلاثة .

أ ـ قسم ظهر له أن الحق مع طرف . . ومن واجهه فهو باغ يجب قتاله .

ب ـ قسم ظهر له العكس .

جـ ـ وقسم توقف : لأن السبل اشتبـهت أمامه . . ولو ظهر الحق فى جانب . . لما جاز له أن يتوقف . . لأن نصرة المؤمن واجبة .

الآراء فى تفاضلهم :

١ ـ لاتفاضل : ونمسك عن ذلك .

٢ ـ هناك مفضلون : أبو بكر أولاً [بالإجماع] اتفاق أهل السنة .

وهناك من جعل بعده : عمر دين جعل : وبعضهم قدم «على» على عثمان حين (من أهل الكوفة) وبعضهم : فضل العباس .

علماء لنا فيهم أسوة :

نذكر هذا الموقف . . وهو بدروسه القيمة غنى عن التعليق :

قبل ربع قرن من الزمن، كان يتوبع على كرسى مكين من كراسى العلم النقي الصافي عند المئذنة الشمالية من بيت الله الحرام بمكة المكرمة، شيخ هرم، جار عليه الزمان كل الزمان، ونال منه الكبر مبلغه، واعتدى على ظهره نوائب الدهر، غير أن ذاكرته ظلت مستودعاً أميناً وسكناً أميناً لعشرات المتون في النحو والصرف واللغة، بل إن قريحته الحادة أهبطت جميع محاولات سطو الهرم وعدوان الشيخوخة على تلك المتون في ذاكرته ،وخاصة ألفية ابن مالك ! وإني أشهد الله ـ والشهادة للتاريخ .

بأن شيخنا لم يتخلف يوماً قط عن درسه الذي كان يلقيه على طلبة العلم بعد كل صلاة مغرب ! وكم كان حرصه شديداً على حماية ألسنة الطلبة الذين كانوا يؤمون درسه المليء بالحيوية والفاعلية التي كانت تطرد السنة، وتحمى الجفون كل الجفون من تسلط النوم وجنوده ! بل كان الطلبة يتنافسون في الجلوس بالقرب من شيخنا رغبة في سماع صوته المرهف، بيد أن أسلوب شيخنا العنيف ومنهجه القاسي في معاقبة من يلحن في إعراب بيت أو نثر أو شاهد، كان ذلك الأسلوب وذاك المنهج مصدر نفور وهرب لأولئكم الفتية الذين يأتون إلى درسه للمرة الأولى !

فكم من وجوه جديدة أتت إلى درس شيخنا ،ثم ذهبت ولم تعد! بل كم من فتية أعجبوا بقوة ذاكرة شيخنا ووقدتها وخاصة طريقته الفذة في قراءة أبيات ألفية ابن مالك !

جير، لم يكن شيخنا يخطئ أبداً في استذكار بيت من أبيات الألفية، ولكنه كم كان يخطئ في أسمائنا على الرغم من أننا كنا نلتقي به يومياً عدا يومي الخميس والجمعة، وكنا نعد هذين اليومين من أكثر الأيام وحشة ، إذ إننا كنا نحرم فيهما من لقيا شيخنا الذى أحببناه وأحببنا درسه كل الحب !

إيه ، ما أشد تعلق شيخنا بابن مالك ـ رحمهما الله ! بل ما أشد غرامه وولعه بكتاب سيبويه، ولكم كان أسفه وحزنه شديدين ومرين إذا تلعثم منا أحد فى استذكار

بيت لابن مالك !

وقد كـانت طريقة الشيخ في درسـه أن يقرأ على مسـمعه أحـد طلابه شرح ابن عقيل ،وكان في مجلس الشيخ رجل يمني مـرح يقال له الشيخ يحيى، كانت مخارج الحروف عنده متميزة وراقية، فكان الشيخ يعجب بقراءته، غير أن فهمه لدرس الشيخ كان محدوداً جداً، بل كان كثير اللحن عندما يطلب منه الشيخ أن يعرب بيتاً أو نثراً، كمـا كان في مـجلس الشـيخ شاب مصـرى ضخم الجـثة، وكث اللـحية، يقـال له مصطفى، كان ملازماً للشيخ ومرافقـاً له، وكان كذلك كثير الخطأ عند إعراب بيت أو نثـر ! وكان منهج الشـيخ إذا أخطأ أحد في إعـراب بيت أو نثر ،يقـول له بملء فـيه وبصوت عال جد عال : رح واشرب زمزم !

ولم يكن يمضي يوم في درس الشـيخ إلا ويكرر هذه العـبـارة، بل كان الشـيخ يمسك برأسـه عندما يلحن أحـد من طلابه، ويظهر على مـلامحه كـأن ذلك الطالب ارتكب جريمة نكراء ! إنها جريمة اللحن ما أشدها جريمة، وما أفجعه في نظر شيخنا!

لقد كان شيخنا مؤمناً إيماناً حقـيقياً بأن ماء زمـرم يشفي المرء من اللحن، ويقوم لسانه، ويحمي من ترسـبات اللحن وآفاته ، بل كان الشيخ يؤمن فى قـرارة نفسه أن العلاج الأمثـل للحن يكمن في أن يبدأ الدارس بشرب ماء زمـرم قبل الدرس، وعند الدرس، وبعد الدرس، يا له من علاج رباني !

حقاً، فلئن تعددت مشارب الناس ومآربهم من شرب زمزم، فإن شيخنا كان يرى في مـاء زمزم شفـاء للحن، وشفـاء للأخطاء الفـاحشـة في اللغة، وعـلاجاً ناجـعاً لانحراف اللسان عند النطق بلغة الضاد !

وهكذا مضت الأيام، وتوالت السنون، وانقضت الأعـوام، وامتدت يد المنون إلى روح الشيخ قبل عقـد من الزمن، فألحقته بربه ـ رحمـه الله ـ وتفرقنا ـ نحن الطلبة ـ شذر مذر، وجارت علـينا الأيام أيما جور، حيث لم نعد نعرف عن بعضنـا شيئاً، بل لم يبق لنا من ذكريات تلك الأيام الخـوالي سوى عبارات شيـخنا الحزينة التي ترن في الأذن كلما تسـلل لحن إلى ألسنتنا، أو اعتـدى متحـدث على فاعل فنصـبه ،أو على

مفعول فرفعه، أو على مجرور فجزمه : رح واشرب زمزم !

كان شيخنا بشهادة التاريخ سيبويه عصره، وابن مالك زمانه، وابن هشام جيله،رحم الله الشيخ محمد الحبيب تمبكتي، رحمه واسعة وأسكنه فسيح جنانه، وجزاه عنا وعن لغة الضاد خير الجزاء !

وليس فى استطاعة بلاغة التصوير أو قوة التعبير أن تنقل الى الناس هذه الآلام كما يحس بها الإنسان !

كما أن تلاطم الأمواج لا يحكى ما فى جوف البحر من صخب وهياج !!

وليت شعرى ..

ولو كشف لنا الغطاء قبل أن نولد ورأينا ما سنلاقيه فى هذه الدنيا من عذاب وشحن .. لفضلنا أن نستمر بين طيات العدم .. حيث الراحة والسكون.. على أن نحيا فى هذه الأرض..بين سعير الهموم وأكدار الزمان !!

ولكن لا حيلة فى الأمر .. ولابد أن تدفع الضريبة من دمنا .. ومالنا .. وأعصابنا.. على الأقل.. كلما ودعنا حبيبا إلى مثواه الأخير ..ويا لتصاريف القدر!!

يجلس معك صديقك.. تتجاذبان معا أطراف الحديث.. وتنفرج الأسارير عن ابتسامة الأمل ..

وما هى إلا لحظات .. حتى تتحرك يد القدر.. فيساقط أحدكما كالثمرة لقمة سائغة فى فم الموت !!

ثم تجلس وحدك.. سابحا فى أحلام اليقظة . تتمثل أيامك الخوالى مع صديقك الراحل . . غير أن ابتسامتك مع صديقك الراحل.. تتحول فى ذكراه إلى دمعة ..

وحديثك معه سينقلب حيئئذ إلى نشيج وبكاء.. ومرحك سيغدو آهات تشق الحناجر شقا ..

وهو نفس موقفى وأنا أذكر أخى الذى رحل !!

لقد درجت معه على دروب هذا البلد سنين عددا . .

كنا صبيانا نرتل القرآن سويا . . ثم نذهب إلى الحقل لنستمتع بالحياة . .

ونستذكر دروسنا فى ظلال الأشجار . .

وينقضى اليوم . . وتعود الشمس إلى مغربها . . فنعود نحن إلى ديارنا . .

ثم نفترق . . وفراقنا حينئذ كعقارب الساعة كما يقول «لا مرتين» . . تدور وتدور . . عقرب يسبق الآخر فى المسير . . والآخر ينتظر لقاءه . . بلا نواح . . وبلا أنين . .

أما اليوم . .

فأنا أنتظر محمدا . . ولكنه لا يعود . .

ويتلفت القرآن باحثا عن قارئه المؤمن فلا يجده . .

وتتلفت الشجرة التى أظلته علها تراه فلا تحس لأنفاسه دبيبا . .

وينصت النهر الجارى إلى صوت محمد فلا يسمع همسا !!

سكن الصوت . . وهدأت الحركة . . وتوقفت الأنفاس . . وانتهت قصة الحياة !!

أستغفر الله !!

هل انتهت قصة حياة محمد محمود ؟ . . لا . . إننى أتخيله الآن من وراء حجب الغيب وهو ينظر إلينا من برجه العالى ساخرا :

فيم اجتماعكمو هذا ؟؟ لتأبينى ؟؟

أنتم أحق بتأبين الورى دونى !!

أنا هنا فى الرحبات الوسيعة فى جنة الرضوان . . وأنتم لا زلتم سجناء هذا الجسد المسعور . .

﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت : ٦٤]

رحمك الله يا محمد . .

لقد كنت أحد الرجال القلائل . . الذين رأوا المروءة . . بستانا من غير حارس . . وطائرا بلا عش . . وزهرة بلا ريح . .

فكنت حارسها الذى رعاها . . وعشها الذى مد عليها رواقه . . وريحها الذى دخل كل قلب . . وملك كل عقل . .

وكان غيرك يدعو إلى الفضيلة. وهو عدو لها . . يدعو إلى الصدق . . وهو كذاب . .

ويشجع على الأمانة وهو خائن . .

ويمدح البذل . . وهو بخيل . . تماما كالمئذنة مستقيم الظاهر . . معوج الباطن!!

ولكنك فى دعوتك إلى الفضيلة . . كنت مثالا حيا . . يطبق مبادئها فى دنيا الناس عمليا . . ومن أجل ذلك لا زلت تحيا بيننا . . وإن توارى عنا جسدك . .

وذلك . . لأن ما يخلفه الإنسان من ثمرات خلقية أبقى على الزمان من كل شيء . .

يذهب المال . . ويزول الجاه . . ويسقط السلطان . .

وتبقى الذكرى الطيبة فى فم الحياة عمرا ثانيا . . يحيا بها الإنسان وهو ثاو بين أطباق الثرى !!

وإذا كنت لم تعش على ظهر الأرض عشرات السنين . . فعزاؤنا أنك عشت حياة عريضة . .

إنها فعلا قصيرة الأمد . . بيد أنها مليئة بالمكرمات . . والمآثر . .

وكثيرون غيرك عاشوا مئات السنين فكانت حياتهم طويلة . . ولكنها حياة ضيقة. . ليس فيها من معانى الإنسانية ما يضفى عليها سمة الخلود . .

إننى أستعرض أمامى الآن . . إخوانك وصحابك. . وأسألهم واحدا واحدا . .

هل أساء محمد إليكم يوما ؟

وأكاد أسمع الجواب : لا . .

بل إنه عاش فينا كشجرة الصندل. . تعطر الفأس التى تريد قطعها . .

أو كشجرة جوز الهند . . تقذفها بالحجر . . فتقذفك بالثمر !!

سلام عليك يا أخى يا محمد . . سلام عليك وعلى أخيك سليمان . . لقد نزل عليك منذ قريب ضيفا . . ولا شك أنك التقيت به . . واستعدت معه ذكريات الماضى . .

فعليكم السلام جميعا . . ورضوان من الله أكبر . .

فنم يا محمد مطمئنا . . ونم يا سليمان آمنا . .

فلا زلنا على العهد أوفياء . . جنودا مخلصين . . لتثبيت دعائم الفضيلة التى عشتم بها واستشهدتم عليها . .

وإذا كان منجل الفلاح القاسى . . لم يمنع جذور البرسيم من النمو مرة أخرى . . وإذا كانت أشعة الشمس لا تمنع قطرات الندى من أن تبرق . . فإن الموت لا يمكن أن ينسينا أحبابنا وصحابنا أبدا . .

وسلام عليك يوم ولدت . . ويوم استشهدت . . ويوم تبعث حيا . .

* * *

الإسلام اليوم :

سؤال يفرض نفسه :

ما هو موقف المسلم من الإسلام ؟

يجيب العلماء بما ملخصه :

قبل الإجابة عن هذا السؤال . . لابد من معرفة موقف المسلم من الإسلام . . فى الأمس الدابر. . لأن ما نحن فيه الآن . . إنما هو حصيلة ما زرعناه بالأمس . .

وإذن.. فما هى الجذور التاريخية ؟

ثم . . ما هى ملامح المستقبل المشتق من هذا الماضى السحيق ؟

لقد شق الإسلام طريقه عبر أربع مراحل :

المرحلة الأولى :

دعا النبى ﷺ الناس : بلسانه.. ثم بعمله فكان مثالا للإنسان الكامل . والداعية المثالى ؛ الذى يقول ما يفعل :

وذلك بعض ما يشير إليه قوله عز وجل :

﴿ قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام :١٦١ ،١٦٢] وكان معه من البشر صفوة الصفوة الذين عزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه . .

اتبعوه فى التزام صارم بكل ما جاء به من عند الله :

١ ـ أفرغوا حياتهم فى حقائق الشرع .

٢ ـ بل تحدوا كل قوى الأرض جميعا .

٣ ـ بل حاربوا هذه القوى الفاجرة . . مضحين فى سبيل الإسلام بأموالهم وأنفسهم . . إلى الحد الذى كانت عقيدة الإسلام أغلى حتى من الولد والوالد . . وكان الولد يقرأ من آيات القرآن الكريم لعن والده . . فينسى لحمة الدم ولا يكون ولاؤه إلا للقرآن واقرأ فى ذلك قوله عز وجل فى «الوليد» . . وكيف كان ولده خالد يقرؤها برضا وقبول :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلاَّ إِنَّهُ كَانَ لآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧) إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ(١٨) فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ [المدثر : ١١ ـ ١٩] وبهذه الصفوة الخالصة المخلصة أسس بهم ﷺ دولة فى المدينة :

من ملامحها :

١ ـ دولة فى حجم مدينة صغيرة .

٢ ـ لا يتجاوز تعدادها سبعة آلاف نسمة .

٣ ـ يراها الناس : جزيرة صغيرة . . فى بحر متلاطهم من الجاهلية العانية .

٤ ـ ومع ذلك : طبق فيها الإسلام عمليا .

٥ ـ ومع أن مساحتها ـ كما يقول العلماء ـ لم تكن تتجاوز بضعة أميال . .

٦ ـ إلا أنها سيطرت وفى ثمان سنوات . . استولت على مليون ميل مربع .

٧ ـ ولم يكن ذلك الاستيلاء بالسيف . . كما يزعم بعض المستشرقين . . بدليل ما أبينته الإحصائيات الدقيقة من أن قتلى الطرفين فى كل الغزوات لم يتجاوز ألفا وأربعمائة نفس تقريبا . .

[فأين هذا العدد الضيق مقارنا بضحايا الحروب الحديثة والتى كان القتلى فيها بالملايين] لقد صحا العالم الغافل الذاهل . . فرأى ما لم يكن يرى . . وسمع ما لم يكن يسمع . .

رأى ناسا من لحم ودم مثلهم . . ومع ذلك يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ورأى دولة وفيّة : ترد الجزية لأعدائها إذا عجزت عن حمايتهم . .

ثم سمعت رئيس الدولة يقول :

« أنا ابن امرأة من قريش . . كانت تأكل القديد » فكان مثلا أعلى فى التواضع :

إن التواضع من خصال المتقى

وبه التقىُّ إلى المعالى يرتقى

ثم اتسعت الدولة . . بفضل قائدها الذى ربى جنده على الولاء للحق وحده . . واطراح معانى التشفى والانتقام :

لقد كانوا كما وصفهم ربه :

﴿ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩١]

يذكرون الله : شحنا للقلب

ويتفكرون : شحنا للعقل

ومن ثم لم تكن لهم نهمة إلى نساء المقهورين حين يدخلون البلاد فاتحين :

فقد كانت نساء العدو تطل من الشرفات بالملابس الزاهية المغريه . .

فلم ينبهروا . . بل لم ينظروا . . ولم يفعلوا ما كان يفعله الأعداء ، حين ينتهكون الأعراض .

وإذ فإنها لم تكن فى حاجة إلى إلحاح فى الدعوة من حيث كان الفاتحون يدعون بأعمالهم . . فيفتحون القلوب . . قبل أن يفتحوا البلاد . .

ولهذا السبب بقيت آثارهم . . التى لا تذهب مع الأيام . .

وكل ما تشاهده اليوم من تقدم . . فإنه قبس من صيفائها . وأثر من آثارها .

المرحلة الثانية :

١ ـ انتشر الإسلام فى كل فجاج الأرض .

٢ ـ دخله كل من هب ودب .

٣ ـ ومن معانى ذلك :
نقص عدد المخلصين من المرحلة الأولى .

٤ ـ تعذر تربية هذا العدد الضخم .

٥ ـ تراجعت أمة الإسلام .

الأسباب :

١ ـ انقسمت الأمة على نفسها :

السياسيون فى ناحية ، ورجال الفكر والدين فى ناحية

٢ ـ وكان ذلك فتنة . .

٣ ـ لاسيما بعد تسلط السياسة على الحكم والدين .

٤ ـ وقد رفض العلماء ذلك .

٥ ـ واتسعت شقة الخلاف بين طرفى الأمة .

٦ ـ تخلى الحكام عن الدعوة . . إلى :

الحكم والضرائب واللذائذ .

٧ ـ توقف المد الإسلامي .

٨ ـ تفرد العلماء بالدعوة قولا وعملا . . ولم يساعدهم الحكام .

٩ ـ أهل الإحسان «أوقفوا» أملاكهم . .

ولكن !

ولكن الرجل كان يدخل فى الإسلام . . فماذا يحدث ؟

يتغير اسمه فقط ليكون اسما إسلاميا . . مع تعلم بعض الأحكام ، لكنه لم يتمكن من صوغ حياته كلها طبق مفاهيم الإسلام . . بسبب جور الحكام .

وكانوا معرضين للردة !

١٠ ـ ازدهرت العصبيات التى عجلت بانهيار بنى أمية .

١١ ـ استغل الملوك هذه العصبية إلى الحد الذى حمل «العباسيين» على الاستعانة بالفرس على بنى أمية . . تدعيما لحكمهم .

١٢ ـ تحكمت «الأنانية» فكان الولاء للنفس .وليس للمبادئ وبيعت الضمائر فى الأسواق .

المرحلة الثالثة :

وهى المرحلة التى هجم فيها علينا : الاستعمار . .

والذى كان من آثاره :

١ ـ تحكيم منهجه فى التربية . فكان من آثار ذلك .. جيل يدين بهذا المنهج ..

وهو الجيل الذى يتبوأ أرقى المناصب .. فكان القرار قراره ..

والدليل هو : مركز مدرسى الإنجليزى .. والذى كان أهم من مدرسى العربى ..

وفى ضوء هذه الحماية الاستعمارية حدث ما يلى :

قامت حركات أطلقت على نفسها : حركة التحرير .. أو حركة التنوير ..

ولقد كان من مكرهم أن يرفعوا شعار الإسلام تمسحا به .. وخداعًا للناس .. حتى إن .. «مصطفى كامل» لما غذا اليونان تركيا .. حمل إليهم المصحف مبينا أن هذه معركته ؟!

يفعل هذا .. مع أنه مناوى بقيم هذا المصحف ؟!!

المرحلة الرابعة :

١ ـ اختيار قادة الأمم ممن يدينون للاستعمار ..

والذين كانوا يضربون الإسلام الذى قام باسمه زورا وبهتانا .

ولقد رق مكر الاستعمار حتى إنه كان يختار من الدول أنجب شبابها ليقوم بإعداده إعدادًا خاصا .. حتى إذا نُصّب بعد ذلك كان ولاؤه له .

٢ ـ كان هناك طبقة من العلماء المخلصين ..

ولكن الشعب لم يكن يأمنهم على تسيير دفة الحكم .

وتردد الناس يومئذ بين :

حكام أهل خبرة .. ولكن بلادين ، وعلماء أهل دين .. ولكن بلا خبرة !

وهو المعنى الذى أعلنه عمر ﷺ بقوله :

[اللهم إنى أشكو إليك قوة الفاجر وعجز الثقة]

حاشية

ومع هذا .. فهناك حقيقة يجب ألا تغيب عنا وهى : أن كل إنسان مهما كان مغرقا فى العصيان إلا ويتمنى عود المرحلة الأولى ..

وإذن .. فالرغبة فى الإصلاح موجودة .. بل وقوية .. ولكن أين السبيل ؟

إجمالا نقول :

لو خضعنا لمن يملك الكون سبحانه .. لخضع لنا هذا الكون ..

وتفضيلا لابد من دعاة.. يتسلحون بهذه الخصائص

فى الدعوة :

فى صحيح البخارى :

أن رسول الله ﷺ حادى الإبل بالترفق : فقال :

« رفقا بالقوارير »

لم يقل بالنساء :

لأن «القوارير» تشخص طبيعة الرقة .. والضعف .. فتحمل على الالتزام .

وفى فتح مكة ساء عمر ما أنشده «حسان» من شعر فى موقف الجد .فقال ﷺ :

«دعوه فإنه أشد عليهم من النبل» «سيرة ابن هشام» .

يقول عز وجل :

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ ﴾ [الإسراء : ٣٢]

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ ﴾ [الإسراء : ٣٤]

أما فى القتل فلم يقل ولا تقربوا

وإنما :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا ﴾

لأن الوازع قوى وهو القصاص

أما فى الأولين :

فيمكن ارتكاب الجريمة بلا وازع

فمنعوا من الاقتراب

لأن مجرد الوجود فى الحمى يوشك أن يقع ،

الهروب من ماضيك . . فلسوف يكون من ورائك دائما .

أما أنا فقرير العين :

بما أتفق على الفقراء إطعاما لهم .

أما أنت . . فتبذل مالك على مترفين :

بدل أن تشترى لهم خبزا . . تشترى تفاحا .

الصوت :

الذين اشترطوا جهارة الصوت . . هم الذين اشترطوا حلاوة جرسه .

المناصب

يقول ﷺ :

« من ولى رجلا وهو يعلم أن هناك من هو أقدر منه . . فقد برئت منه ذمة الله» .

ترى : هل نقتبس هذا الدرس من سيرته ﷺ لنستريح ونريح ؟؟

أم لا نزال بحاجة إلى كثير من النكسات حتى نعود إلى الحق المبين ؟

دخل رجلا من أبناء عم « أبى موسى الأشعرى » رضي الله عنه فقال أحدهما :

يارسول الله : أمرنا على بعض ما ولاك الله وقال الآخر مثل ذلك : فقال ﷺ :

« لا نولى هذا أحدا :

سأله ع

ولا أحدا حرص عليه » .

هكذا وبصراحة . . ولم يشفع لهما أنهما ابنا عم رمز من رموز الدولة : أبى

موسى الأشعرى القائد العسكرى . . والرائد السياسى .

دعوة :

بنى الرجل الغنى مسجداً . .

ثم قال للإمام :

هل قبل الله ذلك منى ؟

فقال له الإمام :

أمهلنى للغد

فلما جاء الغد . . لفت نظره للراعى المأجور :

فلقد كان ـ وعند الغروب ـ كان يوجه كل مجموعة من الغنم إلى صاحبها .

ومعنى ذلك :

أن تسأل نفسك : ماذا قصدت بعملى هل كان فى سبيل الله ؟

هل نويت به وجه الله تعالى وحده . . فعاد إلى «صاحب» أم كان رئاء الناس؟؟!

لما عفا ﷺ عن «حاطب» رضى الله عنه :

نسى الصحابة ما حدث . . ولم يلاحقوه بما فعل . .

وإنما كانوا يقولوا عنه :

بدرىّ . . لا نقول عنه إلا خيرا

وهكذا بقيت المواهب ولم يقتلوها بالشماتة أو التعنت

فبقيت قوة مدخرة للإسلام

وليتنا الآن نفهم هذا الدرس . . فلا نعاتب ولا نغاضب . . وإنما : التغافر .

﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴾ [الانفطار : ٧]

أحسن إليك ربك كرما منه تعالى وتفضلا .. فماذا حدث ؟!

لكنك أنت بنفسك . ونسيت كرمه سبحانه وإحسانه فعصيته ؟ إذا رأيت فعلك السيئ حسنا . . أو أنما الطفل المدلل الذى سينعفى عنه غدا . .

ولقد نسيت أنه كريم بمعنى : لقد غرك إحسانه فتناسيت إعفاته . .

ونسيت أيضا أن [التعبير «بالرب» مع دلالته على الإحسان يدل على الانتقام عند الإمعان فى الإجرام وإذا ظهر لك معنى اللطف : ففى الباطن جبروت وقهر إنه يمهل . . ولا يهمل . . ولا يمكن للكمال المطلق أن يسوى بين المحسن والمسئ . . والمقام لشكر، عز وجل ففراراً من عقابه : لأن من صفات الكريم أنه عزيز فهو : مع شدة حلمه . . شديد العقاب . .

مع ما كان ينبغى من التخلق بالحياء من المنعم المتفضل . .

وتذكر ما يقال فى دنيانا :

من كرم الرجل : سوء أدب غلمانه .

فهو : إذا قدر عفا . وإذا وعد وفى ، ولا يبالى كم أعطى ؟ ولا لمن أعطى .

اعتدلت النّسب :

فسوّاك

فاعتدل مزاجك

وكان عليك أن تفهم : أن القادر على التسوية قادر على التشويه .

كلا . . ردع عن الغرور . . فكل أقوالكم وأعمالكم مسجلة .

صفح :

أعرضت عن عتابه وتوبيخه

[وهو أبلغ من العفو . وقد يعفو الإنسان ـ ولا يصفح] [ترك عقوبة المستحق] .

العفو :

المحو . والإقحاء .

ومن البلاء :

ما لا أثر لأحد فيها

غفر : الستر : الصيانه من عسى العذاب

غافر الذنب :

تأميل الراجين . وتأنيس المذنبين

أهمية القدوة

كثيرة هى الخطب التى سمعتها تمجد قيمة الحرية .وجوهر الحق . .

ولكن موقفا واحدا يجسدهما أشد تأثيرا . .

ومن معاناة الداعية توقع العناد والجمود . . على ما قيل :

تقول «الإبرة» «للمصفاه» إنى فيك لثقبا ! ؟

ولكن بأى شىء نواجه هذا العناد . . وذلك الجحود ؟

بالعقل :

إن العقول الكبيرة : تفكر .

لكن العقول الصغيرة : تناقش !

غير بمعنى : سوى .

والجمع : أغيار

والأصل فيها : أنها صفة

والاستثناء عارض

فإن وصفت بها .أتبعتها إعراب ما قبلها وإن استثنيت بها : أعربتها بالاعراب

الذى يجب للاسم الواقع بعد إلا .

قال الغراء :

بعض بنى أسد . وقضاعة :

ينصبون غيرا إذا كان فى معنى «إلا»

سواء تم الكلام بعد أم لا . فيقولون :

ما جاءنى غيرك .

وما جاء فى أحد غيرك .

وقد يكون غير بمعنى «لا»

وعندئذ تنصب على الحال : مثل :

﴿ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ ﴾ [البقرة: ١٧٣] ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقوله تعالى : ﴿ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ ﴾ [المائدة : ١] .

من بلاغة القرآن
فى كتابات المعاصرين

[وفى ظلال المراعاة لمثل هذه الملائمة بين الكلمات فى الآيات القرآنية، قال الشريف الرضى فى عرض الصورة البلاغية فى آية سورة «البقرة» ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ :

«المعنى أنهم استبدلوا الغى بالرشاد، والكفر بالإيمان ،فخسرت صفقتهم، ولم تربح تجارتهم، وإنما أطلق سبحانه على أعمالهم اسم التجارة لما جاء فى أول الكلام بلفظ : «اشتروا» تأليفا لجواهر النظام ، وملاحمة بين أعضاء الكلام » (١) .

كما قال أيضا فى عرض الصورة البلاغية بقوله تعالى : ﴿ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾ [الكهف : ٣٣] : (الظلم هنا ليس على أصله فى اللغة ، ولا على عرفه فى الشريعة، لأنه فى اللغة اسم لوضع الشىء فى غير موضعه، وفى الشريعة، اسم للضرر المفعول) .

والمراد بقوله تعالى هنا : ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا ﴾ أى: « لم تمنع منه شيئا» وإنما حسن أنى يعبر عن هذا المعنى باسم الظلم من حيث كان ثمر تلك الجنة التى هى البستان، كالمستحق لمالكها، فإذا أخذه حقه على كماله وتمامه حسن يقال : أنها لم تظلم منه شيئا، أى لم تمنع منه مستحقا، فتكون فى حكم الظالم إذا أضرت بمالكها فى نقصان زرعها ، واختلاف ثمارها ، ومما يقوى ذلك، قوله سبحانه: ﴿آتَتْ أُكُلَهَا﴾ فلما جاء بلفظ « الإيتاء » والإعطاء ، حسن أن يجىء بلفظ الظلم» ومعناه هنا : المنع، فكأنه تعالى قال : « اعطيت ما استحق عليها ولم تمنع منه شيئا » .

ولم يفت علماؤنا القدامى فى دراستهم القرآنية، أن يعرضوا ما تيسر من نماذج الموازنة بين كلمة وكلمة، أو بين جملة وجملة .

(١) انظر «تلخيص البيان فى مجازات القرآن » للشريف الرضى ص١١٤ .

فى سياق كلام الله . وسياق كلام البشر نثراً أو شعراً ـ ولله المثل الأعلى ـ :

١ ـ فضيـاء الدين بن الأثير، فى الجزء الأول من «المثل السـائر، وازن بين كلمة يؤذي، فى قول المتنى :

تلذ له المروءة وهى تؤذى ومن يعشق يلذ له الغرام

وبين هذه الكلمة نفسـها فى قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلا مُسْتَئْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ ﴾

[الأحزاب : ٥٣]

كما وازن بين مورد كلمة «القمل» فى قول الفرزدق :

من عزة احتجزت كليب عنده زريا كأنهم لديه القمل

وبين مورد هذه الكلمة نفسها ، فى قوله تعالى :

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلاتٍ ﴾ [الأعراف : ١٣٣] .

٢ ـ وأبو الحسن الرمانى المتوفى سنة ٣٨٦ هـ فى كتابه (النكت فى إعجاز القرآن) وازن بين المزاوجة فى قول عمرو بن كلثوم الشاعر الجاهلى :

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وبين المزاوجة فى الآيتين الكريمتين : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٥٤]

﴿ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ ﴾ [النساء : ١٤٢] .

٣ ـ وابن سنان الخـفاجى فى (سر الفـصاحـة) وازن بين المثل العربى المشـهور : (القتل أنفى للقتل) والآية القرآنية الكريمة ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ [البقرة : ١٧٩] فانتهت مـوازنته كما انتـهت موازنة الرمانى (١) وأبى هلال العسكرى بينهـما إلى أن الآية القرآنيه المعجزة :

(١) انظر «النكت فى إعجاز القرآن، للرمانى ص٧ وما بعدها ثم «الصناعتين» للعسكرى ص١٦٨ .

(١) أكثر فائدة .

(٢) وأوجز لفظا .

(٣) وأسلم من التكرار .

(٤) وأحسن تأليفا وبيانا . . !

وعفوا ومعذرة يارب العالمين، فما جمعنا فى هذا المقال بين ما تيسر من كلام الله، ثم ما تيسر من كلام البشر، إلا ونحن نردد مع الإمام أبى بكر الباقلانى المتوفى عام ٤٠٤ هـ فى كتابه « إعجاز القرآن » قوله ما نصه : (انظر بسكون طائر، وخفض جناح، وتفريغ لب، وجمع عقلى فى ذلك ،فسيقع لك الفصل بين كلام الناس وكلام رب العالمين) و«لا يستويا فى مثلا» .

ولا يستوى وحى من الله منزل وقافية فى العالمين شرود

وما أصدق وحى السماء ، فى سورة الإسراء :

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٨] ؟

الغزالى حرب .

١ ـ منها قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ﴾ [آل عمران : ٩٧] يعنى أنه حق واجب فى رقاب الناس، لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته .

٢ ـ ومنها أنه ذكر (الناس) ثم أبدل عنه : ﴿ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ وفيه ضربان من التوكيد : أحدهما : أن الإبدال تثنية وتكرير، والثانى : أن الإيضاح بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال ، إيراد له فى صورتين مختلفتين .

٣ ـ ومنها قوله : ﴿وَمَن كَفَرَ﴾ مكان (ومن لم يحج) (تغليظا على تارك الحج).

٤ ـ ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان .

٥ ـ ومنها قوله : ﴿ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾

ولم يقل : (عنه) وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان ،لأنه إذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ،ولأنه يدل على الاستغناء الكامل، فكانى أدل على عظم السخط الذى وقع عبارة عنه !!

﴿ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ [الملك : ١٩] متسائلا عن السر فى التعبير بالوصف فى ﴿ صَافَّاتٍ ﴾ وبالمضارع فى ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ ثم مجيبا بقوله : لأن الأصل فى الطيران هو صف الأجنحة ، لأن الطيران فى الهواء كالسباحة فى الماء ، والأصل فى السباحة مد الأطراف وبسطها ، أما القبض فطاوى على البسط للاستظهار به على التحرك فجيء بما هو طارئ غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنها صافات، ويكون منهن القبض تارة بعد تارة كما يكون من السابح .

ووقف الزمخشرى أيضا أمام آية من سورة «الحجرات» : ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ [الحجرات : ١٢] ، قائلا : إن هذه الآية تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه وفى مبالغات ، شتى منها :

(١) الاستفهام الذى معناه الإنكار .

(٢) ومنها جعله ما هو فى الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة .

(٣) ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم .

(٤) ومنها الإشعار بأن أحداً من الأخوين لا يحب ذلك .

(٥) ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا .

(٦) ومنها أنه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتا . .

وفى مقام إثبات التوحيد لله عز وجل وهو جوهر الإسلام ولبابه ـ تبدأ الآيات القرآنية الكريمة الآتية : بعرض دعوى الشرك ، ثم تعقب عليها بأبلغ وأروع وآكد أسلوب يوحى بالخطر فى كل كلمة من كلماته المشعة المتفجرة :

«إداً» «يتفطرن» «تنشق» «تخر» «هدا» ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ [مريم : ٨٨ ـ ٩١] .

وفى سبيل القضاء المبرم على هذه الدعوى الاشتراكية الخطيرة، يأتى القرآن الكريم فيما يأتى ـ بآيتين اثنتين، نفيضان بثمانية أساليب استفهامية متوالية جمعت بين التقرير الملزم ، والإنكار المفحم، ﴿ قُل ﴾ ﴿ من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ؟ من يخرج الحى من الميت ؟ ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله ، فقل : أفلا تتقوم؟ فذلكم الله ربكم الحق، فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ فأنى تصرفون ؟

وإذا كانت هذه الآية الكريمة، أتت بفعلين مضارعين متواليين فى قوله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ فإن الآية الأخرى من سورة «الأنعام» قد أتت فى التعبير عن هذا المعنى نفسه باسم الفاعل وهو «فخرج»

ـ بعد مضارعه ـ وهو «يخرج» ـ قائلة : ﴿ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ﴾ [الأنعام : ٩٥] .

فلماذا كانت هذه المغايرة فى التعبير ؟

أجاب عن ذلك صاحب «بديع القرآن» بما خلاصته أن مجىء اسم الفاعل فى سورة «الأنعام» ـ وما جاء فى غيرها فى هذا المقام ـ هو الملائم لسياق الكلام الذى يقتضى فى هذه الآية من هذه الصورة، مجاورة اسم الفاعل «مخرج» لنظيره اسم الفاعل «فالق الحب» ومعلوم أن اسم الفاعل المضاف يدل على المضى، والفعل المضارع يدل على الحال والاستقبال دون المضى، وهذه الآية مسوقة للتمدح بالقدرة الربانية المطلقة، واسم الفاعل هنا أنسب .

الكلام على «بعد»

عبد الله حميد غالب

أخبرنى أستاذى الفاضل ومن له الفضل بعد الله عليَّ فى دراستى للحصول على مرحلة الماجستير - د/ صالح جمال بدوى - حفظه الله - أن بعضهم - يرى أن استعمال (وبعد) خطأ وأنه لابد من الإتيان بأما ولما رجعت إلى كتب السلف والخلف وجدت أن هذا الأسلوب كثير الاستعمال فأحببت أن أنقل ما قيل فيه وخاصة ما علق على شرح قطر الندى لابن هشام رحمه الله .

١ - «وبعد» أتى بها تأسيًا به ﷺ ، فإنه كان يأتى بها فى خطبه ، وهى هنا مبنية على الضمِّ لحذف المضاف إليه ونية معناه ، أى بعدما تقدم من البسملة والحمدلة وغيرهما ، وأصلها مهما يكن من شىء بعد فحذفت مهما ويكن وأقيمت أمَّا مقامها، ثم حذفت أمَّا وعوضت عنها الواو ، فهى نائبة عن أمَّا المحذوفة تخفيفًا لكثرة الاستعمال ، واختصت الواو من بين حروف العطف بالنيابة عن أمَّا لأنها أم الباب ولأنها قد تستعمل للاستئناف كأمَّا .

(حاشية العلامة حسن العطار على شرح الأزهرية فى علم العربية للشيخ خالد الأزهرى ص).

٢ - قوله «وبعد» أصلها أمَّا بعد بدليل لزوم الفاء فى خبرها لتضمن أمَّا معنى الشرط ، وإنما لزمت الفاء بعدها ولم تلزم فى بقية أدوات الشرط ، لأنها لما ضعفت بالنيابة تقوت بذلك ، والأصل مهما يكن من شىء بعد ، والواو نائبة عن أمَّا وبها ألغز بعضهم فى قوله :

وما واو لها شرطٌ يليه جوابٌ قرنُه بالفاء حتما

وأجاب بعضهم :

هى الواو التى قرنت ببعد وأما أصلُها والأصلُ مهما

(حاشيـة العلامة الفاضل أحـمد بن أحمد السجـاى على شرح قطر الندى لابن هشام ص) .

٣ ـ قوله «أمـا بعد» الإتيان بهـا أولى من «وبعد» لأنها الواقـعة منه ﷺ ، ومن يأتى بالواو ويرى أن المدار على «بعد» فيختـصر ، وهى فى بعض النسخ أيضًا ، وإن أردت الكلام النفيس فى «بعد» فعليك بما كتبناه على الأزهرية .

(حاشية العلامة الشـيخ محمد بن محمد بن أحمد المالكى الشهـير بالأمير الكبير ص).

٤ ـ وبعضهم يحذف أمَّا ويأتى بالواو مكانها فيقول «وبعد» فتكون الواو نائبة عن أمَّا وتكون الفاء فى جواب الواو .

واختُـلِفَ فى أول من نطق بها على ثمـانية أقـوال نظم بعضـهم منهـا خمسـة فى قوله:

جرى الخلف أمَّا بعد من كان باديًا   بها خمس أقوال وداود أقرب

وكانت لـه فـصل الخـطاب وبـعده   فقس فسحبان فكعب فيعرب

وقيل يعقوب وقيل أيوب ، وقيل آدم وهو أضعفها ، وجُمع بين هذه الأقوال بأن كَلاً أول من نطق بها بالنسبة لقبيلته فلا تعارض .

(حـاشيـة لقط الدرر بشرح متن نخـبة الفكـر تأليف عبـد الله بن حسين خـاطر السمين العدوى المالكى الأزهرى ص) .

٥ ـ وأقول بعـد هذا كله ، فكتب علمـاء السلف والخلف أكثـرها مبـدوءة بهذا التعبير ، بل بعضهم قد يحذف هذا كله ويستعمل اسم الإشارة كما فعل السيوطى فى ألفيته فى علم الحديث والنحو فهـو يقول بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .

وهذه ألفية تحكى الدرر   منظومة ضمنتها علم الأثر

ويقول فى النحو :

وهذه ألفية فيه حَوتْ   أصوله ونفع طِلابٍ نوت

وابن مالك فى كثير من منظوماته استعمل «وبعد» يقول فى نظم المقصور والممدود.

وبعد فإن القصر والمد من يحط   بلفظيهما تستنبه النبهاء

وفى لامية الأفعال يقول :

وبعد فالفعل من يحكم تصرفه   يحز من اللغة الأبواب والسبلا

والشاطبى يقول فى شاطبيته :

وبعد فحبل الله فينا كتابهة   فجاهد به حبل العدا متحبلاً

وابن الجزرى استعملها كثيراً فى كتبه يقول فى الطيبة :

وبعد فالإنسان ليس يشرف   إلا بما يحفظه ويعرف

ويقول فى الجزرية :

وبعد إن هذه مقدمة   فيما على قارئه أن يعلمه

فالكلام فى أن استعمل «وبعد» خطأ ، يدل على عدم معرفة بعلم اللغة والإعراب والله المستعان .

* * *



فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة